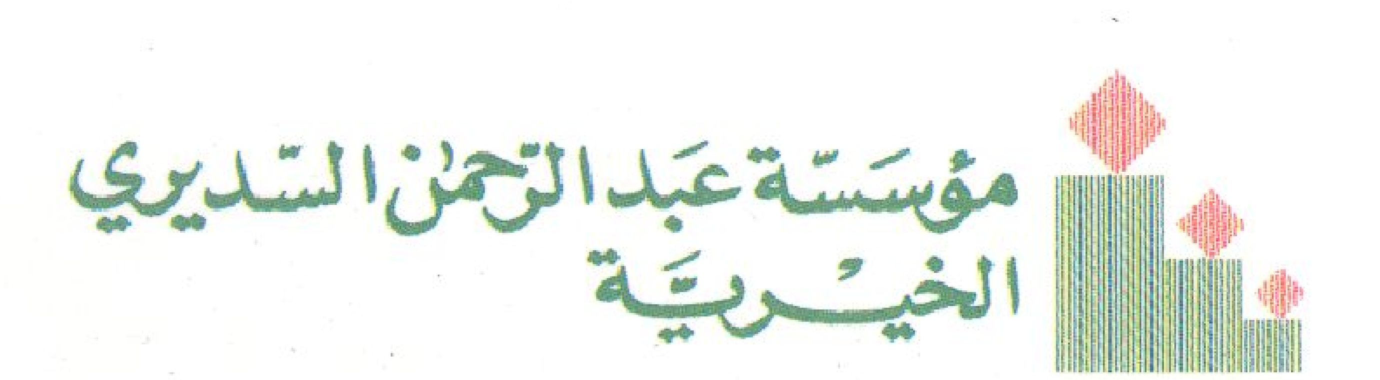
التنظيمات العسكرية النبطية

صالح بن إبراهيم بن صالح الدغيم



التنظيمات العسكرية النبطية

صالح بن إبراهيم بن صالح الدغيم

١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م

مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية

ⓒ مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية بالجوف، ١٤٢٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الدغيم، صالح بن ابراهيم بن صالح
التنظيمات العسكرية النبطية - الرياض
... ص، .. سم
ردمك : ٨ - ٣ - ٩٢٨٤ - ٩٩٦٠
١- الانباط - تاريخ ٢- الحياة العسكرية أ- العنوان
ديوي ٩٣٩,٤ ٢٢/٢٨٥٦

رقم الايداع: ٢٢/٢٨٥٦
ردمك : ٨ - ٣ - ٩٢٨٤ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ (٢٠٠٢م)

مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية:

أسسها الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري (أمير منطقة الجوف من ٥/ ٩/ ١٣٦٢هـ الى ١/ ٧/ ١٤١٠هـ الموافق ٤/ ٩/ ١٩٤٣م الى ٢٧/ ١/ ١٩٩٠م)، بهدف إدارة وتمويل المكتبة العامة التي أنشأها سنة ١٣٨٣هـ المعروفة باسم دار الجوف للعلوم، والاسهام في حفظ التراث الأدبي والأثري في منطقة الجوف، ودعم النهضة العلمية، وأعمال خيرية أخرى. وتأمل مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية أن تسهم من خلال برنامج النشر في حفظ التراث الأدبي بمنطقة الجوف، واستقطاب اهتمام الباحثين والكتّاب، للكتابة عنها، وتشجيع أقلام أبناء الجوف الواعدة، وتمكينها من الوصول الى القرّاء.

بسم الله الرحمن الرحيم

(قدم أصل هذه الدراسة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في التاريخ بقسم التاريخ

في جامعة الملك سعود بالرياض، وأجيزت بتاريخ ١٢/ ١٠/ ١٤٢١هـ)

الإهداء ...

إلى إبني إبراهيم ...

مع تمنياتي لك بالتوفيق والنجاح في مسيرتك العلمية ...

والدك

محتويات الكتاب

الموضـــــوع | الصفحة

المقدمة:

يُمَثِّل التاريخ العسكري جزءاً لا يتجزأ من التاريخ العام، لأي دولة من الدول. والنشاط العسكري لكل أمة مرتبط ارتباطاً جدلياً ببنائها السياسي والاقتصادي، وحتى الاجتماعي. ويكاد التاريخ العسكري يلازم نشوء الأمم وانتصاراتها وارتقاء حضاراتها، كما يرافق انحدارها، وختام الفصل الأخير من انهزامها.

وقد شكلت دولة الأنباط إحدى التكوينات السياسية العربية، التي قامت في الجزء الشمالي الغربي من شبه الجزيرة العربية، في نهاية القرن الرابع ق.م. واتخذت البتراء عاصمة لها، وعرفت عند الرومان والإغريق بالعربية الصخرية (Arabia Petraea)، كما تحدّث سكانها بإحدى اللهجات العربية، وكتبوا بالحرف الآرامي. واستمرت دولتهم حتى سقطت في أيدي الرومان نحو سنة (١٠٦م)، الذين أطلقوا على منطقتها اسم الولاية العربية-Provincia Ara) (bia. ولعل المراحل، التي مرت بها دولة الأنباط منذ بدايتها المتواضعة، حتى صارت دولة ذات كيان سياسي قوي، ثم سقوطها، وعلاقة هذا السقوط بالقوة العسكرية أولا، ثم بالقوة الاقتصادية، وعلاقة كل مرحلة بعدو يظهر ثم يندثر، كالإغريق واليهود والرومان، هي التي أغرت الباحث على الاهتمام بدراسةٍ الوضع العسكري لدى الأنباط العرب، الذين شكلوا معلماً بارزاً في تاريخ العرب القديم.

وإن مثل هذا الكيان السياسي الاقتصادي (الأنباط)، لا بد أن تكون خلفه قوة عسكرية منظمة، ونظام دفاعي قوي لحمايته، يستحق الدراسة والبحث. وهذا هو الهدف والمعتمد الأساس من الدراسة، لبيان هذه القوة العسكرية وتنظيماتها، ومدى قيامها بهذا الدور .

اقتضت طبيعة هذا البحث تقسيمه إلى أربعة فصول. وقد كان لقلة المادة العلمية دور كبير، في حجم كل فصل من الدراسة .

ففي الفصل الأول، حاول الباحث إعطاء صورة واضحة عن أحوال الأنباط، السياسية والاقتصادية، منذ العهد الآشوري، نحو منتصف القرن السابع ق.م، حتى سقوطهم على يد الرومان، و إنهاء كيان دولتهم نحو سنة (١٠٦م) .

وفي الفصل الثاني، نشأة القوات العسكرية النبطية، التي مرت بعدد من المراحل، اعتمدت الدراسة في تقسيمها تبعاً لظروف قوة الدولة السياسية والاقتصادية. فجاءت المرحلة الأولى

متمثلة في أول ذكر للأنباط في المصادر القديمة، نحو سنة (٣١٢ق.م)، واستمرت حتى نحو سنة (٨٧ ق.م). وتلتها مرحلة تمثلت فيها قوة الدولة النبطية سياسيا واقتصاديا، واستمرت حتى نحو سنة(٧٠م)، نهاية حكم ملكهم مالك الثاني (٤٠-٧١م). وأخيرا صورت ضعف الحالة السياسة والاقتصادية للدولة النبطية، التي رافقها ضعف قوتها العسكرية في فترة آخر ملوكهم رابيل الثاني (٧١-١٠٦م)، ما آذن بضعف كيانهم السياسي، ومن ثم زوال دولتهم نحو سنة (١٠٦م)، على يد الإمبراطور الروماني تراجان (Trajan).

وفي الفصل الثالث، تناول الباحث التنظيمات العسكرية النبطية، التي تمثلت في بيان تقسيمات الجيش النبطي، الذي كان يتشكل من: الهجانة، والفرسان، والمشاة. درس الفصل كل تشكيل بالتفصيل، وكذلك تضمن استعراض الألقاب والرتب العسكرية ، وما تعكسه من دلالات على ما حدث من تطور في نظام الجيش النبطي. وقد تناولها الباحث بشيء من التفصيل. واختتم هذا الفصل باستعراض لبعض الأسلحة النبطية، صناعتها وأنواعها .

وفي الفصل الرابع، استعرض الباحث النشاط العسكري، الذي قام به الأنباط لمواجهة تهديدات المقدونيين الإغريق واليهود والرومان .

آمل أن يُلقي هذا الكتاب مزيداً من الضوء على تاريخ الأنباط، وأن يجد فيه القرّاء والمهتمون الفائدة المرجوة.

وأخيراً، فانني أقدم الشكر والتقدير لكل من أ. د. مفيد العابد، الذي أشرف على أصل هذا البحث (رسالة الماجستير)، كما أشكر كلاً من أ. د. سليمان الذييب ود. عاصم البرغوثي.

والشكر موصول لمؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية التي أسهمت في طباعة ونشر هذا الكتاب، ضمن برنامج النشر ودعم الأبحاث الذي تتبناه المؤسسة.

صالح بن ابراهيم الدغيم

قائمة الاختصارات

CIS : Corpus Inscriptionum Semiticarum.

DM : R. Dussanad & Macler, **Mission dons les résertiques de la Syrie moyenne, Paris, (1903).**

JS : A. Jaussen., & R. Savignac.**Mission A rcheologique en Arabie.**

PEQ : Palestine Exploration Quartery.

ZDPV : Zeitschrift der Deutschen Palastina-Vereins.

BASOR : Bulletin of the American School of Oriental Research.

التـوطـئة:

شملت بلاد الأنباط منطقة جنوب سورية وفلسطين، وشمال غرب الجزيرة العربية، في مكان متوسط بين بلاد الرافدين وسورية ومصر،[انظر الخارطة رقم (١)]. وامتدت على رقعة جغرافية، بدأت من العلا جنوبا حتى البتراء شمالاً وإلى بصرى الشام في الشمال الشرقي، ومن الجوف شرقا حتى شبه جزيرة سيناء غربا. [انظر الخارطة رقم (٢)]. وقد اشتملت هذه المنطقة على عدة أقاليم، منها الإقليم الواقع جنوب بلاد الأنباط، الذي يتكون من سلسلة جبلية، تكونها شمالاً جبال مدين الواقعة بمحاذاة البحر الأحمر وخليج العقبة، وتتجه إلى الجنوب من حدود الأردن. وتشرف جبال مدين من الشرق على هضبة واسعة، هي هضبة الحسمى، التي تقع بين جبال مدين ومنطقة وادي السرحان، جنوب الأردن[١]. وإلى الشرق من هضبة حسمى يوجد حوض وادي السرحان وهو واد متسع يمتد بين منخفض الجوف جنوباً، ومنخفض الأزرق شمالاً، وتصب فيه الروافد من كل الجهات، ويوفر المياه والتربة الصالحة للزراعة[٢].

وادي السرحان ممر طبيعي، يربط جنوب البلاد السورية بشمال الجزيرة العربية. وقد لعب هذا الوادي دوراً بارزاً، كونه الممر الطبيعي، الذي سلكته القوافل التجارية، سيما في الفترة المبكرة من تاريخ الأنباط[٣]. وتقع جنوب وادي السرحان بلاد الجوف، التي تتكون من سهوب؛ ويوجد فيها كثبان رملية رسوبية في معظمها، وتظهر في أطرافها حواف صخرية غير مرتفعة. ويمتد في وسطها، من الشمال إلى الجنوب، تلال رملية. وفيها عدة منخفضات، أهمها منخفض دومة الجندل في الجنوب الغربي، ومنخفض مدينة سكاكا، وقرية الطوير في الشمال[٤]. وإلى الجنوب الغربي من الحسمى تقع هضبة الحجاز، التي تمتد حتى خيبر؛ وتتصل بها من الغرب حرّتا الرحا والعويرض، وتمتد شرقا حتى صحراء بادية الشام. وتقع مدينة تيماء في قسمها الشمالي[٥].

ومن الأقسام الجغرافية الطبيعية، وادي عربة، الذي يمتد من جنوب البحر الميت إلى رأس خليج العقبة، بينما ترتفع على حافة الوادي الشرقية، على بعد ٤٠ كم جنوب البحر، جبال الشّراة (سعير)، المعقدة في بنيتها المكتنفة بالأودية السحيقة. وتمتد هذه المرتفعات إلى ما بعد الوادي شمالاً وجنوباً، مشكّلة الحافة الطويلة المرتفعة، التي تمثل العمود الفقري للممالك القديمة: أدوم ومؤاب، إلى الشمال الغربي من البتراء. وتتكون هذه المرتفعات من سلسلتين

جبليتين صغيرتين، يمر بينهما الطريق الذي يخترق وادي موسى، وينفتح على وادي عربة[٦]. وتميزت هذه المنطقة بخاصية طبيعية، هي سهولة تخزين المياه بكميات كبيرة، واستغلال هذه المياه ومحاولة حفظها في سدود بنيت في المناطق المحيطة بالجبال، وكذلك من خلال نحت صهاريج في الصخر، تختلف في أحجامها، وتُملأ من خلال مد قنوات مائية من الجبال إليها[٧]. وهي - أي الصهاريج - كانت إحدى الامتيازات الاستراتيجية، التي استغلها الأنباط في حروبهم ضد أعدائهم[٨].

تمثل الصحراء الشرقية ثلاثة أرباع مساحة الأردن حالياً، التي تعرف بصحراء النفود الكبير، وتقطعها الوديان الضحلة، التي تنتهي إلى منخفضات داخلية مغلقة، يقع أكبرها في بطن وادي السرحان جنوباً، إلى حوض الأزرق شمالاً. وكانت القوافل تخترق هذه الصحراء من شمالها، الذي تكثر بالقرب منه آبار المياه. ويتعذر اجتيازها من الجهات الأخرى، لكثافة الكثبان الرملية ولانعدام الماء[٩]. والقسم الجنوبي من إقليم وادي عربة عبارة عن هضبة مترامية الأطراف، وأعلى قمة فيها هو جبل رم، الذي يطل على وادٍ يحمل اسم الجبل نفسه[١٠].

أما القسم الشمالي من صحراء بادية الشام، فيتمثل في هضبة حوران، التي تقع في الطرف الجنوبي من سورية، بين الحوض الدمشقي في الشمال، ومنخفض وادي اليرموك وجبال عجلون ومنخفض الأزرق ووادي السرحان، في الجنوب الشرقي، وتمتد بين سفوح جبل حرمون (الشيخ حاليا) الشرقية ومرتفعات الجولان المشرفة على وادي الأردن، ومنطقة الحماد والصفا من بادية الشام، مروراً بجبل حوران (العرب حاليا) في الشرق، وقد هيأها موقعها لتكون البوابة الرئيسية للبلاد السورية، للقادمين من الجزيرة العربية، وهمزة وصل استراتيجية بين سورية الشمالية وسورية الجنوبية[١١]. وهذه الهضبة تمثل سهلين في غاية الخصوبة، هما سهل الجولان وسهل حوران. وأهم قرى حوران: سيع وصلخد وبصرى[١٢].

ومن الأقسام الجغرافية، إقليم سيناء، الذي يمتد على شكل مثلث ترتكز زواياه الثلاث على مدينة رفح في الشمال الشرقي، وبور سعيد في الشمال الغربي، ورأس محمد في الجنوب، ويحد ضلعه الشمالي البحر المتوسط، وضلعه الشرقي البحر الأحمر وخليج العقبة وصحراء النقب، وضلعه الغربي البحر الأحمر وخليج السويس وصحراء مصر الشرقية[١٣]، وينقسم إلى ثلاث مناطق هي: منطقة العريش، ومنطقة التيه، ومنطقة الطور. ومن خلال هذه المناطق، كانت تمر الطريق الساحلية، التي تصل بين دلتا النيل وغزة. ومن منطقة التيه تنبع عدة أودية، من

أشهرها وادي فاران، الذي تقع فيه مدينة فاران القديمة[14]. ويتفرع منه واد اخر هو وادي مكتب، الذي عثر فيه على مئات النقوش النبطية، بينما ينحدر وادي حجاج من المنطقة نفسها شرقا باتجاه خليج العقبة. وقد عُثر فيه كذلك على كثير من النقوش النبطية[15]. وآخر الأقسام الجغرافية في هذه المنطقة، إقليم النقب، وهو منطقة مثلثة الشكل، تحتل نحو نصف مساحة المنطقة الواقعة جنوب فلسطين؛ يحدها من الشرق وادي الأردن، ومن الغرب شبه جزيرة سيناء، ويتصل شمالها بالسهل الساحلي المطل على البحر المتوسط، وعلى الرغم من الطبيعة الصحراوية الجافة لهذه المنطقة، إلاّ أن الأنباط تمكنوا من استصلاحها زراعيا. وأهم مدن هذا الإقليم "عبدة" و"ونيسانا"و"الخلصة" "وكرنب"[16].

وقد اشتهرت هذه المنطقة - موضع الدراسة - في التاريخ القديم، بكونها مركزاً مهماً لعدد من المواقع التجارية الرئيسة، كموقع ديدان (العلا)، التي تمثل إحدى المناطق الخصبة في الجزيرة العربية. وقد أكدت النقوش، التي عُثر عليها في موقع (ديدان)، أهميتها الحضارية والتجارية، منذ القرن السادس ق.م[17]. أما موقع تيماء - وهي واحة خصبة في شمالي غرب الجزيرة العربية - فعلى مفترق الطرق البرية، التي تصل بين أطراف الجزيرة العربية، والمناطق الحضارية خارجها، في بلاد الرافدين وسورية ومصر، وتعد من المدن العربية التجارية في العالم القديم[18]. وكذلك موقع دومة (الجوف)، التي تكمن أهميتها الجغرافية في أنها حلقة وصل بين طريق التجارة، الذي يربط بين موانئ شرق الجزيرة العربية، وجنوب وادي الرافدين، بالبلاد السورية والبحر المتوسط، ولهذا كانت محطة استقبال التجارة الدولية، التي تصل من بلاد فارس والهند والشرق الأقصى[19].

الـهـوامـش:

(١) عبـد الرحمن صـادق الشريف، **جغـرافيـة المملكة العربـية السعـودية**، دار المريخ الرياض، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م،ج١، ص ٤٨، ٩١ .

(٢) الشريف، (١٩٨٧م)، ص ٩٠ .

(٣) G.W. Bowersock. **Roman Arabia**, Harvard University Press, London, (1983) p. 155 .

(٤) سعد بن عـبدالله بن جنيدل، **بلاد الجوف (دومة الجندل)**، داراليمامة، الرياض، ١٤٠١هـ، ص ٨١ .

(٥) الشريف، (١٩٨٧م)، ص ٥١ .

(٦) Browining , I., **Petra**., London ., 1989, pp.11-13 .

(٧) Browining., (1989) , pp.13-14 .

(٨) Diodoros.,**The Historiae**, tr.C.H.Oldfather, London , LCL. 1961, 2.48 .

(٩)الشريـف، (١٩٨٧م)، ص ٨٥؛ صلاح الدين بحيري، **أرض فلسطين والاردن طبـيعـتها وحيازتها واستعمالاتها**، دار نافع، القاهرة، (١٩٧٤ م)، ص ٤٤ .

(١٠) بحيري، (١٩٧٤م)، ص ص ٤٨ - ٤٩ .

(١١) مجمـوعة من الباحثين بـإشراف: ج.م. دانتز، **سورية الجنوبيـة (حوران)**، تعريـب: أحـمد عبدالكريم وميشيل عيسى وسالم العيسى، دارالأهالي، دمشق،(١٩٨٨م)، ص ٧ .

(١٢) هتون أجوادالفاسي، **الحياة الاجـتماعية في شمـال غرب الجزيرة العربية في الفـترة ما بين القرن السادس ق.م والثاني الميلادي**، الرياض ، (١٤١٢هـ/ ١٩٩٣م)، ص ٥٠ .

(١٣) إبراهيم أمين غالي، **سيناء المصـرية عبـر التايخ**، الهيـئة المصرية العـامة للكتـاب، القاهرة (١٩٧٦م)، ص ١٦ .

(١٤) غالي، (١٩٧٦م)، ص ص ٢٢ - ٢٧ .

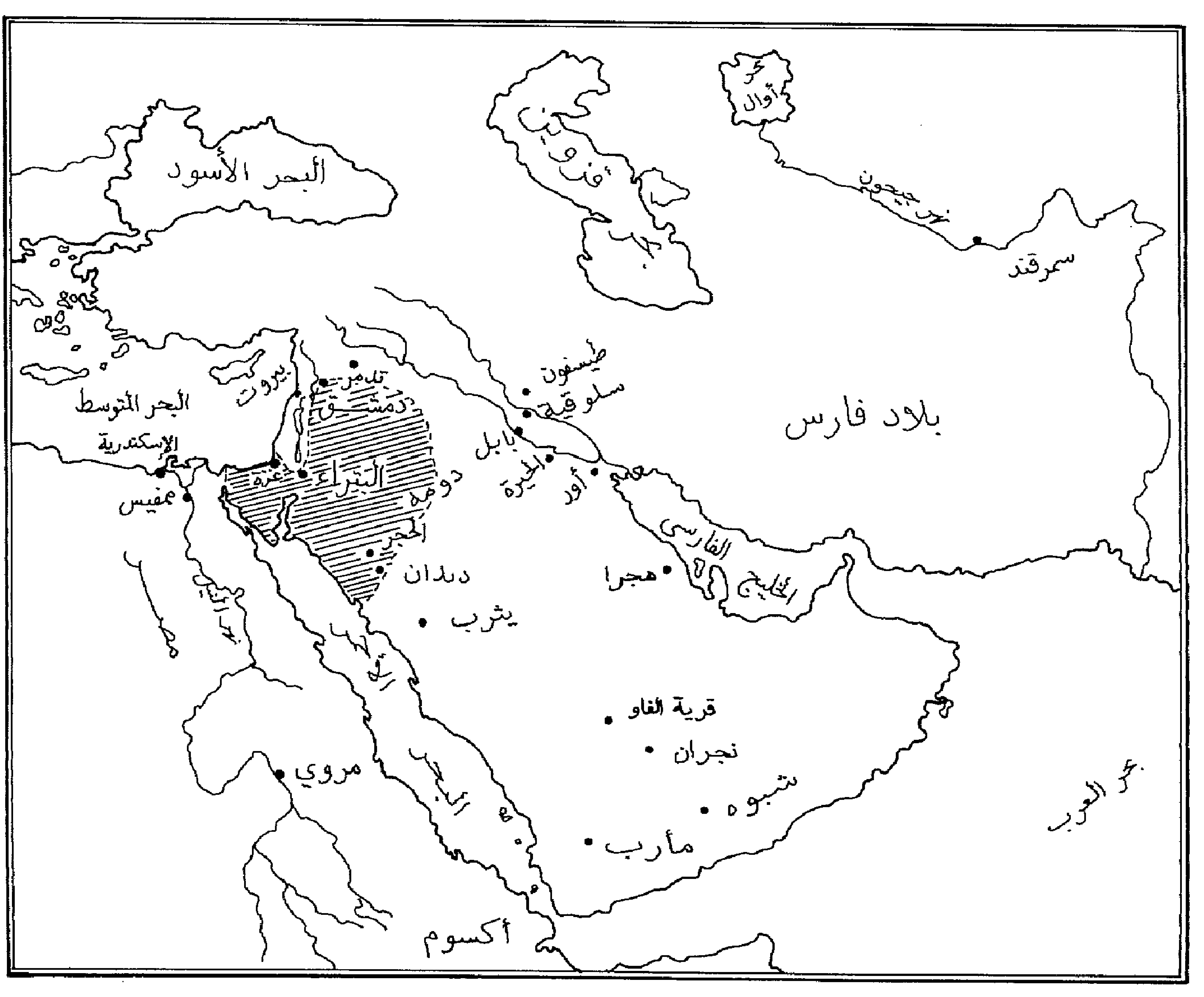
(١٥) A. Negev., **The Inscriptions of Wadi Haggag, Sinai**, Jerusalem, (1977), p.I.

(١٦) هتون الفاسي، (١٩٩٣م)، ص ٥٥ .

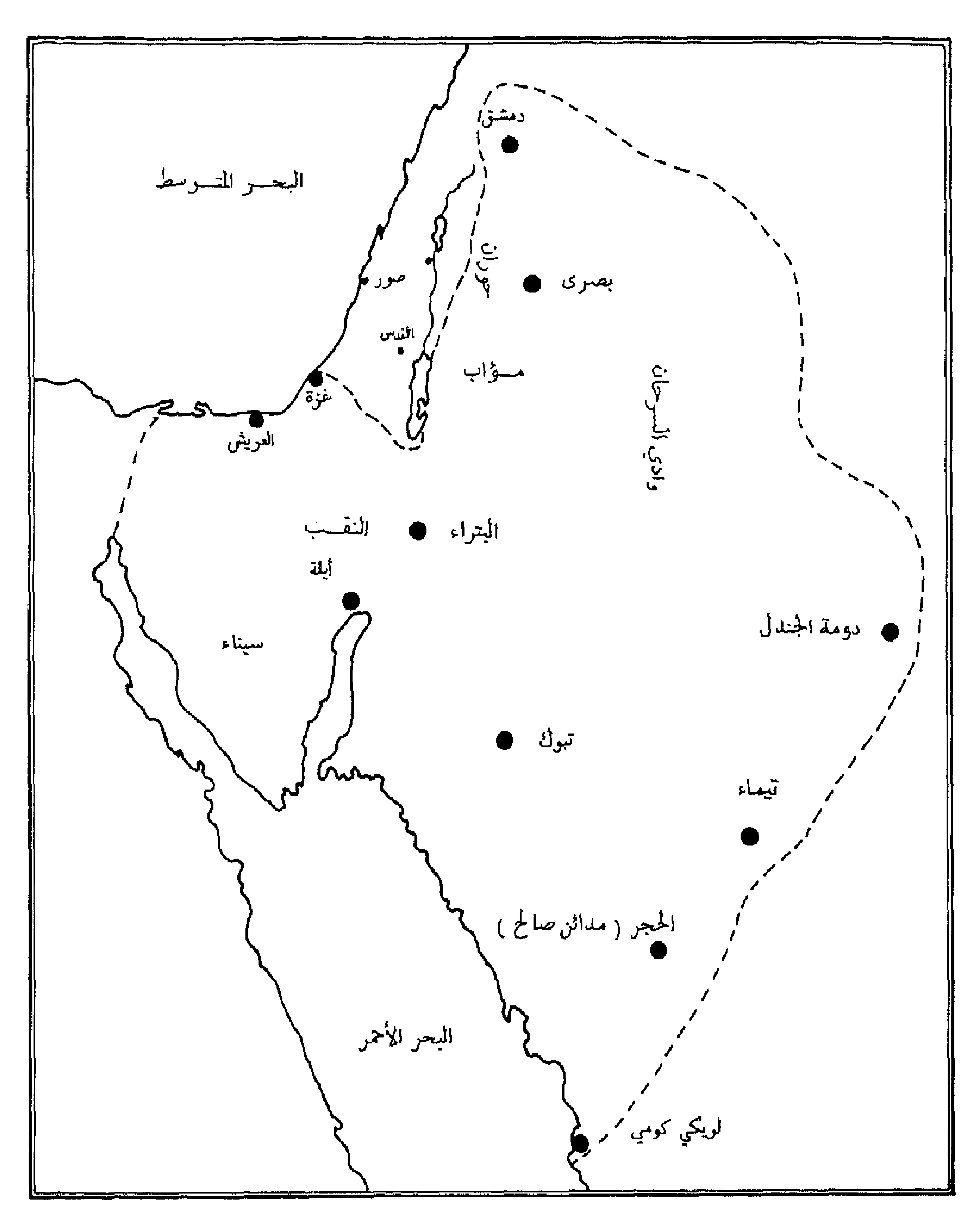
(١٧) عبدالرحمن الطيب الأنصاري وأحمد حسن غزال وجفري كنج، **مواقع أثرية وصور عن حضـارة العرب في المملكة العربيـة السعودية: العُـلا (ديدان) الحجر(مـدائن صالح)**، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض ، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م). ص ٨ .

(١٨) Bowden, et., "Tayma" **Atlal**, (1980) , vol.5 p.69.

(١٩) M. Rrostovtzeff.,**Cravan Cities, tran**.T.Talbot&M.Rice.,Oxford, (1932), p.27.



خارطة ١ : موقع الأنباط بالنسبة للعالم القديم. (نقلاً عن هتون الفارسي)



خارطة ٢: مملكة الأنباط في أوج إتساع نفوذها في الفترة ما بين سنة (٣٠ ق. م - ٤٠ م).

نقلاً عن: (Joseph Patrich., The Formation of Nabatean Art., P. 23)

الفصل الأول

الأنباط في تاريخ المنطقة العربية

أولا : معالم تاريخ الأنباط قبل سنة ٣١٢ ق.م

١ - ذكر الأنباط في الوثائق التاريخية الآشورية حتى انهيار الدولة الفارسية :

ورد ذكر الأنباط في الحوليات الآشورية، خاصة في عهد آشوربانيبال[١](Assurbanipal) (٦٦٨-٦٢٧ ق.م)[٢] ثلاثاً وعشرين مرة، بالخط المسماري[٣]، على هذا الشكل: -Na-ba-a-a) (ti، مع الإشارة إلى أنهم عرب[٤]. وفي الوقائع التاريخية من عهد الملك نفسه، سيما في حملته التاسعة، التي توجه فيها على رأس جيشه ضد (ياتع)، أو (أويتع) (Uaité) ملك البلاد العربية عندما أخلّ، الأخير باتفاقية سلام كانت بينهما[٥]. وكانت قبائل شمالي الجزيرة العربية تنعم بالهدوء طالما كان السلم قائما بين آشوربانيبال وبين ملك بابل[٦]، ولكن عندما ثار عليه (شمش شوم أوكن) (Samassumukin) [٧] سنة ٦٥١ ق.م، استأنفت الحروب سيرتها في هذه المنطقة: ويبدو من المصادر أن القبائل كانت أكثر وداً لبابل، مما هي لآشور، ومنحها العمل الهجومي، الذي قام به (شمش شوم أوكن)، فرصة لتنهب الولايات الآشورية، وتذكر المصادر أن (أويتع بن خزا إيل)، ملك العرب القيداريين[٨]، نهب وقبيلته الحدود الغربية للصحراء، من أدوم جنوباً إلى مدينة حماة شمالاً، كما أرسل إمدادا إلى (شمش شوم أوكن) في بلاد بابل، تحت قيادة (أبي يتع بن تثري) (Abijate). وزحفت الحاميات الآشورية في المنطقة السورية لمواجهة أويتع، ودحرته إلى الصحراء. وهناك جرت عدة مصادمات بينهما، أجبرته على الهرب والنجاة بنفسه. ورغبة في الحصول على نجدات عسكرية، لجأ إلى (نتنو) (Natnu)، ملك الأنباط، وأقنعه بمحاربة الآشوريين[٩]. ومع ذلك، عندما تمكن آشور بانيبال من إحكام سيطرته على المناطق الشمالية من بلاد العرب، وإسقاط بابل سنة ٦٤٨ ق.م، قرر (نتنو)، ملك الأنباط، أن يعترف نظريا بسيادة آشور بانيبال، وذلك بإرسال السفراء، إذ لم يحدث سابقاً أن أرسل أسلافه رسلاً إلى بلاط نينوى. ويبدو أن (نتنو) لم يكن ليطمئنّ إلى آشور بانيبال، الذي لم يكن بدوره يطمئن إلى نتنو؛ ولذلك خان الأخير عهده مع (أُويتع)، ملك قيدار، الذي كان قد لجأ إليه وسلّمه لأيدي الآشوريين[١٠]. كما بعث بالرسل إلى آشوربانيبال يعرض عليه إتفاقية سلام، وافق الأخير عليها[١١].

لم يدم الهدوء طويلاً في بلاد العرب. فقد نهبت قبيلة قيدار والقبائل التابعة لها، مرة أخرى الولايات الآشورية المجاورة لها. وقد أثارت هذه الأعمال ثائرة آشور بانيبال، وبدأ التحضير

لحملة قوية تحطم قيدار، وتخمد أنفاسها إلى الأبد. وسعت قيدار بالمقابل إلى طلب العون من الأنباط. ولما كان ملك الأنباط يخشى على استقلاله، في الوقت الذي أراد فيه طرد الآشوريين، فقد تحالف مع قيدار، التي كانت تحت قيادة (أويتع بن بيردده) ابن أخ "أويتع بن خزإيل" السابق . ويبعث "نتنو" جزءاً من جيشه بقيادة (أبي يتع)، لملاقاة الجيش الآشوري الزاحف(١٢). الذي هزمهم، وأسر منهم عددا وافراً، وغنّم أعداداً من الحمير والإبل والماعز، التي سيقت إلى دمشق. وتابع الجيش الآشوري مطاردة العدوّ (١٣)، وتعقب فلولهم؛ ولكنه اضطر للعودة إلى مناهل المياه، لأن الصحراء القاحلة كانت تنذره بالموت عطشاً، وفي تلك الأثناء هرب مقاتلو قبيلتي الأنباط والإسمّئ (Ismme) على ظهور الجمال، عابرين الصحراء إلى المنطقة البركانية، إلى الشمال الشرقي من حوران. وسرعان ما بلغت هزيمتهم معسكرات قبيلتي قيدار وأترسمين (Atarsamain)، المنتشرة في الوديان إلى الجنوب الغربي من تدمر، مما أدى إلى اسراع القبيلتين للفرار إلى المنطقة البركانية الوعرة شمالي حوران. إلاّ أن قطعانهم، خاصة الأغنام، أعاقت حركتهما، ما مكّن الجيش الآشوري من متابعة آثارهم، والإحاطة بحشودهم. ونجا (أويتع) بنفسه بشق الأنفس مع جنده، إلا أن تماثيل آلهته وأمه وزوجته وأسرته وحميره وإبله وأغنامه، غَنمها الآشوريون(١٤).

وكان (أبي يتع) يقود راكبي الجمال، الذين أرسلهم الأنباط مدداً لقيدار. فعسكر بهم في منطقة بركانية، تقع إلى الجنوب الشرقي من دمشق. وكانت إبلهم غير معتادة على المنطقة البركانية، لأنها جاءت من مناطق صحراوية رملية، مما اضطر (أبي يتع) لأن يبقى على الحدود، حيث يمكنه حماية مصادر المياه المهمة. ولكن فرقته هُزمت، وأُسر أخوه أيامُّو (Aiammu). ولكن الجيش الآشوري رغم انتصاره، لم يجازف بالدخول في المنطقة البركانية، واكتفى بالاستيلاء على المصادر المائية عند طرفها. وقد عانى الفارّون من جنود القبائل العربية بين الصخور، من الظمأ، فشقوا كروش الإبل وشربوا ما وجدوا فيها من سوائل ؛ ومات منهم كثيرون، واستسلم من بقوا على قيد الحياة، وقد اقتادهم الآشوريون مع نسائهم وحيواناتهم غنائم إلى أشور(١٥). أما(أويتع)، ملك قيدار، الذي بقي مع جنده في الصحراء، فقد ثار عليه رجاله بعد الهزيمة، وسلموه إلى آشوربانيبال، الذي عفا عنه(١٦). أما نتنو، ملك الأنباط، فيُذكر أن آشوربانيبال قام ضده بحملة تأديبية ، فدمّر مستوطناته، وأُسرَ نتنو نفسه وزوجته وأولاده، وغنم الآشوريون غنائم كثيرة منهم، ونجا نخرو بن نتنو، ثم استسلم جالباً معه إتاوة كبيرة.

فجعله آشوربانيبال ملكاً محلَّ أبيه، وأقسم يمين الطاعة للملك الآشوري[١٧].

لم يُذكر الأنباط بعد حوليات آشوربانيبال، ولا في وثائق الأمم المعاصرة لهم، ولا في مدونات الدولة البابلية الجديدة (٦٢٦-٥٣٩ ق.م) وما بعدها، ولعل السبب عدم وجود علاقة، أو اتصال، بينهم وبين من عاصرهم من تلك الدول .

٢ - مراحل تطور نشاط الأنباط الاقتصادي :

أدى سقوط الدولة الآشورية، ومن ثم الدولة البابلية الجديدة، وسيطرة الفرس الأخمينيين، على معظم الشرق الأدنى القديم، إلى وجود فراغ سياسي، شمالي شبه الجزيرة العربية، جراء اتجاه الفرس إلى السواحل الأيونية وآسيا الصغرى، تاركين حرية التنقل والترحال للقبائل العربية، التي تقطن المناطق الممتدة من بلاد الرافدين شرقاً، حتى سواحل البحر المتوسط غرباً[١٨]. وكانت هذه فرصة ذهبية أمام عدد من القبائل العربية، للسيطرة على المواقع الحيوية على الطريق التجارية الرئيسية، التي كانت تربط بين جنوبي شبه الجزيرة العربية و شمالها. وكان الأنباط أهم هذه القبائل، الذين نجحوا في الاستقرار في المنطقة المحيطة بالبتراء. وكان ذلك نحو النصف الأول من القرن السادس ق.م[١٩] .

أورد المؤرخ ديودوروس الصقلي (Didorus of sicily) عن هيرنموس القردياثي، روايات عن الأنباط، وهم في أوج بداوتهم. فذكر أنهم كانوا بدواً يعشقون الحرية، ويقومون بتربية الجمال والغنم، ويتغذون على لحومها وحليبها؛ ولكنهم لم يقنعوا بتربية الإبل والماشية، ولا اقتصروا على حياة الرعي ، بل تميزوا عن كثير من البدو أمثالهم، بالإقبال على حياة التجارة، وساطةً وشراءً وبيعاً، حتى عُرفوا بالثراء[٢٠] وهذا ما يؤكده قول ديودورس الصقلي: " هناك العديد من القبائل العربية، التي تتخذ الصحراء مرعى لقطعانهم، لكن الأنباط يفوقون الجميع بثرواتهم الكبيرة، التي كونوها عن طريق جلب البخور والمر والتوابل والأشياء الغالية من البلاد التي تسمى بالعربية الجنوبية "(Arabia Eudaemon)[٢١]. استقر أوائل الأنباط في منطقة البتراء، وتعايشوا مع مَنْ بقي من سكانها المحليين من الأدوميين[٢٢] بعد أن غلبوهم على مدنهم وقراهم، ولا يُعرف هل جرى ذلك سلماً أم حرباً؟ ويبدو أن اختلاط الشعبين الأدومي والنبطي، كان من طريق الزواج، أو الاندماج الطبيعي. وهكذا أصبح الأدوميون، مع مرور الوقت، أنباطاً بالتبعية[٢٣]، خاصة أن العائدات التجارية، من نقل البضائع بين مصر وفلسطين

وشبه الجزيرة العربية والعراق، كفلت للجميع الكسب المادي، والرفاهية في العيش. فترك الجميع حياة البداوة وأصبحوا تجاراً. وأخذت قوافلهم تجوب الصحراء، تحمل البضائع نحو جنوب الجزيرة العربية وشرقها، وإلى بلاد فارس ومصر، وإلى دمشق وسواحل البحر المتوسط. وقد وجدوا في البتراء مقراً ومستودعاً لهم، يخزنون فيه بضائعهم، ويحتمون به عن أعدائهم(٢٤). وزاد من أهمية البتراء موقعها الجغرافي المميز، إذ تقع إلى الشرق والشمال من خليج العقبة، حيث يمر الطريق التجاري العظيم، الذي كان منذ زمن بعيد يخترق الجزيرة العربية، من جنوبها إلى شمالها، فمن الملاحظ أن الموقع كان مؤهلا للتحكم في التجارة الواردة إليه، من جنوب الجزيرة العربية والمتجهة إلى المواقع الرئيسة في سورية الداخلية، أو ما يعرف بـ (جوف سورية)(٢٥) (Coele Syria) في الشمال، إلى أن تتصل مع الطريق المتجهة إلى غزة والبحر المتوسط غربا(٢٦). كما كان الموقع من الناحية الاستراتيجية، ملائما للسيطرة على المنطقة المحيطة بها، نظراً لكونها محمية بحواف صخرية من الشرق والغرب، وبصحراء ممتدة تحميها من الشمال والشمال الشرقي. وكان المنفذ إلى المدينة يقع في الجهة الشرقية من الحافة الصخرية، التي تنكسر محدثة الشق الضخم المعروف بالسيق، ويكون الدفاع عن المدينة من هذا الشق في غاية السّهولة(٢٧).

ولا ريب في أن الأنباط أفادوا من موقعهم، على طريق التجارة الآتية من جنوبي الجزيرة العربية، والذاهبة شمالاً في المنطقة الواقعة شرقي الأردن، مارة بـ (عمّان) أو (ربة عمون) أو فيلادلفيا (Philadelphia)(٢٨)، وجرش، حتى تبلغ موانئ الساحل الكنعاني (الفينيقي)، وتتجه نحو الشمال الشرقي، فتبلغ بصرى ثم دمشق، أو تتجه غرباً إلى غزة أو العريش(٢٩). كما كانت البتراء، أيضاً، نقطة التقاء طرق تجارية برية أخرى قادمة من الجرهاء (Gerrha) (٣٠) على الخليج العربي، الناقلة لتجارة الهند والصين، من منتوجات شرقية، لتباع وتوزع في سورية ومصر وموانئ البحر المتوسط. وبفضل هذا الموقع الحيوي أصبحت دولتهم تجارية الطابع، إذ قاموا بدور الوساطة في نقل البضائع وتوزيعها وتسعيرها(٣١)، حتى إن المؤرخ والجغرافي استرابون شبّه هذه القوافل، من كثرتها، بالجيوش(٣٢).

استطاع الأنباط، خلال فترة قصيرة، السيطرة على معظم طرق القوافل التجارية، وشكلوا همزة وصل تجارية بين أقطار العالم القديم. فحملوا إلى الشرق منتجات الغرب، وإلى الغرب منتجات الشرق. كما حملوا منتجاتهم النفيسة، إلى كل من العَالَمَين الشرقي والغربي(٣٣).

وعلى هذا، لم تكن البتراء محطة استراحة للقوافل التجارية فحسب، بل كان يتم على أراضيها، خاصة ضواحيها، مختلف الأنشطة التجارية، حيث كان التجار الأنباط يستثمرون أموالهم، في بضائع تلك القوافل المختلفة. كما كانوا يعملون وسطاء تجاريين، أو وكلاء لبعض المنتجات، التي ترد إليهم من خارج منطقتهم[٣٤]. و على تخومهم البعيدة، كانت السفن الهندية والصينية تأتي محملة بالبضائع، فترسوا في الموانئ العربية الجنوبية، وتفرغ حمولتها لتنقلها القوافل من اليمن، عبر الطريق الرئيسي المعروف بطريق البخور، القادم من جنوب الجزيرة مخترقا بلاد الحجاز، ومارآً بديدان (العلا حالياً). لكن بعد قيام دولة الأنباط، سيطر تجار الشمال الجدد على التجارة، سيما بعد امتداد نفوذهم نحو الجنوب. فحلت الحجْر (مدائن صالح حالياً)، مكان ديدان كمركز تجاري. وأصبحت القوافل تتجه إليها، دون المرور بديدان، ومنها إلى البتراء. وعلى هذا كانت معظم البضائع، بما فيها الذاهبة إلى مصر، تمر بهم. كما لم يعد اليمنيون الجنوبيون يتجاوزون مدينة الحجر، على حدود الأنباط الجنوبية [٣٥]. وذلك ربما بعد حملة "إليوس غالوس" على اليمن، حيث وجهوا قوافلهم نحو الشرق باتجاه الجرهاء، ومنها إلى بلاد الرافدين حيث ازدهرت تجارة الفرثيين .

ولهذا كانت التجارة عصب الكيان السياسي النبطي. والقاعدة التي يفسر في ضوئها كل توسع قام به الأنباط، الذين لم يكونوا في توسعهم يندفعون بحوافز المجد السياسي، أو الاعتزاز بالقوة، أو حب السيطرة نفسها، بل كان همهم الأكبر الاستيلاء على طرق القوافل المهمة، التي تؤمّن لهم نقل المتاجر بأمان[٣٦]. وقد أدى بداية انحلال كل من الدولة السلوقية[٣٧] في سورية، والدولة البطلمية[٣٨] في مصر، عند نهاية القرن الثاني ق.م، وبداية القرن الأول ق.م، إلى ظهور المملكة النبطية، كدولة قوية متماسكة، لها حاضرة منيعة هي البتراء، التي وصل نفوذها التجاري والسياسي حتى لويكي كومي[٣٩](Leuke Kome)، الواقع في أقصى الشمال من الجهة الشرقية للبحر الأحمر. والحجر في الجنوب، وإلى بصرى وجنوب حوران في الشمال، ومن واحة الجوف ووادي السرحان في الشرق، إلى شمال سيناء وأطراف مصر في الغرب[٤٠]. كما شملت، أيضاً، أجزاء واسعة من إقليم النقب بفلسطين، كما كان لها موانئ بحرية على سواحل البحر المتوسط[٤١]. وقد استطاع الأنباط أن يحولوا تجارة جنوب الجزيرة العربية، وتجارة الجرها(الجرعاء)، عبر دومة الجندل (الجوف حالياً) وتيماء، بعد أن كانت هذه التجارة، خاصة في البخور، تنتقل من الجرهاء إلى بابل (وما وراءها) بحراً. وقد حملهم على التجمع في

البتراء، وقيامهم بعملية التنسيق والتسويق، وثم حمل هذه السلع إلى موانىء البحر المتوسط ومنها كانت تجارتهم تنطلق إلى العالم الأبعد، إلى رودس وديلوس وإلى بتولي في إيطالية(٤٢).

وقد جنى الأنباط أرباحا طائلة من تجارة نقل البضائع، في مختلف المناطق التي وصلوا إليها، إضافة إلى ذلك كسبوا ثروات طائلة، بسبب الضرائب التي كانوا يفرضونها على التجارات، التي تعقد على أرضهم وعلى القوافل التي تمر في أراضيهم، والتي بلغت نسبتها ٢٥٪ من قيمة البضائع، التي كانت تجبى في الميناء النبطي لويكي كومي، على حد زعم المؤرخ بليني(٤٣).

وفي مقدمة السلع، التي كان الأنباط يتاجرون بها من خارج منطقتهم، البخور الذي كان مادة ضرورية في حياة الناس وعباداتهم ، كما كان البخور والمر يستعملان في تركيب العقاقير. وكان المر وحده يتخذ في صناعة مواد التجميل والعطور، وفي شؤون الدفن(٤٤). وأما في مجال التجارة المحلية، فقد اشتهرت منطقة الأنباط بانتاج البلسم الذي يستخرج من أشجار البلسم، في أريحا، والقار، الذي يستخرج من البحر الميت، ويعد القار أحد أهم منتجاتهم، إذ كان يطفو على شكل كتل فوق سطح البحر الميت، ويتولى الأنباط استخراجه وجمعه، ثم تصديره غالباً إلى مصر، حيث كان المصريون يستخدمونه في صنع بعض العقاقير الطبية ، وكذلك في تحنيط الموتى(٤٥). وكانت أسواق الأنباط المحلية معرضاً للحيوانات، وللمنتجات الحيوانية، من ضأن وبقر وجمال. وتمثل البتراء سوقاً نبطية، يمكن أن تأخذ صفة العالمية، آنذاك، بدليل أن تجارها لم يكونوا جميعا من الأنباط. فقد زخرت المدينة بالتجار اليونان والسوريين والرومان وغيرهم. ومن ثم، فقد كانت تسمع لغات مختلفة، كالآرامية واليونانية واللاتينية والعبرية (٤٦).

وقد تحتم على اهتمام الأنباط بالجانب الاقتصادي، حرصهم على سك عملة خاصة بهم، وعدم الاعتماد على العملات الأجنبية، ويبدو أن سكهم للعملة هو تأكيد للكيان السياسي. ففي عهد الملك النبطي الحارث الثالث (٨٧-٦٢ ق.م)، سُكّت أول عملة خاصة بهم، وكانت أولى محاولاتهم تقليد العملة السّلوقية، التي كانت مستخدمة في دمشق؛ ثم بدأت تأخذ الطابع المحلي في الشكل، وإن استمرت تتبع في معاييرها العملة السلوقية، التي اعتمدت على المعيار الكنعاني الفينيقي، الذي هو في الأساس المعيار الفارسي(٤٧). وقد سكّ الحارث الثالث سلسلة من العملات النبطية في دمشق، تخليدا لدخولها في حكمه، ولعل ذلك كان نحو سنة ٨٥ ق.م، إلا أن تلك العملة استمرت تحمل شعاراً سلوقياً، باليونانية لا بالآرامية، وهي أول سكة يَظهر عليها اسم الملك النبطي وصورته، وقد ألحق الحارث باسمه عبارة " محب اليونان " -Philhel)

len)، وظلت تلك النقود تـصدر حتى سنة ٧٠ ق.م، حين انتـزعها "بومـبي" من أيدي الأنباط . وفي بعض النقود النبطيـة الفضية، التي عـثر عليها، إشارات إلى مـلك الأنباط مالك (٦٢-٣٠ ق.م)، التي كـتب عليهـا "مالك الملك، ملك الأنبـاط"، ونقش على أحد وجـهيـه صورة رأس مالك، وعلى الوجه الآخـر صقر قد ضمّ إليـه جناحيه، وذلك تقليدا للعملـة البطلمية(٤٨). وقد تعرضت العملة النبطية لعدد من التطورات، التي تعكس ظروف الدولة السـياسية والاقتصادية، مما يدل على أهميـة العملة في اقتصـاد الدولة. فمثلا كـان سبب زيادة النقود البرونزيـة في عهد الملك مالك الأول، عـائداً لحروبه مع الدولة اليهـودية، وكان في حاجـة الى قدر كبيـر من النقد لدفع مرتبات الجنود، وتجنيد عدد إضافي منهم(٤٩). وفي عهد الملك النبطي عبادة الثالث (٣٠-٩ ق.م)، أصبـحت العملة النبطية أقل وزنا من العـملات السابقة، كـما تدهورت نسبة الفـضة فيها لتصبح أقل من ذي قبل، ويعود ذلك إلى زيادة النفوذ الروماني بعد احتلالهم مصر، وسيادة عمـلاتهم في أسواق الولايات الرومـانية الشرقـية(٥٠). وكان الملك النبطي الحـارث الرابع قد خلّد أيام حكمه، بتـوالي الإصدارات النقدية، حتى لا تكاد سـنة من سنوات حكمه المديد تمضي دون نقد جديد. ولهذا يمكن أن نجـد بين كل عشر قطع نقدية نبطية معـروفة، ثماني قطع ضربت في أيامه(٥١). وعـرف نظام النقد النبطي نظـام الفئـات، كالنصف والربع، ووجـد فيـه نوع من التخصص، فقـد كان لكل مدينة عملة خاصة بها، وهي عـادة برونزية، وذلك إضافة إلى العملة الرسمـية للدولة، وهي المسـتخدمـة في التجـارة العالميـة. وتمثل هذه جل العملات الـنبطية(٥٢). خاصة في الفترة، التي بـدأ فيها أُفول التجارة النبطية، وظهور دولتـي بصرى وتدمر على مسرح الأحداث الاقتصادية، ووراثة دور البتراء(٥٣).

ومع كل هذا الظهور الاقتصـادي التجاري النبطي، أظهر الأنباط اهتمـاماً آخر بالزراعة. ولا شك أن ذلك تطلب مهارة متفوقة في التـقنية المائية. وتذكر الدراسات الأثرية أن الأنباط برعوا في الزراعة، على الرغم من أنهم واجـهوا مشكلتين كانتا من الممكن أن تعطلا أي عـملية زراعة وإنتاجية، هما: أن معظم الأراضي المتـوفرة لديهم لم تكن صـالحة للزراعة، وكذلك قلة الأمطار الموسمية . ولهذا كانت عمليات الزراعة والفلاحة قليلة في مطلع تاريخهم، لكنهم عملوا على تطويرها وتقدمـها. وصاحب ذلك تطوير في الهندسة المائـية زادت من قدرتهم على اسـتعمال المصادر الطبيعية المتوفرة، وتحويلهـا إلى مصلحتهم، حتى أصبحت مـن أهم حرفهـم(٥٤). وهذا التطوير في الهندسـة المائيـة، أدى إلى التوسـع الزراعي. ومن السهل أن نـتصـور أنهم مارسـوا

زراعة شتى أنواع الحبوب، وغرس معظم أشجار الفواكه، خاصة العنب. وفي رسومهم تؤدي شجرتا العنب والرمان دوراً مهما في الزخرفة(٥٥).

٣ - غزو الإسكندر المقدوني للشرق وأثره على تاريخ المنطقة :

آل الحكم في وادي الرافدين وسورية ومصر إلى الفرس الأخمينيين، بعد سقوط بابل، نحو سنة (٥٣٩ ق.م). لأن العامل الاقتصادي كان أساسياً في تحرك الفرس للسيطرة على هذه الأقاليم، كان لا بد من اصطدامهم بقوى اليونان النامية في آسيا الصغرى، خاصة في إقليم أيونية، وبعض جزر الأرخبيل اليوناني، التي كان يسوؤها حتماً خضوعها سياسياً للإمبراطورية الفارسية، أو تحويل طرق التجارة إلى الشاطئ الكنعاني(٥٦). وقد أدى هذا التعارض في المصالح إلى قيام الحروب الفارسية (٤٩٠-٤٧٨ ق.م)، التي لم تكن لها نتائج ملموسة، باستثناء أن استهلالها شكَّل عداءً أصبح تقليدياً بين الشرق والغرب. وتوعد اليونانيون الفرس أن ينتقموا، لإقدام الأخيرين على غزو بلادهم وتهديم مدينة أثينا. وأصبح الشغل الشاغل لأي زعيم يوناني، هو الانتقام من الفرس. وعندما تسلم فيليب الثاني(٥٧) (٣٥٩-٣٣٦ ق.م) مقاليد الملك، سعى الى تحقيق هدفين، أولهما: توحيد بلاد الإغريق وإرغامها على تأييده، ثم قيادتها في حرب قومية ضد الفرس. وقد تحقق له الهدف الأول عندما انتصر على الجيش الإغريقي، بزعامة أثينا، في معركة "خايرونية" (Chaeronea) سنة ٣٣٨ ق.م، وتمكّن من تأسيس دولة كبيرة جمعت تحت لوائها معظم المدن الإغريقية(٥٨) . وثانيهما: غزو فارس.

كانت الدولة الفارسية، هي القوة العظمى الوحيدة في الشرق الأدنى القديم. ولهذا سعى فيليب جاهداً لإنشاء قوة عسكرية توازي القوة الفارسية، وأعدّ نحو سنة ٣٣٧ ق.م جيشاً لهذه المهمة. لكن القدر لم يمهله لتحقيق هذا الهدف، فقد أُغتيل سنة ٣٣٦ ق.م، ونادى كبار القادة العسكريين بابنه الاسكندر ملكاً على مقدونية، ورئيساً للحلف الهلليني، دون منازع(٥٩). وكان على الاسكندر، وهو في طريقه للقضاء على دولة الفرس، أن يُخضع آسيا الصغرى وسورية ومصر. وتحقق له ذلك إثر انتصاره في معركة جرانيكوس (Ganikos) ثم في موقعة (Is-sos)"اسوس" سنة ٣٣٣ ق.م، التي تُعد أهم امتحان اجتازته القوات المقدونية، في مواجهة الجيوش الفارسية، بقيادة الملك الفارسي دارا الثالث (Dara)(٦٠) وأوقعت بها هزيمة قاسية(٦١).

نجح الاسكندر في تقويض دعائم الإمبراطورية الفارسية والقضاء عليها، بعد اغتيال الملك الفارسي، سنة ٣٣١ ق.م. وسيطر على العاصمة الفارسية "إكباتانا"، نحو سنة (٣٣٠ ق.م) . وبذلك طويت صفحة دولة الفرس، وبدأت سيطرة المقدونيين، على منطقة الشرق الأدنى القديم(٦٢). و لم يُعمّر الاسكندر المقدوني طويلاً، إنما سقط صريعاً بعد إصابته بالحمى في بابل، ومات في تموز (يوليو) سنة (٣٢٣ ق.م). وبموته توقفت جميع مشروعاته التوسعية، بل تدهورت إمبراطوريته، وسرعان ما تنازعها كبار قادته العسكريين، وذلك بعد حروب مريرة دارت بينهم، انتهت بقيام ثلاث ممالك، هي: مملكة البطالمة في مصر وجوف سورية، ومملكة السلوقيين في سورية وآسيا الصغرى، ومملكة انتيجونوس في مقدونيا وبلاد اليونان(٦٣) .

ثانيا : الأنباط في العصر الهلنستي

١- في عهد انتيجونوس ٣١٢ ق.م :

يُعد القائد انتيجونوس(٦٤)(Antigonus) من أبرز قادة الاسكندر المقدوني، الذين آل إليهم حكم المنطقة الآسيوية من إمبراطورية الاسكندر منفرداً، في الفترة ما بين ٣١٦-٣٠١ ق.م. ويعد نشاطه الحربي في تلك الفترة، مع ابنه ديمتريوس (Demetrius)، من أبرز الأنشطة العسكرية والسياسية، وهي الفترة التي بدأ بها احتكاكه بالأنباط(٦٥). وكان الأنباط في الفترة نفسها قد نشطوا مجال التجارة، سيما في الربع الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد، وكرسّوا احتلالهم وسيطرتهم على مساحة تمتد من البتراء، إلى سواحل البحر الميت، وقد طوروا طريق البتراء التجاري، وارتبطوا بعلاقات تجارية مع مصر وسوريا والممالك العربية الجنوبية، حتى أصبحت البتراء عاصمة القوافل التجارية(٦٦)، التي اهتمت بالبخور والطيوب والتوابل والقطران والبلسم والسلع الحيوانية، وغيرها من البضائع، التي أمدتهم بثروات تفوقوا فيها على القبائل التي عاصروها(٦٧).

وقد أورد ديودورس الصقلي رواية، نقلها عن طريق هيرونيموس، أن أنتيجونوس قام بحملتين عسكريتين ضد الأنباط(٦٨)، خلال سنة ٣١٢ ق.م(٦٩)، ويُعد هذا أول ذكر عسكري للأنباط في الروايات الكلاسيكية المكتوبة. ويبدو أن ثراء البتراء كان أحد الأسباب، التي جعلت أنتيجونوس يغزو الأنباط، بسبب معرفته الأكيدة بالثراء، الذي تمتع به الأنباط في البتراء،

وحاجتـه الماسة لهذه الأموال لإنفـاقها في حروبه ضـد معارضيه، من قـادة الاسكندر، وأهمهم سلوقس (Seleucos)، وشريكه بطلميوس (Ptolemaios)[٧٠]، إضافة إلى لوسيماخوس (Ly- simachos)[٧١].

٢- علاقة الأنباط مع الدولة البطلمية :

كانت مـوقعـة أبسوس (Ipsos) سنة (٣٠١ ق.م) آخر الحـروب المهمـة بين قادة الإسكندر، والنهاية الأكيـدة لطموحات أنتيـجونوس، عندما هزمه غـريماه سلوقس ولوسيماخـوس وأسسا على الساحة السـياسية دولتين، هما: دولة السلوقـيين في آسيا الغربية، ودولة لوسيـماخوس في آسية الصغـرى، وإلى جانبهما ظهرت دولة البطالمة في مـصر وجوف سورية[٧٢]. وكان لظهور هذه الدول، ثم زوال دولة لوسيماخوس، أثر واضح في التكوين السـياسي للمنطقة، وقيام دولة الأنبـاط، إذ استغل الأنبـاط، أحـسن استـغـلال، الصراع الـذي نشب بين السلوقـيين والبطالمة، وعرف باسم "الحروب السورية". وقد كان من أهم أسبـاب اشتعال تلك الحروب، رغبة البطالمة في الاحتفـاظ باقليم يـدعى "جوف سـورية"، وإنكار السلوقيين هذه الرغـبة، والزعم أن جوف سورية تابع لدولتهم، ولا حق للبطالمة فيه[٧٣]. ولهذا، بدأت أولى الحروب السورية. واستمرت حتى عـهد أنطيـوخس الرابع ابيـفـانس (Epiphanes) (٢١٥-١٦٣ ق.م)، الذي قـاد الحرب السورية السادسة، واستطاع السيطرة على مصر؛ ولكن استنجاد البلاط البطلمي، آنذاك، بالدولة الرومانية وتدخلها في الصراع، أكره الملك السلوقي على الانسحاب الفوري من مصر[٧٤].

اهتم البطالمة بالتـجـارة، وحاولوا جـعل مصـر قنطرة بين البـحر المتـوسط والبحـر الأحمـر، وسوقاً تلتقي به الـتجارات الآتية من الشمال والجنوب، من أوربا وحوض الـبحر المتوسط، ومن السودان والحبشة، و بقية أنحاء أفريقيـا، ثم من جزيرة العرب والهند، ما جعلهم يهتمون بالبحر الأحمر، والمحيط الهـندي، والتجار، الذين يرتادون هذه البحار. وهكذا جاء اهتـمامهم بتكوين أسطول كبـير، يتناسب مع تجارة العصـر ووجودهم في مـصر[٧٥]. ولما كان الأنبـاط يعتـمدون اعتمـاداً كبيراً على الـتجارة، في بناء دولتهم ومـؤسساتهم. وقد توافـقت ظروف ظهور الدولة البطلمية في الاتجاه نفسه. وعندما تـسلم بطليموس الثاني فيلادلفوس (Philadelphos) الحكم، (٢٨٥-٢٤٦ق.م)، أثبت قدرته السيـاسية وتكريسها في خـدمة الاقتصاد. وقد شـغل نفسه في الفتـرة ما بين (٢٧٨ - ٢٧٧ق.م)، باخـضاع قبـائل أدوميه والبحر المـيت وشرق الأردن، في

محاولة ناجحة للسيطرة على التجارة الشرقية، كما اقتفى أثر أبيه في القيام ببحوث كشفية لمعرفة شواطئ البحر الأحمر، وشعوبه وموارد الثروة هناك، والى الاهتمام بالطرق، التي تربط وادي النيل بالبحر الأحمر، وبإنشاء الموانئ على هذا البحر(٧٦). ويبدو أن الفرصة كانت مهيأة له، فقد كان المسرح السياسي خالياً من القوى العظمى، وكانت الحاجة الاقتصادية ملحة، من أجل استعادة النفوذ المصري على البحر الأحمر. ولذا، يمكن القول إن سياسة البطالمة اتجهت نحو تنمية اقتصادها، لتحقيق هدفين هما: السعي إلى إحياء إمبراطورية تماثل الإمبراطورية المصرية القديمة، والآخر، تحقيق الرخاء الاقتصادي، الذي يتيح لها بناء الجيش والأسطول القادرين على فرض السيطرة، وبالفعل نجح البطالمة في السيطرة على التجارة، عندما فتح الطريق التجاري البحري بين جنوب شبه الجزيرة العربية، وخليج السويس شمالاً، ووضعت مصر يدها على معظم تجارة الطيوب والتوابل، التي كانت رائجة في ذلك العصر(٧٧). وبهذا العمل ضرب البطالمة الأنباط في الصميم. وكان عليهم مواجهة، الذين كانوا بحكم موقعهم على الجهة الشرقية للبحر الأحمر، سيما حول خليج العقبة، حريصين على ألا تفلت من أيديهم التجارة العربية، التي كانت تمثل عصب حياتهم. وفعلاً لم يتردد الأنباط في محاولات لتحدي سفن البطالمة ومهاجمتها، لكن محاولاتهم باءت بالفشل(٧٨).

أدت سياسة البطالمة، الرامية إلى السيطرة على البحر الأحمر، واحتكار التجارة البحرية، إلى إلحاق بعض الأضرار بالأنباط، وبغيرهم من العرب، الذين كانوا يعتمدون على التجارة البرية والبحرية. لكن الأنباط استغلوا الفرص في مهاجمة البطالمة، رغم كل الاحتياطات، التي وضعها بطلميوس فيلادلفوس في خليج العقبة، لحماية التجار والسفن من تعرض الأنباط لها(٧٩). وهو أمر سنتناوله تفصيلا عند استعراض النشاط الحربي للأنباط.

٣ - علاقة الأنباط مع الدولة السلوقية :

سبق ذكر محاولة أنتيجونوس الفاشلة في إخضاع الأنباط سنة ٣١٢ ق.م، ثم محاولة ابنه ديمتريوس، التي انتهت بالفشل أيضاً. وانتهى الأمر بعقد الصلح بين الطرفين(٨٠). وهو الصلح، الذي تحول إلى هدنة بين السلوقيين والأنباط فيما بعد(٨١). فقد كان للأنباط دور خلال الصراع بين البطالمة والسلوقيين، حول جوف سورية، حتى تم إبعاد البطالمة منها بعد معركة بانيون (Pa-niun) الشهيرة، نحو سنة ٢٠٠ ق.م. بعدها بدأ المد البطلمي في الانحسار في شرق البحر

الأحمر، ومن ثم انتهز الأنباط الفرصة ليمدوا نفوذهم على طول ساحل الحجاز، حتى وصلوا إلى ميناء لويكي كومي، وجعلوه ميناءهم الرئيسي في المنطقة[٨٢].

ولمّا بدأ الضعف يدب في أوصال الدولة السلوقية، في أعقاب مواجهتها عدداً من المشاكل الداخلية، حاول الأنباط انتهاز الفرصة والاستفادة من ظروف تداعي تلك الدولة، التي كانوا حلفاء لها من قبل. وعاون ملك الأنباط الحارث الأول (Aretas) (١٦٩-١٤٦ ق.م) اليهود المكابيين[٨٣]، ضد الدولة السلوقية، وذلك عندما تزعم يهوذا المكابي سنة ١٦٨ ق.م الثورة ضد السلوقيين. وبالفعل حصل الأنباط على ما كانوا يريدونه، عندما انكمشت الدولة السلوقية، حتى أصبحت لا تزيد عن ولاية أنطاكية وما حولها ؛ وتوسعت مملكة الأنباط، حتى أصبحت تمتد من لويكي كومي، حتى دمشق شمالاً[٨٤].

يُعد الحارث الثالث (٨٧-٦٢ ق.م)، من أقوى ملوك الأنباط وأكثرهم شهرة في الفترة السلوقية، بناء على أنه وسّع دولته على حساب السلوقيين، والمكابيين، في آن واحد. ففي أواخر عهد سلفه الملك عبادة الأول، هزم الأنباط أعداءهم السلوقيين في معركة عنيفة ، لقي فيها الملك السلوقي أنطيوخوس الثاني عشر (Antiochus XII) مصرعه؛ وواصلت قوات الحارث الثالث، الذي تولى بعد عبادة، تقدمها نحو دمشق، واحتلتها نحو سنة ٨٥ ق.م[٨٥]. واستمرت كذلك إلى سنة ٦٤ ق.م، حين دخلت سورية دائرة الحكم الروماني، وبهذا انتهت الدولة السلوقية، التي كانت إحدى العقبات أمام استقرار الدولة النبطية[٨٦].

ويبدو أن ظهور الأنباط في المنطقة، ارتبط ببدء انحلال وتدهور القوتين السلوقية والبطلمية، وهو الأمر الذي أدى إلى اختلال ميزان القوى في المنطقة، نتيجة الفراغ السياسي الحاصل فيها، إلى تمكين الأنباط من إحكام سيطرتهم على طرق القوافل التجارية، خاصة الطريق المؤدي إلى الجنوب صوب العربية السعيدة "اليمن "، الذي أراد البطالمة إحكام السيطرة عليه[٨٧]. لكنهم استسلموا لتنامي قوة الدولة النبطية التي امتدت مكانياً لتشمل معظم شمالي شبه الجزيرة العربية، بين لويكي كومي جنوبا ودمشق شمالا، ومن واحة الجوف ووادي السرحان في الشرق، إلى شمال سيناء وأطراف مصر في الغرب[٨٨]، كما شملت أجزاء واسعة من إقليم النقب بفلسطين، إضافة إلى عدد من الموانئ البحرية على البحر المتوسط[٨٩]. على أن هذه السيطرة لم تكن مطلقة على الدوام، فقد نازع الأنباط سيطرتهم هذه دولة نشأت في أعقاب الثورة المكابية[٩٠] في إقليم بيت المقدس، هي دولة المكابيين "الحشمونية" .

ثالثا - علاقة الأنباط مع اليهود :

عاصر الأنباط الثورة المكابية (١٦٨ ق.م - ٧٠ م)، منذ انطلاقتها بزعامة ماتاثياس الحسموني، التي تمتع اليهود، نتيجة لها، بشيء من الاستقلال والسيادة في بعض الفترات، و إن كان هذا الاستقلال في اكثر الأحايين ذاتياً - تحت سيادة السلوقيين ثم الرومان[٩١] . وكان لماتاثيه خمسة أبناء، هم: يهوذا، يوحنا، شمعون، يوناثان، اليعازر، وقد تمكن أكبرهم يهوذا (Ju-das Macca baeus) من الاستيلاء على بيت المقدس سنة (١٦١ق.م)، إثر معركة عدسا (Adsa)، التي وقعت في السنة نفسها، وأودت بحياة يهوذا، وآلت قيادة الثورة إلى أخيه يوناثان (١٦٠-١٥٢ ق.م) من بعده[٩٢]. وكان الانباط قد تعاملوا مع اليهود قبل المكابيين، وذلك عندما نشب نزاع على من يتولي الكهانة العظمى، بين منلاوس ضد أخيه ياسون، وهروب الأخير إلى الحارث الأول سنة ١٦٩ ق.م، الذي يذكر كتاب المكابيين أنه طرد ياسون من أرضه، وتعقبه حتى وصل إلى مصر[٩٣]. ويبدو أن السبب هو القوة القائمة في اليهودية، التي كانت من وراء خذلان الحارث لياسون [٩٤].

وبعد هذه الحوادث اتسمت علاقة الأنباط باليهود المكابين بالوئام، حيث كانت في عهد "يهوذا" وأخوه "يوناثان"، حسنة بدليل أن الأخير (ت ١٤٣ ق.م)، طلب من الأنباط إعارته سلاحاً يستعين به على أعدائه . وهو طلب يشير، أولا إلى العلاقة الحسنة بين الطرفين، وثانيا، إلى أن الأنباط كانوا قوة اقليمية تمتلك ما يكفيها من السلاح والعدة والعتاد[٩٥]. ويذكر أن الحارث الأول أعان المكابيين ضد الدولة السلوقية [٩٦]. لكن هذه العلاقة الحسنة لم تستمر، فيما يبدو، لفترة طويلة، إذ سرعان ما انقلبت إلى علاقة عدائية، ويبدو ذلك بسبب إدراك الأنباط أن استمرارهم في تأييد ومساعدة المكابيين، السّاعين إلى الخلاص من الحكم السلوقي في سورية، قد ألحق أضراراً بمصالحهم الخاصة، خاصة أن سياسة المكابيين لم تقتصر على طلب الاستقلال، والخلاص من الحكم السلوقي، بل تعدتها إلى محاولة الاستيلاء على الأردن، والتوغل في مناطق الأنباط نفسها. إضافة إلى تخوف الأنباط من قيام دولة مجاورة قوية، تزاحمهم في يوم من الأيام. ورأى الأنباط أن من الخير لهم الامتناع عن تأييد اليهود، بل مقاومتهم إذا لزم الأمر[٩٧]. واستمرت العلاقة العدائية بين الطرفين إلى أن تحسنت في عهد الملك الحارث الرابع، حيث تمت مصاهرة سياسية بين ابنة الملك وهيرود انتيباس (Herod Anti-pas) (٤ ق.م - ٣٩ م). وعاش الزوجان معاً سنوات طويلة، إلى أن وقع هيرود انتيباس سنة

٢٧ م في غرام هيروديا، ابنة أخيه أرسطوبولس، وزوجـة أخيه فيليب، وكانت لا تحق له حسب الشـريعة اليـهـودية ، ومع ذلك فقـد اتفق العـاشقـان على الزواج شـريطة أن يطلق الزوج، ابنة الحارث، التـي ما إن علمت بذلك حتى انطلقت إلى أبيهـا هاربة، وأخبـرته بالخبـر مما أدى إلى غضـبه وتصـميـمه على الانتـقام [٩٨]. وهو أمر أدى إلـى عودة العلاقـة العدائيـة بين الطرفين، واستمـرارها، بل شارك الأنباط بقوة عـسكرية مع الرومان في القضاء على الدولة الـيهودية سنة ٧٠ م، عندما تمّ الاستيلاء على بيت المقدس، وإحراق الهيكل[٩٩].

الـهـوامـش:

(١) ملك أشور، أبن أسرحدون وخليفته، واسمه الآشوري أشور بن أبلي وسماه الإغريق (سردنابالوس) (Sardanapaallos)، وعثر على مكتبة هذا الملك وهي موجودة حالياً، في المتحف البريطاني، وتحوي على وثائق تعود إلى أيام حكمه وحكم أسلافه، وعلى نسخ لأهم نصوص الأدب البابلي القديم. (هنري. س. عبودي، معجم الحضارات السامية، ط ٢، طرابلس-لبنان (١٤١١ هـ-١٩٩١م)، ص ١٠٣، ص ٤٣٢) .

(٢) حوليات آشوربانيبال احتوتها اسطوانة "رسام" (Rassam) الموجودة في المتحف البريطاني، التي عثر عليها نحو سنة ١٨٧٨م في خرائب " كونجيك" (Kuyunjik) ونشرت بواسطة (Rawlinson, H.C., vol.V, pls.1-10) وترجمها للإنجليزية (Luckenbill, Daniel David, (1881-1927)., **Ancient Records of Assyria and Babylonia** [translated into English]. Chicago,(1926).

(٣) سميت كذلك لأن أحرفها مكونة من مقاطع على صورة مسامير؛ ناتجة عن الأثر الذي كانت القصبة المستعملة في الكتابة في بلاد ما بين النهرين تتركه على الطين الطري المستعمل بمثابة رقع للكتابة، ويتألف الخط المسماري من قرابة ٥٥٠ رمزا تصويريا؛ امتدت مرحلة الكتابة بالخط المسماري الكلاسيكي من قبل حمورابي واستمرت إلى ما بعد نابونيد. ووصل عدد الوثائق الخطية المكتوبة بالحرف المسماري زهاء نصف مليون وثيقة ؛ و قد أصبحت قراءتها متيسرة للاختصاصيين. (عبودي ١٩٩١م، ص ص ٧٩٣-٧٩٤). ولمزيد من المعلومات عن الخط المسماري انظر:(أحمد سوسه، **حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين**، دار الرشيد، بغداد،١٩٨٠م، ص ص ١٥٤-١٧٢).

(٤) Abu Taleb, M., "Nabayati, Nabayot, Nabayat, and Nabtu the Linguistic Problem Revised", **Dirasat** (1984), pp.5-6 ;Murray,M.A.,**Petra the Rock City Of Edom**, London. (1939), p 92 .

(٥) Pritchard, J.B., **The Ancient Near Eastern Texts**, Relating to the Old Testament, Third Edition ,with Supplemnet, Princetion , New Jersey, (1969), pp.297-298 ; رضا جواد الهاشمي "العرب في ضوء المصادر المسمارية"، مجلة كلية الآداب،جامعة بغداد، عدد ٢٢، شباط ١٩٧٨م، ص ٦٥٣ .

(٦) مملكة في العراق ، يجري فيها نهرا دجلة والفرات اللذان جعلا منها أحد أخصب البلدان

المنتجة للحبوب والتمور . عاصمتها بابل ومدنها الرئسية سلوقية وطيسفون. (عبودي ١٩٩١، م ص ص ١٩٣ - ١٩٤) .

(٧) ملك بابل (٦٦٨-٦٤٨ ق.م) من السلالة التاسعة عيّنه أبوه أسرحدون ملكاً على بابل، حوصر في بابل ، وأحرق قصره ؛ فمات بين اللهب .(عبودي ١٩٩١م، ص ص ١٩٣، ١٩٤) .

(٨) قيدار: (Qedar) ذُكرت في العهد القديم بأنها من نسل إسماعيل عليه السلام، وكانت قبيلة قوية ذات رماة كثيرين سكنوا في الصحراء وفي المستوطنات وفي خيام بين الصخور وعلى الجبال، وكانوا أصحاب ماعز وغنم وحمير وبعضهم احترف الفلاحة. (الويس موسل، **الصحراء العربية: الملاحق**، ترجمة مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية، سكاكا، الجوف، (١٤١٨ هـ)، ص ص ٤٣، ٤٤) .

(٩) Rawlinson, H.C., **The Cuneiform Inscriptions of Western Asia,** London (1861) vol.5, ,col. 8,11. 65-124 ;Pritchard, (1969). p.298; Luckenbill, D.D., **Ancient records of Assyria and Babylonia** [translated into English]. Chicago, 1926 1st s , pp.313-314 ; Streck, Die Inschriften Assurbaniplas,(1916) vol.2. pp.70 -72 .

(١٠) Rawlinson., vol.3, pl.34, col.8.11.1.14;Cylinder B.col.8.11.45-57;Cylinder C. col.9,11.34-49 ; Streck., **Die Inschriften Assurbaniplas,** (1916) vol.2 , p.66, p.134f, p.144, p.202f, p.378 ; موسل (١٩٩٧)، ص٣٥ .

(١١) الهاشمي ١٩٧٨م، ص ٦٥٥ .

(١٢) Rawlinson., op.cit., vol.5, col.8,11.65-124 ; Rassam Cylinder ., col. 9,11,1-26 ; Streck., (1916)., p.70 , p.72 ,p74.

(١٣) Musil., (1978) p.488 ; جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** ،ط٢، دار العلم للملايين، بيروت (١٤١٣هـ ١٩٩٣م) ،ج١،ص٦٠٣ .

(١٤) Rassam Cylinder.,loc.cit., col.9,11.27-89; col.3,11.1-23 ; Streck., (1916).,pp.74-78, p.198 , p.200 ; موسل ١٩٩٧، ص ٤٠

(١٥) Luckenbill., (1926) II.PP.315-317(T. No. 822-825) ; Pritchard., (1969).,

p.299 ؛ الهاشمي(١٩٧٨م)، ص ص٦٥٧-٦٥٨

(١٦) Rassam Cylinder., loc. cit., col.9.11,90-114 ; Streck., (1916)., pp71ff, p.199, p.205 . ; Musil., (1978) p.489; موسل ١٩٩٧، ص ٤٢ .

(١٧) إحسان عباس ومحمود أبو طالب، **شمال الجزيرة العربية في العهد الآشوري**، عمان ١٩٩١م، ص ٣٤، تعليقات رقم (٧) .

(١٨) نقولا زيادة، **شاميات: دراسات في الحضارة والتاريخ**، منشورات رياض الريس. لندن ١٩٨٩ م، ص ٣٤ .

(١٩) لطفي عبد الوهاب يحيى، **العرب في العصور القديمة**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٩م، ص ص٤١٤ - ٤١٥؛ جواد علي،(١٩٩٣م)، ج ٣، ص ١٥ .

(٢٠) إحسان عباس، **تاريخ دولة الأنباط**، دار الشروق، عمان، الأردن ١٩٨٧م، ص ٣٠ .

(٢١) Diodorus., XIX. 94. 4-5.

(٢٢) الأدوميون: من الشعوب السامية، سكنت جنوب البحر الميت بين وادي الحسا وخليج العقبة والبحر المتوسط حتى الصحراء الشرقية، وكان قدومهم نحو سنة ١٣٠٠ق.م، كانت عاصمتهم تدعى "بصيرة" غزاهم داوود ومن بعده ابنه سليمان عليهما السلام ودمرا مملكتهم، وفي عهد الملك البابلي نيبونيد (Nabonide) (٥٩٩-٥٣٩ ق.م) تم القضاء عليهم نهائياً وكان ذلك نحو سنة ٥٥٢ ق.م تقريبا. (عبودي ١٩٩١م، ص ٥٦؛ عباس ١٩٨٧م، ص ١٩ - ١٨؛ زيدون المحيسن، **البتراء مدينة العرب الخالدة**، وزارة الشباب الأردنية، عمان (١٩٩٦م)، ص ١٨، ١٩ . (السامية، تسمية أطلقها المستشرق النمساوي " أوغست لودويك شلوتسر August Ludwig Schloetzer " على سكان المنطقة العربية لأسباب لغوية لكنها أصبحت ذات دلالات عرقية فيما بعد. (جواد علي ١٩٩٣م، ج١، ص ٢٢٣) .

(٢٣) Murray , M . A., **Petra The Rock City Of Edom**, London, (1939) , p 93 .

(٢٤) لويس مخلوف، **"البتراء"، الأردن تاريخ وحضارة وآثار**.،عمان، الأردن، ١٩٨٣، ص٢٤٣ .

(٢٥) إقليم يشمل فلسطين وجنوب سوريا، يحده شمالاً جبل هرمون (جبل الشيخ)، وشرقا نهر الأردن، وغرباً البحر المتوسط. (إبراهيم نصحي، **تاريخ مصر في عصر البطالمة**، ط٤، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة (١٩٧٦م)، ج١، ص ٧١ .

(٢٦) Ph. C. Hammond., **The Nabataens-Their History, Culture and Archaeology**, Gothenburg, (1973) , p.41.

(٢٧) هاردنج ١٩٨٢، ص ١٢٥ .

(٢٨) الاسم الإغريقي لمدينة عمّون (Ammon)، وتسمى "ربة عمّون، وتقع على وادي الأزرق شرق نهر الأردن. أطلق عليها خلال القرن الثالث ق.م (فيلادلفيا)، إكراماً لبطليموس الفيلادلفي، وهي اليوم عمان عاصمة الأردن (عبودي ١٩٩١م، ص٦٢١، ص٦٥٣).

(٢٩) عباس ١٩٨٧م، ص ص ٣٢ - ٣٣ .

(٣٠) منطقة تقع في الشمال الشرقي من شبة الجزيرة العربية. ولها ميناء يقع على الخليج العرب. ربما كان العقير، وقد شملت قدراً لا بأس به من الأراضي المجاورة. (محمد السيد عبدالغني ١٩٩٩م، **شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ص ٩٨).

(٣١) فتحية حسين إبراهيم عقاب، أبعاد الوجود الروماني في شبه الجزيرة العربية منذ العقود الاخيرة من القرن الأول ق.م وحتى أوائل القرن الثاني م (رسالة ماجستير لم تنشر)، الرئاسة العامة لتعليم البنات، كلية التربية للبنات، جدة ١٤١٠هـ، ص ٨٨ .

(٣٢) Strabo.,**The Geography**.,Tran. by H.l.Jones, Loneon, (LCL) .,(1989). XVI. 4.23.

(٣٣) أحمد حسين شرف الدين، " مسالك القوافل التجارية في شمال الجزيرة العربية وجنوبها"، **دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الجزيرة العربية قبل الإسلام**، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٤ هـ ٩٨٤ م، مج٢، ص ٢٥١ .

(٣٤) Amr., **A Neutron Activation Analysis Study of Pottery From Petra**, London,(1986), p. 8.

(٣٥) نورة عبدالله العلي النعيم، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث ق.م حتى القرن الثالث م، دار الشواف، الرياض (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)، ص

٢٠٤؛ شرف الدين ١٩٨٤م، مج٢، ص ٢٥١؛ دي لاسي أوليري، **جزيرة العرب قبل البعثة**، ترجمة وتعليق: موسى علي الغول، وزارة الثقافة الأردنية، عمان (١٩٩٠م)، ص ١٩٨.

(٣٦) عباس ١٩٨٧م، ص ١٠٨.

(٣٧) نسبة إلى سلوقوس الأول (نيكاتور) Seleucus Nicator قائد مقدوني قدم مع الإسكندر المقدوني في غزوه للشرق. حكم بابل من ٣٢١ إلى ٣١٦ ومن ٣١٢ إلى ٣٠٥ ق.م. أصبح من ثم ملكاً ومؤسساً للسلالة السلوقية (٣٠٥- ٢٨٠ ق م). (مفيد رائف العابد ١٩٩٣م، **سورية في عصر السلوقيين**، دار شمأل، دمشق، ص ص ١٤٦-١٥٤).

(٣٨) نسبة إلى مؤسسها بطلميوس الأول بن لاجوس Ptolemaios Lagos الملقب بالمنقذ (سوتير) (Soter) (٣٢٣-٢٨٢ق.م)، أحد قادة الاسكندر المقدون. (نصحي ١٩٧٦م، ج١، ص ص ٥٣-٥٩).

(٣٩) يرجح أنه الميناء الذي كان أنباط منطقة مدائن صالح وما حولها يبحرون منه إلى ميناء القصير القديم، هو ميناء الوجه الحالي، وأن هذا الميناء هو في الغالب الميناء المسمى في كتابات الكلاسيكيين " لويكي كومي" أو القرية البيضاء. (عبدالمنعم عبدالحليم سيد ١٩٩٣م، **البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص ص ٤٧٤-٤٧٦).

(٤٠) Joseph Patrich., **The Formation of Nabatean Art, Prohibition of a Graven Image Among the Nabateans**, The Hebrew University Jerusalem (1990), p.21.

(٤١) Bennett., "Petra" **Art International**, Vol. XXV (1,Jan-March,1983), Switzerland.p.233

(٤٢) Nelson Glueck.,**The Story of the Nabataeans : Deities and Dolphins**., Cassell , London (1965) pp.529-534 .

(٤٣) Pliny Gaius., **Natural History**., Trans by H.Rackham , London, (LCL), VI. 26 .

(٤٤) عباس ١٩٨٧م، ص ١١٢.

(٤٥) Diodorus., II.48.7-9; Strabo., XVI.2.41 ; Jean Hornblower 1981. **Hier-**

onymus of **Cardia**, Oxford University Press , NewYork , pp.147,148.

(٤٦) زيادة، (١٩٨٩م)، ص ٣٩؛ عباس، (١٩٨٧م)، ص ١١١ .

Hill G.F. 1915 . **The Cataloque of Greek Coins of Arabia,**(٤٧)
London , p. XI ; . النعيم (١٩٩٢) ، ص ٢٧١

(٤٨) عباس ١٩٨٧م، ص ٤٢ ، ص ٥١ .

Meshorer, Y 1975. **Nabatae Coins**, Jerusalem, The Institute of Archae-(٤٩)
ology, p21 ; النعيم (١٩٩٢) ، ص ٢٧١

(٥٠) النعيم ١٩٩٢، ص ٢٧١؛ Meshorer 1975. p. 30

Meshorer 1975. p.41 ; Bowerxock 1983. p.55.(٥١)

(٥٢) Hill 1915. p.XXI ; Meshorer 1975. p. 17 ; النعيم ١٩٩٢، ص ٢٧١ . (لمزيد من التفاصيل انظر، العابد ١٩٩٣م، ص ص ٢٤٢-٢٤٧).

(٥٣) عباس ١٩٨٧م، ص ١٠٧ .

John Irving Lawlor 1974. **The Nabataeans in Historical Per-**(٥٤)
spective, Michigan, pp. 81,82.

(٥٥) عباس ١٩٨٧م، ص ١١٤ .

(٥٦) الهاشمي ١٩٧٨م، ص ٦٦٥ .

(٥٧) فيليب بن امونتاس بن ارخلاوس المقدوني، والمقدونيون: أصلهم قبائل هندواوربية، لهم صلة بالإغريق ويتكلمون بلهجة قريبة من لهجتهم، ولد سنة ٣٨٢ ق.م، وكان نشطاً وطموحاً تعرف على مشاهير علماء عصره أمثال : أفلاطون وابوقراط وارسطو، وتدرب على فنون الحرب والسياسة على يد كبار القادة العسكريين المعاصرين له في طيبة، أُغتيل سنة ٣٣٦ ق.م (العابد ١٩٩٣، ص ص ١٢ - ١٣) .

(٥٨) العابد ١٩٩٣، ص ص ١٣ -١٥ .

(٥٩) العابد ١٩٩٣، ص ١٥؛ مفيد رائف العابد، **تاريخ الإغريق السياسي الحضاري الباكر والكلاسيكي حتى ظهور الاسكندر**، جامعة دمشق ١٩٩٤م، ص ص ١٠٧-١٢٣ .

(٦٠) عرف الملك بهذا الاسم عند العرب وورد في المصادر الإغريقية (دار يوس الثالث)

كودومان (Darius III Codoman) ملك فارس من السلالة الأخيمنية (٣٣٥- ٣٣٠ ق.م). إنكسـر سنة ٣٣١ ق م في جواجيمـالا (اربل) فهـرب إلى أكبـاتانا حيث أسـره اثنان من مرزباناته وطعناه بالخنجر وتركاه ميتـاً سنة (٣٣٠ ق.م) ولفظ داريوس أنفاسه، قبيل وصول الاسكندر، الذي أمـر بأن تجرى له مراسم دفـن تليق بالملوك وأعلن نفسـه خليفـة له بعد أن تزوج بابنته روكسانا سنة ٣٢٤ ق م. ق. (عبودي ١٩٩١م، ص ص ٣٩٢ -٣٩٣) .

(٦١) العابد ١٩٩٣، ص ص ١٧ - ٣٦ ؛ زيادة ١٩٨٩، ص ٦٥ .

(٦٢) العابد ١٩٩٣م، ص ١٧ - ٣٦؛ سيـد أحمد علي الناصري "الصراع على البحـر الأحمر في عصر البطالمة"، **دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الجـزيرة العربية قبل الإسلام،** جامعة الملك سعود، الرياض (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، ص ٤٠٥ .

(٦٣) العابـد ١٩٩٣م، ص ٣٦؛ زيـادة ١٩٨٩م، ص ٦٦؛ الناصري ١٩٨٤م، ص ٤٠٦ .

(٦٤) أهم قادة الاسكندر الذين لعبوا دورا بعد وفاته في الصراع الذي احتدم بين قادته من أجل امتلاك نصيب في الإمبراطورية، وخـاض عدد من الحروب وقُتل في واحدة منها، وتابع ابنه دمتـريوس نشاطه وخـسر معـاركه وإن تمكن ابنه أنتـيوجـونوس بن دمتريوس مـن تأسيس الدولة الأنتيـجونية فـي مقدونيـة وبلاد اليونان. لمزيد من المعلومـات أنظر: (العابد ١٩٩٣، ص ص ٤٨ -٦٠) .

(٦٥) لطفي عبـد الوهاب يحيى، **دراسات في الـعصر الهـيليني، أبعاد العـصر الهـيليني، دولة البطالمة في مصر**، دار النهضـة العربية، بـيـروت، (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م)، ص ٩٢؛ العابد ١٩٩٣م، ص ص ٤٨ -٥٠ .

(٦٦) Hornblower 1974. pp. 145-146 .

(٦٧) Diodorus ., II. 48. 6 - 9 ; XIX. 94. 3-9 .

(٦٨) راجع تفاصيل الحملتين في الفصل الرابع من هذه الرسالة .

(٦٩) Diodorus., XIX . 95 . 1 - 7.

(٧٠) بطلميـوس بن لاجوس أحـد قادة الأسكندر الذي تولى منصب حـاكم مصر أثناء حـياة الاسكندر وتمسك بولايته وخـاض مجمـوعة حروب ضـد بقية القادة لـلاحتفاظ بهـا، وقد تمكن من ذلك وتأسيس مملكة دعيت بالمملكة البطلمية استـمرت تحكم مصر ولوبية وقبرص حتى مـقتل كليوباترا السـابعة آخر ملكاتهـا سنة ٣٠ ق.م. (نصحي ١٩٧٦م، ج١، ص ص ٥٣-٥٤ ، ص ص ٥٨-٥٩، ص ٣٧٧).

(٧١) جواد علي ١٩٩٣م، ج ٣، ص ١٧ ؛ عباس ١٩٨٧م، ص ص ١٠٨ - ١١٢ .

(٧٢) العابد ١٩٩٣م، ص ص٦٠ - ٦١ ؛ مصطفى العبادي، **العصر الهليني في مصر**، دار النهضة العربية، بيروت، (١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨م، ص ص٤٣ - ٤٤ .

(٧٣) نشب الخلاف بين الدولتين منذ أيام المؤسسين حيث لم يشارك بطلميوس في موقعة ابسوس التي قضت على أنيجونوس وبالتالي فقد أنكر عليه سلوقس حقه في الحصول على غنائم الحرب ومن بينها إقليم جوف سورية. لمزيد من التفاصيل انظر: (نصحي ١٩٧٦م، ج١، ص ص ٧٨-٨١) .

(٧٤) العابد ١٩٩٣، ص ص ٧٦ - ٧٧ ، ص ص ١٢٢ - , ١٢٤

(٧٥) جواد علي ١٩٩٣م، ج ٢، ص ص ٢٢- ٢٣ ، ص ٢٦ .

(٧٦) نصحي ١٩٧٦م، ج١، ص١١١ .

(٧٧) الناصري ١٩٨٤م، ص ص ٤٠٧- , ٤٠٨

(٧٨) مصطفى كمال عبد العليم "تجارة الجزيرة العربية في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني"، **دراسات في تاريخ الجزيرة العربية: الجزيرة العربية قبل الإسلام**، جامعة الملك سعود، الرياض، (١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م)، ص ٢٠٢ .

(٧٩) جواد علي ١٩٩٣م، ج ٣ ص ٢١ .

(٨٠) Diodorus., XIX. 97. 5-6

(٨١) الناصري ١٩٩٢م، ص ٣١٤ .

(٨٢) نصحي ١٩٧٦م، ج١، ص ١٧٥؛ الناصري ١٩٩٢م، ص ٣١٥ .

(٨٣) نسبة إلى يهوذا الذي لقب بالمطرقة "مكابيوس" ابن الكاهن ماتاثياس بن يوحنا بن سمعان كاهن لجماعة يهوياريب (ت ١٦٥ ق.م) ابن حشمون (Hasmonaeos)، وكان المكابيون قادة عسكريين ثم اصبحوا رؤساء كهنة، وأسسوا السلالة الحسمونية التي حكمت اليهود حتى سنة ٤٠ق.م (نصحي ١٩٧٦م، ج١، ص ٢٢٢؛ عبودي ١٩٩١م، ص ٨٦، ص ٨٨).

(٨٤) نصحي ١٩٧٦م، ج١، ص ص ٢٢٢-٢٢٧ ؛ الناصري ١٩٩٢م، ص ص ٣١٦-٣١٧

Josephus., Antiq.XIII.XV.1 ; War.I.101-102 . (٨٥)

(٨٦) العابد ١٩٩٣، ص ١٥٣ .

(٨٧) عقاب ١٤١٠ هـ، ص ٩٩ .

Patrich 1990. p.31. (٨٨)

Bennett 1983. p233. (٨٩)

(٩٠) المكابية حركة دينية سياسية تنسب إلى يهوذا المكابي (Judas) إلى تمرد ضد السلوقيين وتمكن من تأسيس دولة أطلق عليها المكابية نسبة إليه .

(٩١) محمد بيومي مهران، **بنو إسرائيل "التاريخ" منذ دخولهم فلسطين حتى الشتات الروماني عام ١٣٥ م**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٩ م، ج ٢، ص ٩٥٥ .

(٩٢) أ. ل. إلمسلي "سقوط أورشليم، وأهميته العاليمة"، **تاريخ العالم للسير جون هامرتن**، ترجمة: فؤاد أندرواس، دار النهضة المصرية، القاهرة، (دت) مج٣، ص ٦٥١؛ عبودي ١٩٩١م، ص ٩٢٩ .

Maccabées., II. 5:8 ; Cantineau., J., **Le Nabten,** Librairie Ernest Lerous, (٩٣) Paris, (1930) I.p.1 ; Hammond, (1973) , p.107 .

(٩٤) عباس ١٩٨٧م، ص ٣٨ .

(٩٥) جواد علي ١٩٩٣م، ج ٣ ، ص ص ٢٣ - ٢٤ .

(٩٦) الناصري ١٩٩٢، ص ٣١٥ .

(٩٧) جواد علي ١٩٩٣م، ج٣ ، ص ٢٦ .

Josephus., Antiq. XVIII.V.1 ; War. I.XVII.7 . (345-346) . (٩٨)

(٩٩) Josephus., War. III.4.2. (68-69) ؛ وأ. ل المسلي، مج ٣، (د. ت) ص ص ٦٥٤ - ٦٥٥ .

الفصل الثاني

القوات العسكرية النبطية
النشأة والتطور

يلاحظ المطّلع على تاريخ الأنباط القديم، أن معرفتهم بالحرب والقتال قديمة، قدم وجودهم؛ فقد كانت معرفتهم الأولى متمثلة بالغزو على مستوى قبلي، سواءً أكان باعثه اجتماعياً أم اقتصادياً. وقد زودتنا كتب المؤرخين القدماء بمعلومات وإشارات، عن الأنباط وحروبهم. ومن خلال هذه المعلومات، نحاول رصد نشأة الجيش عند الأنباط، الذين تطورت أساليب القتال والتنظيم لديهم، كنتيجة حتمية لحاجتهم، أولا: إلى الدفاع عن أنفسهم، إضافة لاتصالهم بما جاورهم من الآشوريين والإغريق خاصة السّلوقيين في سورية، والبطالمة في مصر، وبعد ذلك الرومان، الذين سيطروا على البلاد السورية، نحو منتصف القرن الأول ق.م. وثانيا: لحماية تجارتهم ومصالحهم المنتشرة في شمال الجزيرة. وقد تمثلت هذه المرحلة في إنشاء جيش نبطي منظم، اعتمد الأسلوب والمنهج الإغريقي والروماني العسكريين .

أولاً - القوات النبطية قبل نشوء الدولة وحتى سنة ٨٨ ق.م :

١ - القوات البوبية :

إن أقدم النصوص، التي تعرضت للأوضاع والتقاليد العسكرية النبطية كان نص "آشوربنيبال"، ملك آشور، الذي قاد عدة حملات جريئة على القبائل الواقعة جنوبي بلاده. وكان الأنباط إحدى تلك القبائل، التي ورد اسمها في قائمة أعدائه وذلك نحو سنة ٦٤٧ ق.م[١]. ويبدو أن تقرير "آشوربنيبال" لم يخل من المبالغة، في تصوير كثافة جيوشه وقوتها، ولكنه لم يخل - كذلك - من دلالات تاريخية صرفة، منها أن القبائل قد تعودت في أيامه تجنيد جزء كبير من إمكاناتها، لأغراض الدفاع والهجوم، على الرغم من عدم وجود أدلة كافية، على وجود جيش ثابت لتلك القبائل، في عهد الدولة الآشورية. فمن الصعب التّصور أن هذه القبائل المهددة باستمرار، كانت قادرة على الاستغناء كلية عن وجود الجيش، بل كانت تترك أمر ذلك إلى الظروف، وإلى رأي القادة الذين توكل إليهم أمور إدارة المعارك[٢]. قد ورد في نص آشوربنيبال أن "أويتع"، ملك قيدار، عندما دحرته القوات الآشورية، هرب نحو الصحراء، ولجأ إلى "نتنو"، ملك الأنباط، وطلب منه العون والمساعدة؛ فتحالفا على مواجهة عدوهما المشترك آشوربنيبال[٣].

ويبدو من النصوص أنه لضرورة الدفاع عن النفس، والوقوف أمام القوات المنظمة القوية، تُضطر أكثر القبائل إلى التحالف والتكتل، لمواجهة مقاومة أي غزو يقع عليها[٤]. ولهذا أرسل "نتنو"، ملك الأنباط، مجموعة محاربين من راكبي الجمال، تحت قيادة "أبي يتع"، وهو قائد

قيداري، لمواجهة الجيش الآشوري. ومن المحتمل أن الأنباط، الذين شاركوا مع القبائل القيدارية في المعارك ضد الآشوريين، لم يكونوا جنودا نظاميين، بل مجموعة من راكبي الجمال استنفرهم ملكهم " نتنو"، عندما استنجد به "أويتع"، ملك قيدار[٥] . ولم يصمد هؤلاء في وجه القوات الآشورية المنظمة، وتراجع مقاتلو الأنباط على ظهور الجمال عبر الصحراء، إلى المنطقة البركانية. ولما كانت جمالهم غير معتادة على تلك المناطق، لأنها اعتادت السير في المناطق الصحراوية الرملية، فقد حاصرتهم القوات الآشورية، وشتت شملهم وأسرت معظم الجنود، واستولت على النساء والجمال والحمير والبقر والأغنام والأصنام[٦]؛ إذ لم تكن قوات الأنباط والقيداريين في مستوى القوات النظامية الآشورية، من حيث التسليح والاستعداد في القتال. فأسلحة رجال القبائل بسيطة وبدائية، في الغالب، إضافة إلى أن مجموعات المقاتلين لم تكن منتظمة ولا مدربة على القتال تدريبا فنيا، وإنما يقوم فنها على الإغارة والمباغتة؛ فإذا وجدت مقاومة فرت وولت، لأنها لا تتحمل المقاومة والوقوف في وجه العدو مدة طويلة، ولا تستطيع الصبر على ذلك[٧].

ويبدو من مجمل النصوص المعاصرة، أن الأنباط في عهد آشوربنيبال (٦٦٨-٦٢٦ ق.م) كانوا قد اعتمدوا كياناً سياسياً لحكمهم، يرأس السلطة التنفيذية فيه ملك يدعى "نتنو"، ولديه قوة من الهجانة يعتمد عليها في المهام العسكرية، كحراسة القوافل، وشن بعض الغارات على المناوئين له، ومساعدة من يستنجد به، كما حدث مع " أويتع" ملك قيدار. ولكن بعد الحرب، التي شنها آشوربنيبال على الأعراب المتحالفين ضده، أدرك الأنباط أن القوس والسهام في القتال، لا يتناسبان مع الجمل، الذي لا قبل له بالوقوف أمام الفرق المكونة من الخيل، وأنه لا يصلح إلا لنقل العتاد[٨]. وأدركوا أنه كان يعوزهم وجود جيش يتناسب مع العصر، الذي يعيشون فيه. ويتطلب بناء مثل هذه القوة، قوة اقتصادية يعتمد عليها في دعم توجهاتهم السياسية، ومن ثم بناء قوتهم العسكرية . ولما لم يكن بإمكان الأنباط تحقيق الاستقرار، الذي ينشدونه في موطنهم الحالي، لكثرة حروب الآشوريين، التي كانت سببا في عدم استقرار الموارد الاقتصادية في تلك المنطقة، سيما على الطريق الشرقي القادم من الرافدين والخليج العربي، أصبحت هجرتهم من جنوب بلاد الدولة الآشورية أمراً حتمياً، وذلك للبحث عن مناطق أكثر أمنا واستقرارا، وعن موارد اقتصادية جديدة[٩]. وقد تحرك الأنباط باتجاه الغرب، صوب بلاد الأيدوميين نحو أواخر القرن السابع، واستوطنوا في وادي السرحان والصحراء الممتدة جنوبا، مبتعدين عن الطرقات التي يمكن أن يسلكها الجيش الآشوري، وبذلك تمتعوا باستقلالهم لفترة

أطول من حلفائهم أعراب المنطقة، مما مكنهم من التوسع غربا نحو أدوم واستوطنوا أيضاً الحدود المتاخمة لها[١٠]، وصولاً إلى موقع البتراء بعد أن زحزحوا القبائل الآدومية من هذه المنطقة، ودفعوا بها نحو الغرب. واستطاعوا من موقع عاصمتهم الجديدة (البتراء)، التي تحصنها التكوينات الحجرية من ثلاث جهات التحكم في عقدة رئيسية في الطرف الشمالي من الخط التجاري[١١].

وكان قد طرأ على استعمال الجمل، ما بين ٥٠٠ –١٠٠ ق. م، اختراع الرّحل (شداد الجمل)، وزامن ذلك استعمال البدو للسيف والرمح، بدلا عن القوس والنشاب. وترتب على هذه التطورات الجديدة، أن الأنباط أصحاب الإبل أصبحوا قوة عسكرية، ما يسر لهم أن يتحولوا من مجرد نَقَلَة للسلع على الطرق التجارية، أو حرس للقوافل يفرضون بعض الضرائب على تُجّارها، إلى مرحلة إرغام القوافل على المرور بعاصمتهم البتراء، والتصرف فيها والاستفادة منها بقدر كبير[١٢]. وبهذا انتقل الأنباط من مرحلة البداوة، المعتمدة على كثرة الترحال والتنقل للبحث عن الماء والكلأ، إلى مرحلة الاستقرار والتحضر، والبحث عن الوسائل، التي تصلح لهذه المرحلة.

وفي وصف للمعارك، التي خاضها الجيش النبطي، وأوردها عدد من المصادر الأدبية القديمة، كانت القوة العسكرية النبطية تبدو فعّالة ومؤثرة في مواقف النزال، منذ البداية الأولى لتاريخهم المكتوب[١٣]. وتصف هذه المصادر الأنباط بأنهم قوة مستقلة شديدة البأس، ويصعب هزيمتها في المعارك. وبالفعل لم تستطع أي من القوى الرئيسية المعاصرة لهم آنذاك، كالآشوريين والفرس والمقدونيين، إخضاعهم أو السيطرة عليهم[١٤]. وعندما أعلن القائد المقدوني أنتيجونوس السيطرة على فلسطين، تمت أول مواجهة بين المقدونيين والإغريق من جهة، والأنباط من جهة أخرى، نحو سنة ٣١٢ ق. م. وكان أنتيجونوس قد أرسل قائده أثنايوس (Athenaeus) مع قوة تقدر بنحو ٤٠٠٠ جندي مشاة، و ٦٠٠ فارس، لغزو بلاد الأنباط. وبينما الأنباط خارج مدينتهم البتراء، اجتاح الجيش المقدوني حصنهم الجبلي فيها، واستولى على ثرواتها. لكن الأنباط كمنوا في الجبال والصحراء المحيطة، وتمكّن ثمانية آلاف من جنودهم اللحاق بالمقدونيين، واستعادة ممتلكاتهم، بعد قتل جميع أفراد الجيش، إذ لم يتمكن من النجاة منهم أكثر من خمسين فارسا. وعندما أرسل أنتيجونوس ابنه ديمتريوس (Demetrius) لقيادة حملة ثانية ضد الأنباط كان عدد الجيش في هذه الحملة يقدر بنحو ٤٠٠٠ جندي مشاة، و٤٠٠٠ فارس. لم يفعل هؤلاء شيئاً أكثر من عقد معاهدة سلام، مع هذه القوة العربية الناشئة[١٥]. وذكر

"هيرونيموس" أن دمتريوس توجه بعد ذلك نحو البحر الميت، في محاولة للسيطرة عليه، ولكنه لم يوفق في قهر ستة آلاف من الأنباط العرب، الذين تجمعوا ضده وتغلبوا عليه، وسفكوا دم معظم رجاله[١٦].

ومن مجريات تلك الأحداث، يمكن أن نستدل على أن الأنباط، في نهاية القرن الرابع ق.م، بلغوا من القوة ما جعلهم يصدون القوات المقدونية، ولو لم تكن بينهم مواجهة حقيقية. ويمكن رصد بعض النقاط من الحملتين، اللتين أرسلهما أنتيجونوس ضد الأنباط، والتي تدل على أن الأنباط كان لديهم أساليب عسكرية متقدمة، منذ ذلك الوقت ويمكن تلخيصها فيما يلي:

أ - سرعتهم في تعقب القوات المقدونية، فيه دلالة على أنهم كانوا في تعبئة دائمة استعدادا لخوض المعارك في أي لحظة، وهذا يتطلب توفر الرجال والسلاح والعتاد[١٧].

ب- استخدامهم للعيون (الربايا)[١٨]، ووضعهم على مشارف الجبال لمراقبة العدو من مسافات بعيدة[١٩]. لأن الإعداد السليم، ووجود المعلومات الصحيحة وتوفرها عن العدو، يضمن عدم المفاجأة، وإتاحة الفرصة للقوات للاستعداد، واتخاذ التدابير والإجراءات اللازمة، لصد العدوان قبل استفحاله[٢٠]. وهذا العمل لا يتم إلا بوجود قوة عسكرية متكاملة .

جـ - استخدامهم للدبلوماسية السياسية، للحد من الهجوم الحربي عليهم؛ ويتضح ذلك من كتابتهم رسالة لأنتيجونوس، يتهمون فيها قائده أثنايوس، ويتملصون من المسؤولية[٢١]. وكذلك، حينما أرسلوا وفدا من رجالهم للتفاوض مع دمتريوس، اختاروا أصحاب الخبرة والتجربة، لضمان كسب المفاوضات ونجحوا في ذلك[٢٢].

د - معرفتهم بالخطط الحربية، والاستفادة من العمق الاستراتيجي الجغرافي لموقع استيطانهم. فعندما علموا بقدوم الجيش المقدوني، انسحبوا داخل الصحراء، لأنهم كانوا على يقين أن عدوهم لن يتهور في ملاحقتهم، لأنه سيموت عطشا لعدم توفر الماء، بينما هم يستطيعون تأمينه لأنفسهم وماشيتهم، لأنهم أعدوا خزانات وسط الصحراء لحفظ ماء المطر، وجعلوا عليها علامات لا يعرفها سواهم[٢٣]. وعلى الرغم من ذلك، فإن قيام القوات المقدونية بهذه الحملات، يشير بجلاء إلى وجود تنظيمات

سياسية واقتصادية وعسكرية شجعت أنتيجونوس، على محاولته السيطرة على البتراء، عاصمة الأنباط؛ ولكنه لم يستطع تحقيق هذه السيطرة(٢٤).

وبعد هذه المرحلة الإيجابية، من نشاط الأنباط العسكري الخارجي، لم يعد أمامهم أكثر من تجنيد قوات حراسة القوافل التجارية، وإجراء التسهيلات الضرورية لأصحابها، والاتفاق مع سادات القبائل لضمان سلامتها، مقابل مبالغ تدفع لهم للسماح بمرور القبائل عبر بلادهم. ويبدو أن تلك القوات كانت جزءاً من الجيش النبطي(٢٥).

٢ - القوات البحرية :

إن المعلومات المتوافرة عن القوة البحرية النبطية متواضعة، ويبدو أنها تتناسب طردا مع حجم الأسطول النبطي، وهو أمر لا يُشك في أهميته لممارسة التجارة العالمية، إضافة إلى دعم القوى العسكرية البرية، في مواجهة قوة الأسطول البطلمي، في البحر الأحمر، بوحه خاص. ويغلب على الظن أن القوة البحرية النبطية لم تتجاوز أسطولاً صغيراً في البحر الأحمر لنقل البضائع ، واللجوء إليه في أعمال القرصنة، التي ذُكر أنهم كانوا يجيدونها لإرهاب البطالمة، الذين سيطروا على البحر الأحمر، واحتكروا التجارة البحرية فيه؛ ولكن في النهاية نجحت قوات ملك مصر، بطلميوس فيلادلفوس، في إدخال سفن الأنباط في مصيدة بحرية، ودمرتها عن آخرها، نحو سنة (٢٧٨-٢٧٧ق. م)(٢٦).

ثانيا - القوات العسكرية في عهد الملوك الأقوياء (٨٧ ق. م - ٧٠ م):

أدى مقتل أنطيوخس (الثاني عشر) نحو سنة (٨٧ ق.م)، إلى الفوضى والتخبط، وانهيار السلطة المركزية، وتعاظم الأخطار الداخلية والخارجية(٢٧). وساعد ذلك الملك النبطي الحارث الثالث، على استهلال بداية حكمه بالاستيلاء على سورية المجوفة، وعاصمتها دمشق. وكان لذلك أكبر الأثره في رفع الاقتصاد النبطي(٢٨).

يبدو أن التصاعد العسكري المستمر، قد طبع دول المنطقة بالطابع العسكري، وهو الأمر الذي دفع الأنباط دائما للاستعداد لمواجهة الأخطار، التي تهددهم، والتدخل لحماية مصالح الدولة ومكتسباتها، أو توسيع رقعتها. فكان من الضروري أن تكون حالة التأهب العسكري، والاستعداد الفوري التام لتجهيز وتوجيه الحملات العسكرية للقضاء على أية قلاقل، أو اضطرابات، أو ثورات تحدث، سواء داخل الدولة أو على حدودها. وعندما استولى الحارث

الثالث على دمشق، وكان فيها عدد كبير من الجنود الإغريق، انضم بعضهم إليه، وعملوا على تحسين أداء جيشه وتدريبه، وساعدوه على تكوين جيش نظامي، ساعده كثيراً على تقوية مركزه، حتى صار من الجيوش القوية في المنطقة[٢٩]. وقد ساعدته تلك القوة على خوض المعارك ضد جيرانه، للحفاظ على حدود دولته السياسية. ومن الأمثلة على ذلك، عندما اضطربت الأحوال السياسية في الدولة اليهودية، وخاف الحارث من تأثير تلك الاضطرابات على دولته، سارع محاولا تهدئة تلك الاضطرابات والقلاقل فيها. لكن اليهود بادروه، والتقى الجمعان في معركة (الحديثه) (Addida) وهزم اليهود، ولم يبق أمام ملك اليهود – يانيوس – سوى عقد الصلح مع الحارث[٣٠]. ومرة أخرى احتدم الصراع على السلطة في الدولة اليهودية، بين الأخوين أرسطوبولس (Aristobolus) وهركانوس (Hyrcanus)، فطلب الأخير من الحارث الثالث مساعدته. ولا شك أن طلبه هذا كان قائماً على ثقته في القوة التي يتمتع بها الحارث الذي خرج على رأس جيش بلغ نحو خمسين ألف جندي، لنصرة هركانوس[٣١]. وكذلك، عندما تأزمت الأمور بين الرومان والأنباط، قرر القائد الروماني سكاوروس (Scaur-us) غزو الأنباط وتخريب بلادهم، في حين قَبِل الحارث في أول الأمر تحديه، لكنه تراجع عندما علم بقوة الرومان، وأنه لن يستطع مواجهتهم؛ وعلى الرغم من تجاوز قواته في العدد خمسين ألف جندي، إلا أن القوات الرومانية كانت تملك السلاح الحديث، والتدريب الجيد، والقيادة المحنكة، والخطط العسكرية المدروسة، على العكس من قوات الحارث، الذي آثر الصلح مع الرومان، وَدَفْع الغرامة المالية لهم، بدلاً عن المواجهة العسكرية[٣٢].

وكانت الحالة الأمنية في المنطقة، تستدعي استمرار الدولة النبطية في إعداد الجيوش، التي غالبا ما تولى قيادتها الملوك أنفسهم، وتجهيزها بكل ما يلزمها من عدة وسلاح، وتموين وتدريب، الأمر الذي كان يتطلب وضع معظم موارد الدولة في حالة تعبوية، واستنفار مستمر. وهكذا حينما طُلب من الملك النبطي مالك الأول (٦٢-٤٧ ق.م)، نصرة يوليوس قيصر، عندما حاصره أعداؤه في الإسكندرية، أسرع مالك في إرسال فرقة من الفرسان الأقوياء، تمثل أهم قوة في الجيش النبطي[٣٣]. وعندما أشعل الملك اليهودي (هيرود الكبير) الحرب ضد الأنباط، بتحريض ومساعدة من القائد الروماني أنطونيوس وعشيقته كليوباترا ملكة مصر، بعدما رفض مالك دفع الضرائب المالية المفروضة عليه لروما أو الإسكندرية، اصطدم الأنباط

باليهود في معركة (قانا) (Cana)، بالقرب من سورية المجوفة، وكان النصر حليف مالك[٣٤].
ولا شك أن مالكاً لم يكن ليجرؤ أن يتخذ مثل هذا الموقف، لولا اتكاله على قوة عسكرية يعتمد عليها، في مثل هذه المواقف[٣٥].

حاول الأنباط إبراز قوتهم أمام الرومان في عدد من المناسبات؛ منها حينما أرسل مالك الأول، بالمشاركة مع هيرود الكبير، قوة عسكرية إلى مصر لمساعدة أنطونيوس وكليوباترا، ضد أوكتفيان (Octavian). ولكن بعد الانتصار الذي حققه أوكتفيان في موقعة أكتيوم-Ac)

(tiumنحو سنة ٣١ ق. م، انحاز الأنباط إلى القائد المنتصر. ومن الأعمال التي قامت بها القوة النبطية في تلك الحرب، إشعال النار في سفن كليوباترا، فقطعوا عليها فرصة الهرب[٣٦].

وفي الحملة الرومانية المشهورة على اليمن، باسم حملة (إليوس جالوس) نحوسنة ٢٦ق.م، شارك الملك النبطي عبادة الثاني، بقوة عسكرية، جعل على رأسها قائده أو وزيره "سُلّي"، وبلغ تعدادها نحو ألف جندي، على حد قول استرابون[٣٧]. وكذلك لم يتأخر الملك النبطي الحارث الرابع، عن مشاركة فاروس (Varus) الحاكم الروماني في سورية، حينما زحف لإخماد تمرد في الدولة اليهودية بعد موت هيرود الكبير سنة ٤ ق.م. فأمده بقوة عسكرية، من الفرسان والمشاة[٣٨].

ويبدو أن مشاركات الجنود الأنباط مع الجيوش الرومانية، أكسبتهم خبرة في المواجهات العسكرية، وحمل السلاح، وتنفيذ الخطط الحربية، والتنظيم العسكري للجيش. وقطف ثمرة هذه الخبرة الحارث الرابع، الذي أنزل بهيرود أنتيباس، ملك اليهود، هزيمة ساحقة وحاسمة للصراع، الذي امتد طويلاً، بين مملكة الأنباط والمملكة اليهودية، وذلك نحو سنة ٣٦/ ٣٧م[٣٩].
ويبدو أن الحارث الرابع استند في تنظيم شؤون مملكته، على تنبؤات وتصورات أساسها الواقع القائم، والاحتمال القادم، خاصة بعد أن خسر الأنباط كثيرا من توسعهم التجاري، بعد سيطرة الرومان على تجارة البحر الأحمر، وتضاءلت حصتهم من التجارة البرية، وأصبحت طريق بترا- غزة شبه مهجورة[٤٠]. ولهذا عُني الحارث بإعداد دولته اقتصادياً، واهتم بكل ما له علاقة بالاقتصاد، كالزراعة، وهندسة المياه، والصناعة، إضافة إلى محاولة إيجاد طرق تجارية بعيدة عن أيدي الرومان، من شأنها إعادة مستوى التجارة النبطية إلى ما كانت عليه من قبل[٤١]. وكذلك ليضمن استمرار الحياة اليومية، والإنتاج والاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي في

ربوع مملكته، كما يؤمن مورداً مالياً ثابتاً يستعين به على تقوية جيشه، سيما وأن الوضع السياسي المضطرب في المنطقة كان يتطلب الاحتفاظ بجيش قائم[٤٢]. كل ذلك يتطلب - بلا شك - ميزانية قائمة بذاتها، للإنفاق على الجنود وتدريبهم، وعلى شراء معدات الحرب، كالسلاح والخيل والجمال وغيرها. ولذلك، سعى الحارث بكل جهده لكي يوفر الاستقرار والمال لشعبه ودولته، فما كان منه إلا أن توجه نحو الجنوب الشرقي، وإلى منطقة الجوف خاصة، التي يمكن القول إنها كانت أهم المراكز التجارية في شمال شبه الجزيرة العربية، حيث كان يخترقها طريق وادي السرحان، الذي يُعد عقده من عقد المواصلات، وتلتقي فيه الطرق القادمة من شرق الجزيرة مارة بوسطها، في طريقها نحو سورية، أو إلى شمال غرب الجزيرة. ويمثل هذا الوادي حلقة الوصل، بين أجزاء دولة الأنباط، القائمة في جنوب الأردن وفي حوران في سورية، وتنتشر فيه الواحات وأماكن المياه، مما جعله طريقا مطروقا على مر الزمن[٤٣]. إضافة إلى وجود مراعٍ خصبة حول هذه المنطقة، توفر الطعام للإنسان، والكلأ للقطعان، عندما تصاب البلاد المجاورة لها بالجدب[٤٤].

أحس الحارث الرابع أن عاصمته البتراء مهددة بالاستيلاء عليها من قبل الرومان، في أي لحظة. وكان الجيش النبطي بحاجة إلى معسكر للاستقرار فيه وقت السلم، والانطلاق منه حين تأذن الحرب. وكان لا بد أن يكون بعيدا عن جيوش الرومان، فاختار منطقة الجوف، التي تميزت بموقعها الاستراتيجي، وبعدها عن متناول يد الرومان. فقد عثر على كثير من النقوش النبطية المكتشفة في منطقة الجوف، التي تحمل عدداً من الألقاب العسكرية[٤٥] مثل: القائد(هـ ف رك ا)[٤٦]، والفارس (ف ر س ا)[٤٧]، والفرسان (ف رس ي ا)[٤٨]، والكاتب العسكري (م ط ي ب ن ا)[٤٩]، ولا شك أن هذه الألقاب العسكرية، تشير إلى وجود عسكري نبطي كثيف في منطقة الجوف. وتعود أقدم النقوش المؤرخة المكتشفة في منطقة الجوف، إلى السنة الثالثة عشرة من حكم حارثة الرابع (سنه ٤م)[٥٠]. كما يوجد نص آخر يعود تحديداً إلى شهر حزيران (يونيو) سنة ٣٥ من حكم حارثة الرابع (٢٦ م)[٥١] إضافة إلى اكتشاف موقع (قيال)، وهو موقع نبطي يقع إلى الشمال الغربي من مدينة سكاكا بنحو ١٢كم، وهو عبارة عن مركزحامية عسكرية نبطية، فضلاً عن وجود قلاع نبطية مسورة تحيط بالموقع، استخدمت في مجال الدفاع وإيواء الجنود[٥٢].

وثمة دلائل متعددة على وجود عسكري مماثل في الحجر (مدائن صالح)، التي تمثل واحة على الطريق التجاري القادم من جنوب الجزيرة العربية إلى شمالها[٥٣]. ولعل من الأسباب، التي جعلت الحارث الرابع يختار هذه المدينة، موقعها الاستراتيجي، واعتقاده أنها تصلح أن تكون قاعدة عسكرية متأخرة للجيش النبطي، ولكي تكون بُعداً جغرافياً للانسحاب، في حالة استيلاء الرومان على البتراء[٥٤]، ومركزاً دفاعياً خلفياً للأنباط[٥٥]. وربما كان الحارث كان يتصور أن القوات الرومانية تعجز عن بلوغها، إن هي حاولت ذلك، إضافة إلى اعتقاده بأن مدينة الحجر ربما تصلح أن تكون عاصمة للدولة النبطية، في حالة انسحابها إلى الجنوب[٥٦].

وقد أبرزت نصوص الحجر النبطية أيضاً، عدداً من الألقاب العسكرية، مثل: (هـ ف رك ا) القائد[٥٧]، و(ك ل ي رك ا) قائد الألف[٥٨] ، و(ق ن ط ر ي ن ا) قائد المائة[٥٩]، و(س م ي ف ر ا) حامل العلم[٦٠]. إضافة إلى وظيفة (ا س رت ج ا)[٦١] الوالي أو الحاكم العسكري[٦٢]. وهذه الوظائف، سواء تلك، التي وجدت في الجوف، أو في الحجر، تبين مدى أهمية الحجر والجوف عسكريا. فقد أصبحتا قاعدتين عسكريتين مهمتين، على الأقل في الفترة الواقعة ما بين (٥ ق. م – ٧٥ م) ، ومدى حجم الجيش النبطي النظامي، إذ إن هذه الأسماء، هي أسماء للمناصب العليا في هذا الجيش، الذي لا بد أن يكون تعداده قد تجاوز الآلاف[٦٣]. وثمة دليل أثري على وجود عسكري مميز في مدينة الحجر، هو وجود القبور المنحوتة في الصخر، التي كان معظمها مدافن لضباط عسكريين من ذوي رتب مختلفة[٦٤]

وعندما ورث مالك الثاني (٤٠ م – ٧٠ م) والده الحارث الرابع، ورث قوة عسكرية كانت موزعة تقريبا على ثلاث مناطق، هي: البتراء والجوف والحجر. وعلى الرغم من قلة المعلومات عن مالك، إلا أنه من المرجح أنه تابع سياسة أبيه، في الاستمرار بالاهتمام بالمناطق الجنوبية من الدول، خاصة مناطق الوجود العسكري في الجوف والحجر[٦٥]. ومع ذلك كان للهيمنة السياسية والعسكرية الرومانية في المنطقة السورية، أثر واضح في سياسة مالك، حيث دارت مملكته في فلك هذه القوة، ولم تكن لتخالفها. وتذكر المصادر إنه حينما طلب الرومان من مالك أن يرسل لهم قوة عسكرية، لمشاركتهم في القضاء على الدولة اليهودية، ما بين سنتي (٦٧–٧٠ م)، فإن مالكاً بادر بإرسال قوة عسكرية تألفت من ألف فارس، وخمسة آلاف جندي مشاة، علماً بأن الجيش الروماني بلغ تعداده في ذلك الوقت، نحو خمسين ألف جندي[٦٦].

ثالثاً - القوات العسكرية في الفترة المتأخرة من تاريخ الدولة(١٧م - ١٠٦م):

يتضح من مجريات الأحداث، أن الحارث الرابع سعى جاهداً إلى تحويل القوة الاقتصادية في دولته، إلى قوة عسكرية تكفل مصالحها الحيوية. ولا يُستبعد أنه صرف معظم دخل الدولة على تنظيم الجيش وتقويته، لصد الهجمات التي قد تتعرض لها الدولة من قبل جيرانها، أو من قبل الطامعين في ثرواتها، أو موقعها الاستراتيجي. وكان ذلك من أقوى الأسباب التي عملت في انهيار الدولة، مع بداية القرن الثاني الميلادي، وبشكل خاص بعد التدخل العسكري الروماني، الذي تولى القيام بالمهام العسكرية والإدارية، التي تكفَّل بها الأنباط من قبل. هذا التدخل، الذي اندفع بعنف إلى المنطقة، ليس فقط من أجل ضمان طرق التجارة وتحويل عائداتها إلى روما، وضمان ولاء قبائل المنطقة فحسب، بل تحضيراً لمتابعة الحرب ضد القوى البارثية المتعاظمة شرق الفرات، والتي كانت تسيطر على أجزاء من بلاد الرافدين، وتعكف على التوسع نحو الغرب(٦٧). وعلى الرغم من أن فترة رب إيل الثاني (٧٠ - ١٠٦ م)، آخر ملوك الأنباط، اتسمت بالسلام والرخاء على وجه العموم، إلا أن تدهور الحالة السياسية في المملكة النبطية بدا واضحاً، سيما بعد تدهور النفوذ النبطي في شمال غرب الجزيرة العربية، وبالتحديد في الجوف والحجر، ونقل العاصمة النبطية من البتراء إلى بصرى(٦٨)، ومن ثم انحسار الدولة النبطية، وانتهاء الجيش النبطي كمؤسسة لها نظامها وتسليحها وأفرادها، بانهيار الدولة على أيدي الرومان نحو سنة ١٠٦م(٦٩).

وعلى ذلك، فإن الأدلة الأدبية والنقوش الكتابية المتوفرة لدينا حاليا، دلت على أن الجيش النبطي كان قوة قتالية مؤثرة، خاضت العديد من النزالات ضد الإغريق واليهود(٧٠). ومما لا شك فيه أن كثيراً من ذلك النجاح، كان بسبب تنظيم القوات النبطية الحربية الجيد، الذي رعاه كثير من ملوك الأنباط، بعد اكتسابهم الخبرة التنظيمية من خلال احتكاكهم المباشر مع القوات المعادية، أو الصديقة، علماً بأنه من غير المستبعد أن يكون ملوك الأنباط قد لجأوا في بعض معاركهم إلى استئجار جنود مرتزقة من اليونانيين، أو المحاربين القدماء، لتدريب وتنظيم قواتهم؛ مثلهم في ذلك مثل كثير من الجيوش المعاصرة. وقد أثبت الجيش النبطي أنه كان في فترات معينة، نداً للجيوش الأخرى، حتى التي كانت تفوقه عدداً وعدة وخبرة(٧١).

رابعاً - تقويم الدور العسكري في خدمة التجارة :

كما سبق القول، كانت التجارة للأنباط القاعدة، التي يفسر على ضوئها كل توسع قاموا به. ويبدو أن الأنباط لم يكونوا في توسعهم يندفعون بحوافز المجد السياسي، أو الاعتزاز بالقوة، أو حب السيطرة فحسب، بل كان همهم الأكبر التحكم في طرق القوافل المهمة، التي تؤمن لهم نقل المتاجر بأمان. ذلك هو ما فعلوه حين امتدوا شمالاً وغرباً في النقب، وشرقاً في منطقة الجوف، وجنوبا نحو مدائن صالح. ففي كل منطقة من هذه المناطق، كانت هناك طريق تجارية رئيسية أو فرعية[٧٢]. وكان هذا النشاط التجاري سبباً في بروز مظاهر كثيرة في الحياة النبطية، في مقدمتها العناية بالقوة العسكرية، التي من شأنها المحافظة على سلامة وأمن القوافل التجارية وطرقها .

وقد حاول الأنباط، في بداية أمرهم، الاستفادة من الطرق التجارية البرية القديمة، التي تمر بهم، وتطلعوا إلى مكاسبها. وفي فترات معينة عمل بعضهم في الإغارة على قوافلها، وعمل بعضهم في حراستها، وبعضهم بنقلها، والبعض الآخر شارك فيها، ومن ثم انفرد بها[٧٣]. واستطاع قسم كبير منهم أن يمتلكوا عدداً كبيراً من الإبل، وأن يحصلوا على السلاح لفرض السيطرة على القبائل، واستطاعوا جذب بعض التجار على توجيه سلعهم إلى البتراء، لتباع في أسواقها، وتنقل بمعرفة سلطاتها المحلية إلى الأسواق الخارجية[٧٤].

وبدءاً من عهد الحارث الرابع، اتخذ ملوك الأنباط أعواناً لمساعدتهم على بسط سيادتهم على دولتهم، وعلى رأس هؤلاء الأعوان حُكَّام المدن، الذين تفاوتت رتبهم؛ فمنهم من حمل لقب (استرج)[٧٥] (Strg)، الذي يعني حاكم المدينة أو الولاية، ومنهم رئيس معسكر، وقائد المائة. وقد تكررت تلك الألقاب بكثرة في النقوش النبطية، من مناطق شتى هي: الضمير إلى الشمال الشرقي من دمشق[٧٦]، وصيدا في لبنان[٧٧]، وأم الرصاص[٧٨]، ومأدبا[٧٩]، وكلا الموضعين الأخيرين يقعان إلى الجنوب من مدينة عمّان ، ومن منطقة الحجر[٨٠]. و في لعبان(Laaban) في إقليم أيدوم[٨١]. ورئيس معسكر مقيم في دومة الجندل (الجوف)، تؤكد وجود حامية عسكرية فيها[٨٢] وقائد مائة (قنطوريون) مقيم في موقع لويكي كومي[٨٣]. وكانت تُلقى على عواتق هؤلاء الأعوان مسؤولية أمن مرور القوافل بولاياتهم، وتحصيل الضرائب على البضائع، التي غالبا تقدر بربع قيمتها[٨٤] . ويدل على ذلك ما ذكره الكاتب اليوناني أرتميدوروس في

أوائل القرن الأول ق.م، وأشار فيه إلى أن القوافل التجارية القادمة من جنوبي الجزيرة العربية، كانت تمر بأقاليم يقوم حكامها بتأمين حراستها، حتى يسلمونها لحكام الإقليم الذي يليه، حتى تصل هذه القوافل إلى سورية بأمن وسلام(٨٥). وثمة دليل على قيام حكام الأقاليم النبطية بتأمين الحراسة اللازمة للقوافل، هو ما أورده الجغرافي استرابون، بأن القوافل التجارية كانت تذهب من البتراء إلى الحجر إلى لويكي كومي، بيسر وأمان(٨٦).

وتشير الدراسات الأثرية إلى المواقع الخاصة لحراسة القوافل، وطرقها خارج نطاق تلك المدن، وهو موقع (قيال) في الشمال الغربي من مدينة سكاكا، الذي كان يضم حامية عسكرية، ترددت ألقابها ومصطلحاتها في بعض النقوش النبطية، التي وجدت في هذا الموقع. وكانت مهمتها مراقبة الطرق التجارية عبر الجوف، خصوصاً الطريق الذي ربط شرق الجزيرة العربية وجنوب وادي الرافدين بالجوف. وبهذا يكون هدفها حماية طرق التجارة النبطية(٨٧).

ومن دراسة مجموعات النقوش، المحفورة على صخور الطريق التجاري في منطقة مدائن صالح (جنوب جبل اثليب)، وبينها وبين العلا، من يونانية ونبطية ولاتينية، تبين وجود محطتين، أو مركزين، لحراسة هذا الطريق، تعسكر فيهما فرقتان: إحداهما للهجانة، ومعظم جنودها من الأنباط، وثانيتهما للفرسان، ومعظم جنودها من اليونان والرومان(٨٨). كما يشير إلى ذلك أحد النقوش، الذي وردت فيه عبارة "الفارس زيد بن أسد ورفاقه الفرسان المكلفين بالحراسة"(٨٩). وكذلك عُثر على نقش غير مؤرخ في وادي مكتب، متفرع من وادي فيران في صحراء سيناء، على طريق القوافل القادمة من مصر إلى سورية، عبر شبة جزيرة سيناء، يشير إلى وجود مركز حراسة أخر(٩٠). وقد وردت في النقش عبارة: "سلام إلى قائد الفرسان عبد الحارث"(٩١).

الهـوامـش:

(١) Rawlinson, H.C., vol.V, pll.9,col.7,11,82-128, Cylinder B ;vol.III, pll,33f,col.7,11,93- 100 ; col.8,11,1-22؛ عباس وأبوطالب،(١٩٩١)، ص ١٨

(٢) جواد علي، (١٩٩٣م) ج٥، ص ٤١٢ .

(٣) Rawlinson, op. cit. vol.V, ,col. 8,11. 65-124 ; Streck, (1916), pp.70 -72

(٤) جواد علي، (١٩٩٣م) ج٥، ص ٤٢١ .

(٥) Rawlinson, loc. cit. vol.V, ,col. 8,11. 65-124 ; Streck, (1916) pp.70 -72 ; عباس و أبو طالب ، (١٩٩١م) ص ٢٠ .

(٦) Rawlinson, loc. cit. vol.V, col. 9,11. 27-89 ;British Museum Tablet K 2802; loc.cit., col. 3, 11. 1-23 ; Streck, (1916), pp. 74 -78, 198,200 ; عباس و أبوطالب، (١٩٩١م) ص ص٢٣-٢٤ .

(٧) جواد علي، (١٩٩٣م) ج٥، ص٤٢٠ .

(٨) Richard W. Bulliet., **The Camel and the Wheel** , Cambridge, mass. (1975), p.93 .

(٩) يحيى، (١٩٧٩م)، ص ٧٩ .

(١٠) موسل، (١٩٩٧م)، ص ٤٧ .

(١١) يحيى، (١٩٧٩م) ، ص ٤١٥ .

(١٢) Bulliet., (1975), p.93 .

(١٣) David . F. Graf., " The Nabataean Army and the Cohortes Ulpiae Petraerum" in **The Roman and Byzantine Army in the Esat**, Proceedings of Colloquium Held at the Jagiellonian University, (Krakow 1994) p.270 .

(١٤) Diodorus., II.48.4-5

(١٥) Diodorus., XIX. 94.1-10 ; 95.1-7 ; 96.1-4 ; 97.1-6 .

(١٦) Diodorus., XIX.100.2.

(١٧) Diodorus., XIX.95.4-5.

(١٨) الربايا جمع ربيئـة، وهو العين، والطليعة الذي ينظر للقوم لئـلا يدهمهم عدوّ، ولا يكون إلاّ على جبل أو شـرف ينظر منه. (محمـد بن مكرم ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت (١٤١٠هـ) ج١، ص٨٢).

(١٩) Diodorus.,XIX.96.2-3.

(٢٠) مجموعة من البـاحثين باشراف: مصطفى طلاس، **الاستراتيجية السياسية العسكرية**، دار طلاس، دمشق، (١٩٩١م)، ج١، ص ص ١٧١-١٧٣.

(٢١) Diodorus., XIX.96.1.

(٢٢) Diodorus., XIX.97.6 ; 98.1.

(٢٣) Diodorus., II.48.2-5 ; XIX94.6-10.

(٢٤) خليل بن إبراهيم المعيقل وسليمـان بن عبدالرحمن الذييب، **الآثار والكتابات النبطية في منطقة الجوف**، الرياض (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦ م)، ص ٥.

(٢٥) جواد علي، (١٩٩٣م)، ج٣، ص ص ٢٠- ٢١.

(٢٦) Polybious.,XIII.9.4 ; Diodours., III.43.3 ; Strabo., 16.4.8 .

(٢٧) العابد، (١٩٩٣م)، ص ١٥١.

(٢٨) Josephus., Antiq.XIII.XV.2 ; War.I.4.8(103)

(٢٩) جواد علي، (١٤١٣هـ) ج٣، ص ٣١.

(٣٠) Josephus., Antiq.XIII.XV.2; The Cambridge Ancient History., Vol.IX, p.400.

(٣١) Josephus., Antiq. XIV.I.4 ; XIV.II.1 ; War, I.VI.2 (123-128).

(٣٢) Josephus., Antiq. XIV.V.1 ; War. I.VIII.1 . (159).

(٣٣) Josephus., Antiq. XIV.VIII.1 ; Dio Cassius., 42.37.3 .

(٣٤) Josephus., Antiq. XV.V.1 ; War. I.XIX.1-4 (364-371) ; Dio Cassius., 49.32.15 .

(٣٥) Josephus., Antiq. XV.V.1-5 ; War. I.XIX.1-06 .

(٣٦) Dio Cassius., 51. 6 -7 ; Plutarch., Ant. 69.2-4 ; Strabo., XVII.1,9 .

(٣٧) Strabo., 16.4.23-24 .(780) .

(٣٨) Josephus., Antiq. XVII.V.9-10 ; War. II.X.1 .(66-71) .

(٣٩) Josephus., Antiq. XVIII.V.1 ; War. I.XVII.7 . (345-346) .

(٤٠) عباس، (١٩٨٧م) ص ص ٥٩ - ٦٠ .

(٤١) Bowersock,(1983), pp 57- 60 .

(٤٢) M. Cary., **A History of Rome**, 2nd, London (1960) p.645 .

(٤٣) Glueek N., "Wadi Al Sirhan", **BASOR** No.96 (1944). p.11.

(٤٤) حمد الجاسر، **شمال غرب الجزيرة**، دار اليمامة، الرياض (١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، ص ١٥٥ .

(٤٥) المعيقل والذييب، (١٩٩٦م) ص ص ٩-١٠ .

(٤٦) سليمان بن عبدالرحمن الذييب ، "نقوش نبطية جديدة من قارة المزاد سكاكا - الجوف"، **مجلة العصور**، ج٧، مج ٢ (١٤١٣هـ) نق : ٥ .

(٤٧) الذييب، (١٤١٣هـ) ، مج٧، ج٢، نق : ٥، ٧، ١٤، ١٦، ١٧ ، ٢٠ ، ٢٢ .

(٤٨) الذييب، (١٤١٣هـ) ، مج٧، ج٢ نق : ١ .

(٤٩) الذييب، (١٤١٣هـ)، مج٧ ، ج٢ نق : ٨ .

(٥٠) الذييب ، (١٤١٣هـ) ، مج٧ ، ج٢ ، نق : ١٩ .

(٥١) الذييب، (١٤١٣هـ)، مج٧ ، ج٢ ، نق : ٣٥ .

(٥٢) Al.Muaikel, K., "Qyal, A Nabataean Military Post NW of Skaka" **Ages**, vol.8, part 1. (1993) pp. 5-16 .

(٥٣) الأنصاري وآخرون، (١٩٨٤ م)، ص ١٨ .

(٥٤) John F. Healey ., **The Nabataean Tomb Inscriptins of Mada'in Salih** , Oxford (1993)., p. 27 .

(٥٥) المحيسن، (١٩٩٦م)، ص ٢٠٨ .

(٥٦) عباس، (١٩٨٧م)، ص ص ٥٩ - ٦٠ .

(٥٧) الذييب (١٩٩٨م)، نق : ١٩٥ : ٢ ، ١٩٦: ٢: ٤,

(٥٨) الذييب، (١٩٩٨م)، نق : ٢١٩ : ٢ .

(٥٩) الذييب، (١٩٩٨م)، نق : ٢٢١ : ١ .

(٦٠) الذييب، (١٩٩٨م)، نق : ٢١ .

(٦١) الذييب، (١٩٩٨م)، نق : : ٢: ٣، ١٠٤، ١٨: ٢، ١٠٢٢، ٤٤، ١٩٥: ١، ٢١٤: ٢، ٢٢٢: ١ ٢٢٤: ٧، ٢٢٨ : ٨ .

(٦٢) رفعت هزيم "الألقاب والرتب السياسية والعسكرية في الكتابات النبطية "، **مجلة اليرموك**، مج ١٢، العدد ٢ (الأردن ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م)، ص ص ٦٤ - ٦٦ .

(٦٣) J.M.C Bowsher., " The Nabataean Army " in the **Esatern Forntier of the Roman Empire**, Proceeding of a Clloquium Held at Ankara in September,1988, edited by D. French and C. Lightfoot, Parti, pp 19-30 ; Graf., (1992), pp. 265- 319 .

(٦٤) Healey.,(1993), ,pp. 29-30 ; عباس، (١٩٨٧م) ، ص ٥٩ .

(٦٥) Bowersock., (1983), p.69 .

(٦٦) Josephus., War. III.4.2. (68-69) .

(٦٧) الرياض(١٩٩٥م)، ص ٢١ .

(٦٨) Bowersock., (1983), p.73 ; Healey .,(1993), p. 24 .

(٦٩) Starcky, J., "The Nabataeans: A Historical Sketch" **The Biblcal Archaeologist** vol.XVIII . (1955), pp.101 - 106 ; Graf ., (1994), pp.296-299 .

(٧٠) Graf ., (1994)., p. 305 .

(٧١) Graf ., (1994), pp. 305-306 .

(٧٢) عباس، (١٩٨٧م)، ص ١٠٨ .

(٧٣) عبدالعزيز صالح، **تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،(١٩٩٢م)، ص ١٦٢ .

(٧٤) Iain Browning., **Petra**, London, (1973). p33 ; Bulliet., op.cit., p.110 .

(٧٥) سيأتي الحديث عنه بالتفصيل في الفصل الثالث من هذا البحث .

(٧٦) **CIS** : 161 / 3,6 .

(٧٧) **CIS** : 160 / 2 .

(٧٨) CIS : 195 / 2,4 .

(٧٩) CIS : 196 / 2,3,5 .

(٨٠) CIS : 213/2 ; JS : 6/1 ; 38/8؛ الذييب، (١٩٩٨م) نق: ٢: ٣ .

(٨١) Savignac & Starcky ., (1956) ,p. 216 .

(٨٢) Savignac & Starcky.,"Une Inscription Nabateenne Provenant du Djof", **BR** (1957) ,p.200 .

(٨٣) **The Periplus of the Erythraean Sea**: travel and trade in the Indian Ocean, Trans. By W.H.Schoff, London, (1912), pp.29-30 .

(٨٤) The Periplus., (1912) , pp. 29-30 .

(٨٥) Strabo., 16.4.19 .

(٨٦) Strabo., 16.4.24 .

(٨٧) المعيقل والذييب، (١٩٩٦م)، ص ص ٢٠ - ١٢ .

(٨٨) Seyrig H., " Postes Romains sur la route de Medine" , **Syria, Tome** 22 (1941) No.12. p.219 ؛ عبدالمنعم عبدالحليم سيد،"**صلات الأنباط بمصر من خلال النقوش النبطية على صخور الحجاز وصحراء مصر الشرقية " البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية (١٩٩٣م) ص٧٠ .

(٨٩) J S, 246 ; Graf., (1994) p.284-285.

(٩٠) A. Negev.,"Nabataean and the Provincia Arabia", **Aufstie und Niedergang der Romischen Welt II Principat (8)** ,New York (1977), p 73 ؛ الفاسي، (١٩٩٣) ص ١٨٧ .

(٩١) **CIS**,II,790 .

الفصل الثالث

التنظيمات العسكرية النبطية

أولاً : أقسام الجيش النبطي :

اشتملت القوة النبطية على عدد من الأقسام، كان من أبرزها الهجانة والفرسان والمشاة .

١ - الهجانة: وهم راكبو الجمال في الحروب:

يمكن أن تنسب معظم التغيرات، التي حدثت في طريقة الحياة البدوية، إلى التطور في رحل "شداد" الجمل. ويمكن زيادة التأكيد على أهمية هذا العتاد (الجمل)، الذي بعد أن كان متوحشاً أصبح حيواناً أليفاً، ثم تحول إلى حيوان يستخدم كوسيلة نقل، ثم إلى عنصر فاعلٍ في الحروب والغزوات. ففي الشرق الأدنى القديم، كان يعرف عن البدو حبهم للحروب والغارات؛ وحيث إنهم كانوا يحاربون على ظهور الجمال، فقد - اعتادوا بلا شك - على وضع الرحل على السّنام، إذ لا يمكن تحقيق السرعة القصوى في العدو إلا في هذا الوضع[١]. وقد مرَّ الرّحل العربي بمراحل عديدة حتى تطور. ففي البدايات الأولى للهجانة، كان كل جمل يحتاج إلى جنديين، أحدهما يقود الجمل والآخر يقاتل. وفي مرحلة تالية، بعد معرفة المحاربين طريقة استخدام الرحل، أصبح المقاتل يجلس على الرّحل، ويقاتل وحده برمح طويل، دون الحاجة إلى مساعدة من الآخرين[٢]. وتذكر النقوش القديمة، أن العرب استخدموا الجمال في حروبهم، نحو القرن التاسع ق. م، ضد القوات الآشورية، وتذكر أن ملك العرب "جندبو"، حارب بألف راكب جمل، مع قوات ملك دمشق والقوى الأخرى المتحالفة معه، ضد الملك الآشوري شيلمنصر الثالث (٨٥٨-٨٢٤ ق.م)، وكان ذلك في معركة قرقر[٣]. وفي نحو القرن السابع ق.م، كان لدى " نتنو"، ملك الأنباط، قوة من الهجانة، يعتمد عليهم في المهام العسكرية[٤].

استمر الأنباط في استخدام الجمال في الحروب، على الرغم من أنها كانت أهم وسائل النقل والتّرحال لديهم. فقد شاركت فرقة من هجانة الأنباط في الجيش السلوقي، في حربهم الخامسة ضد البطالمة[٥]. وكان حشد من الهجانة كاف لترجيح كفة الجيش النبطي، على جيش الملك اليهودي اسكندر يانيوس، في معركة قرب جداره، نحو سنة (٩٣ ق.م)[٦]. ومما يدل على اهتمام الأنباط بالجمل فقد عثر على عملة نبطية عليها صورة رجل ممتطيا جملا ، وأخرى ذكر أنها صورة الحارث الثالث راكعاً، ومعه في الصورة جمل. وعندما هدد القائد الروماني سكورس بغزو البتراء، وسلّم الحارث الثالث بمطالب الرومان، أصبح شعار المقاطعة العربية بعد ذلك، يتضمن الجمل كعنصر أساسي . ويبدو أن الرومان، بعد

احتلالهم المنطقة العربية، تأثروا بأهمية هذا الحيوان، فنقشوه على العملة الرومانية. (انظر شكل: ١). وعثر المنقبون في أراضي المملكة النبطية، على دمية نبطية مصنوعة من الطين، تمثل جملاً عليه الرّحل مشدوداً فوق سنامه، (انظر شكل ٢). كما عُثر في سورية على تمثال آخر من البرونز، لم يعرف له تاريخ محدد، يُرجّح أنه يعود للفترة النبطية (انظر شكل٣). حتى النقوش التي خلفها هؤلاء الأنباط على صخور الجبال، زيّنوها بصور الجمال[٧] (انظر شكل: ٤). إضافة إلى صور الجمال، التي كانت مع الفرسان في الشكلين (٨،٧). وقد وردت كلمة "الجمل" في أحد نقوش الحجر، باللفظ نفسه "جمل"[٨]. ويميل بعض الباحثين إلى الاعتقاد، بأن أصل إله الحرب النبطي (Aris)، المقتبس أيضا من اليونان، هو إله الحرب الذي يركب الجمل[٩]. وتذكر بعض النقوش المتفرقة، من منطقة مدائن صالح وجود مركزين لحراسة الطريق التجاري، تعسكر فيهما فرقتان، إحداهما فرقة للهجانة، والأخرى للفرسان[١٠]. ويبدو ذلك لتحقيق هدفين، أحدهما: يتطلب الاعتماد على الإبل، ويتصف بطول الفترة الزمنية، وثانيهما: يتطلب خفة الحركة [١١]، وهما أمران لا غنى عنهما معاً، لدولة مترامية الأطراف، معظم أرجائها تقع في الصحارى والقفار[١٢].

٢- الفرسان :

يُعد الفرسان في معظم الجيوش القديمة آلة الحرب الحاسمة، وعليهم كان يقع معظم ثقل المعارك. وقد كانت لسرعة الفرسان أهمية كبيرة، في نتائج القتال. فقد كانوا ينقضون على مشاة الأعداء، وعلى المدن، أو القبائل، انقضاض الصّواعق، ويربكون الخصم، ممهدين بذلك لمشاتهم الطريق، للتغلب على العدو[١٣]، خاصة بعدما أحسن الأنباط استخدام السرج، الذي حقق الراحة للفارس والخيل معاً، ووسع نطاق عمله إذ أنه أدى إلى توازن الراكب، وثباته أثناء القتال[١٤]. ويظهر من الكتابات القديمة، التي يعود عهدها إلى القرن الرابع ق.م، أن الجيش النبطي كان به عدد كبير من الفرسان، الذين يراوح عددهم نحواً من ثمانية آلاف فارسٍ، وذلك في المعارك ضد الجيش المقدوني، بقيادة أنتيجونوس سنة ٣١٢ ق.م[١٥]. كما ذكر ديودوروس أن الجيش المقدوني ضم في غارته الأولى، التي شنها على البتراء، وباءت بالفشل، نحو ستمائة فارس وأربعة آلاف من المشاة[١٦]. وأن الغارة الثانية ضمت أكثر من أربعة آلاف فارس، وأربعة آلاف من المشاة [١٧]. ويلاحظ أن عدد الفرسان في الجيش المقدوني، قد تضاعف عدة مرات عن الغارة الأولى. ويمكن تفسير ذلك بأن المقدونيين، عندما رأوا في الغارة الأولى أن الجيش النبطي كان يضم عدداً كبيراً من الفرسان، أخذو الحيطة لأنفسهم بزيادة عدد فرسانهم في الغارة الثانية،



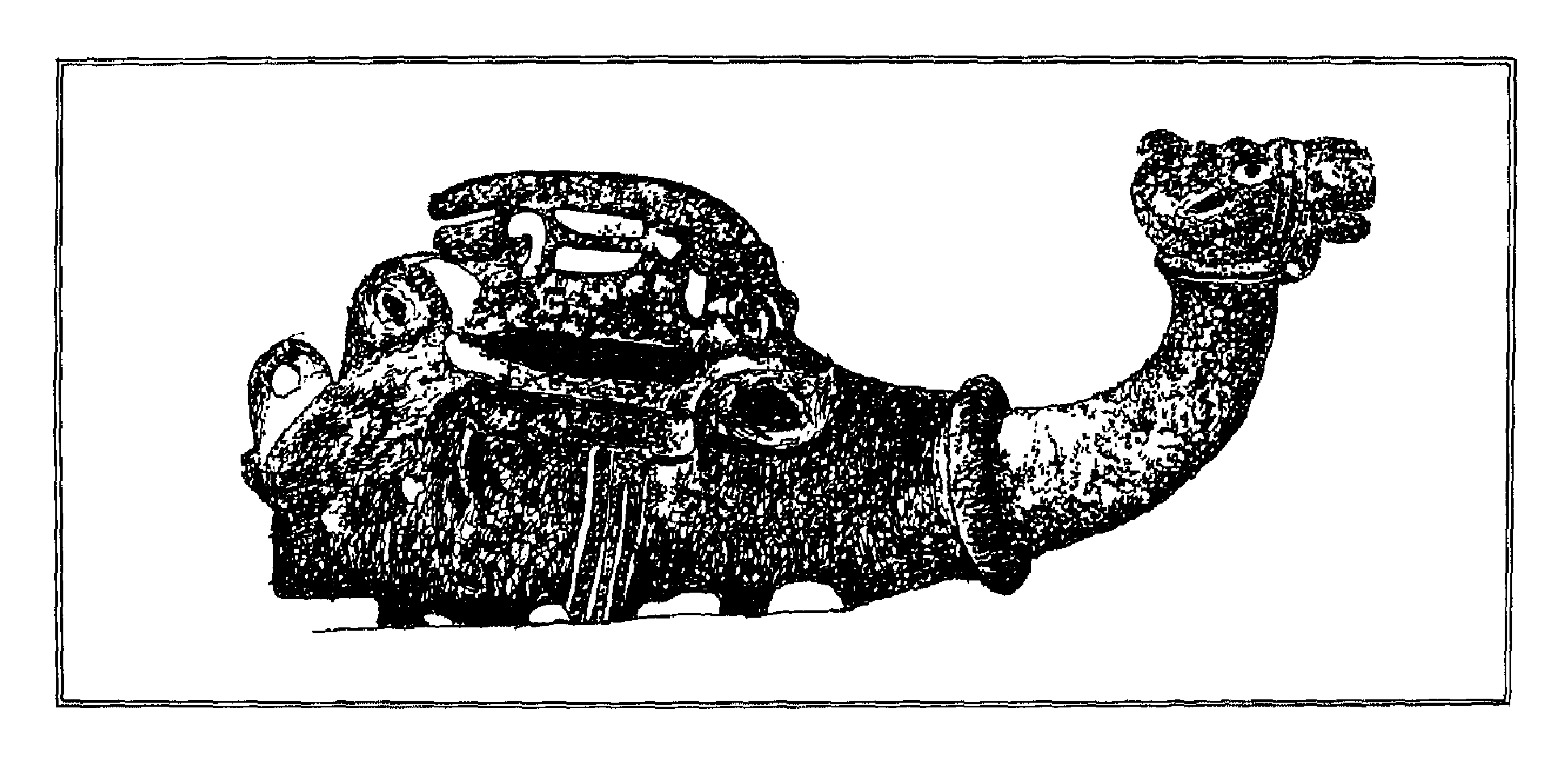




شكل ١: مجموعة من العملات النبطية التي تحمل صورة الجمل، دلالة على اهتمام الأنباط به.

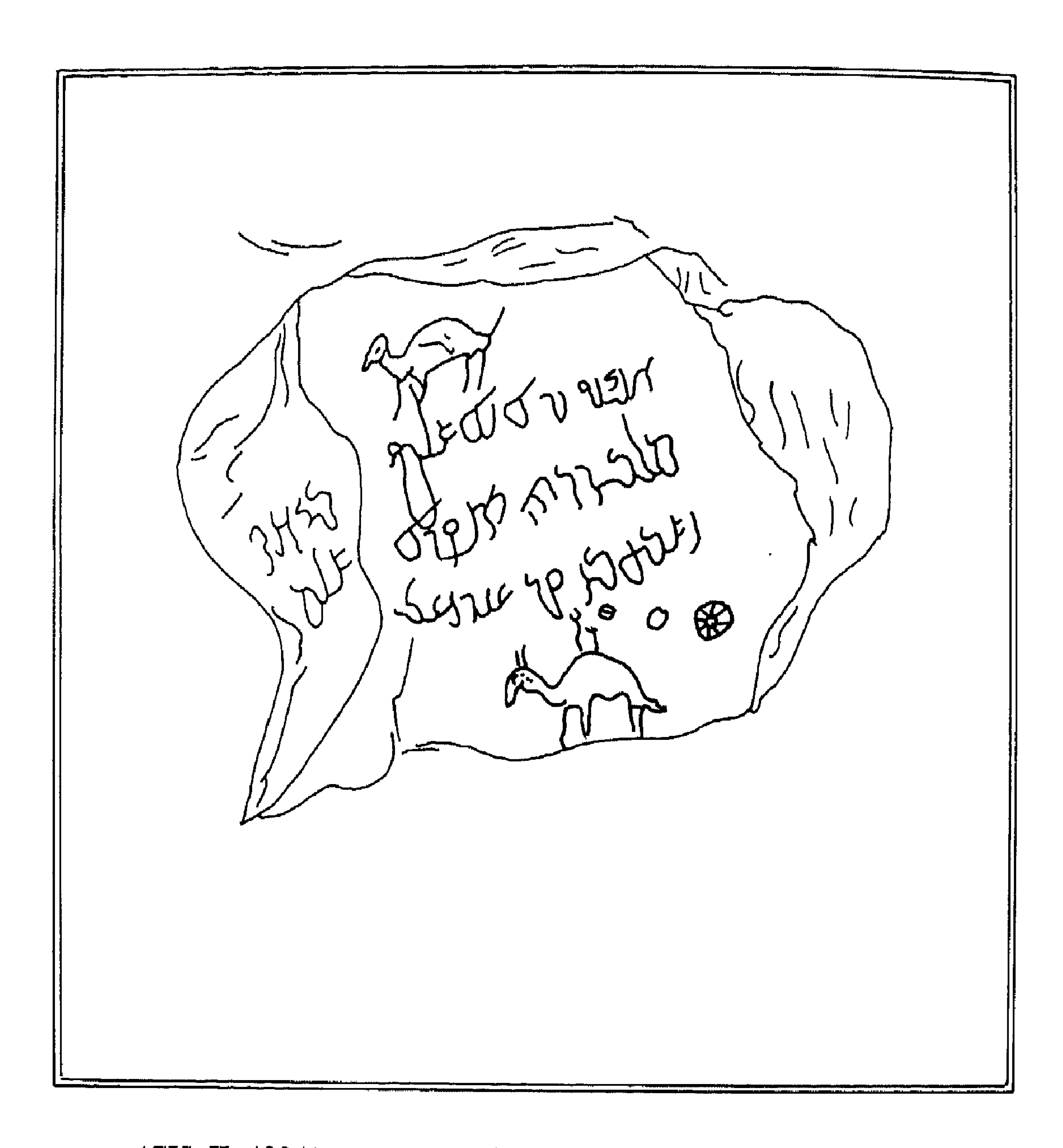
شكل ٢: دمية نبطية مصنوعة من الطين لجمل، ويبدو الرحل مشدوداً عليه.

نقلاً عن: (Negen., 1976, P. 106)



شكل ٣: تمثال من البرونز. عُثر عليه في سورية، ولم يعرف له تاريخ محدد، لكن يرجح أنه يعود للفترةالنبطية.

.(Rostovtzeff., 1986, P 461)



شكل ٤: نقوش خلّفها الأنباط على صخور الجبال مزيّنة برسمين للجمِل. (CIS. II. 488A)

إذ بلغ عددهم أكثر من أربعة آلاف فارس. ويساند هذا الاستنتاج تلك الروايات، التي وردت في حوليات آشور بنيبال، حينما قاد عدة حملات ضد القبائل الواقعة جنوبي بلاده، كان الأنباط إحداها، نحو سنة ٦٤٧ ق. م(١٨) وكان "أويتع"، ملك قبيلة قيدار، و"نتنو"، ملك قبيلة الأنباط، قد تحالفا على مواجهة عدوهما المشترك آشوربنيبال(١٩). وكانت قوة التحالف مجموعة من راكبي الإبل، وسلاحهم القوس والسهام(٢٠)، بينما قوة الجيش الآشوري كانت من الفرسان، الرماة المجهزين بالرماح الطويلة، التي توفر للفارس - وهو على صهوة جواده - بعداً أكثر للطعن، والقسي القصيرة، التي تُمكّن الفارس من شدها على الرغم من ضيق المجال(٢١). وقد رأى الأنباط المقاتل الآشوري وهو يمتطي فرساً ويتسلح بحربة أو رمح مع قوس، في آن واحد، وهم يمتطون ظهور الإبل، التي كانت حركتها المحدودة، مقارنة بالخيل، السبب الرئيس في هزيمتهم، من قبل الآشوريين (٢٢). ويبدو أن الأنباط تنبهوا إلى ذلك، سيما بعد استقرارهم في البتراء. فبدأوا باقتناء الخيل، وتدريب جنودهم عليها، كي لا يتعرضوا للصدمة السابقة نفسها.

أنشأت الدولة النبطية قوة عسكرية من الفرسان. وقد بلغ عدد أفرادها نحو عشرة آلاف فارس، كان لهم دور في الهزيمة، التي أوقعها الأنباط بالملك السلوقي أنطيوخوس الثاني عشر، ودفع حياته ثمنا لها، نحو سنة ٨٧ ق.م (٢٣)، وقد لعبت قوة الفرسان في الجيش النبطي، الذي ذكرت بعض المصادر أنها بلغت نحو خمسين ألفاً - دوراً مقدراً. وعلى الرغم من المبالغة في تعداد الجيش النبطي، إلا أنه كان للفرسان دور في هزيمة الجيش اليهودي بقيادة أرسطوبولس، ومن ثم ضرب الحصار على بيت المقدس(سنة ٦٥ ق.م)(٢٤). وكذلك كان لقوة الفرسان، التي بعث بها الأنباط إلى يوليوس قيصر، دور كبير في انتصاره على أعدائه في الإسكندرية، سنة ٤٧ ق. م(٢٥). وأيضا شاركت قوة عسكرية من الجيش النبطي بلغت نحو ألف فارس، وخمسة آلاف جندي مشاة، مع الجيش الروماني في حربه ضد الدولة اليهودية، ما بين سنتي (٦٧م - ٧٠ م)(٢٦). وكان من المهام، التي كلف بها الفرسان حراسة طرق القوافل. فقد عثر على نقش بالقرب من مدائن صالح، يدل على وجود مركزين لحراسة الطريق التجاري، تعسكر فيهما فرقتان، إحداهما فِرقة للفرسان(٢٧).

وتختص بعض النقوش، التي عُثر عليها في أماكن متفرقة، باحتوائها على عدد من الألفاظ، التي تدل على الفروسية: كالفارس، والفرسان، وقائد الفرسان، وقائد الألف فارس، وقائد الخمسمائة فارس؛ وفيها دلالة على التطور، الذي شهدته التنظيمات العسكرية النبطية. وفي

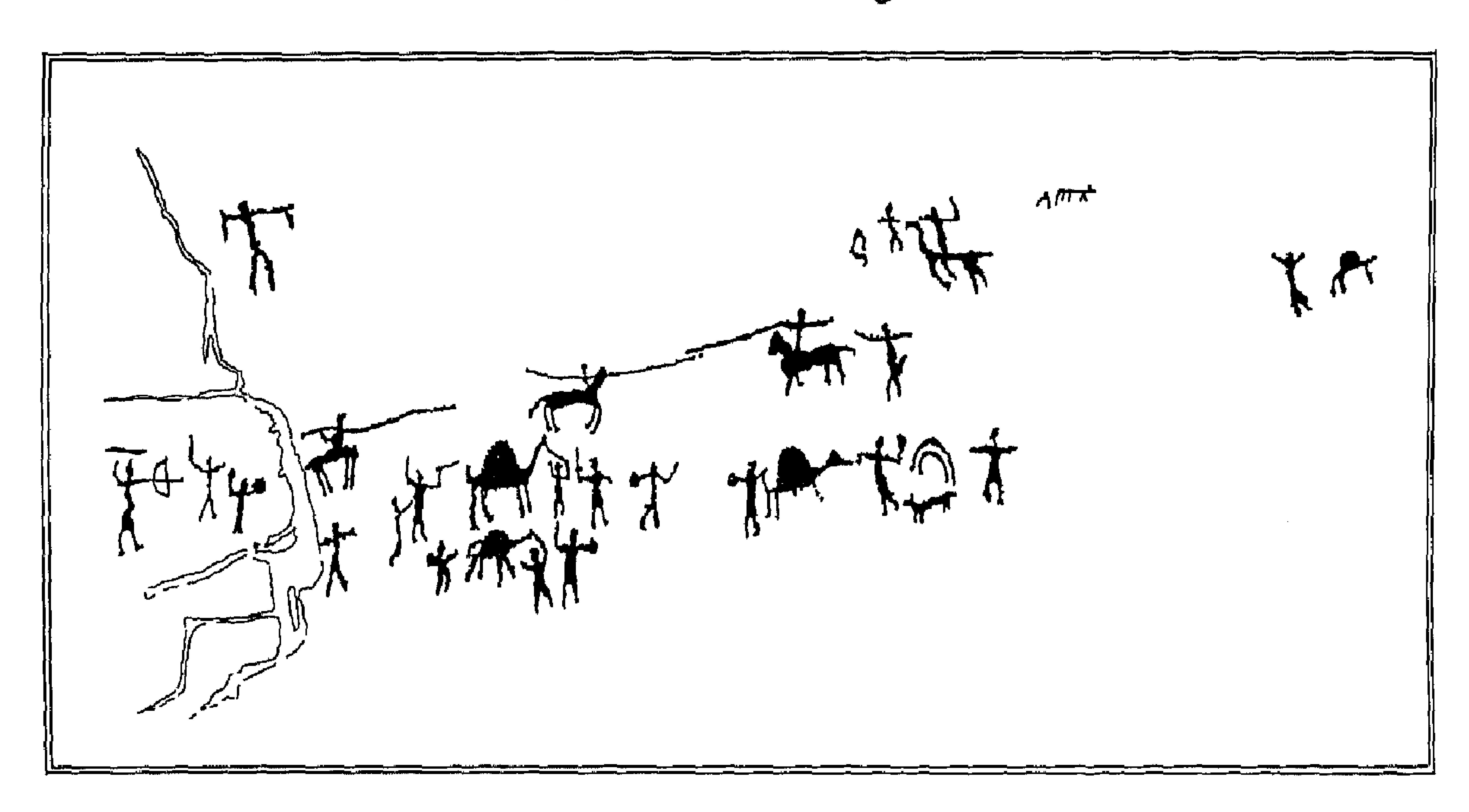
عدد من النقـوش ترد كلمة "الفارس"، أو "الـفرسان" بهذا الـشكل: "الفارس أسكاورس"[٢٨]. وكذلك عُـثر على نقش في مـوقع بين الحجر والعـلا، فيه ذُكـر "الفارس زيد بن أسـد وزملاؤه الفرسان"[٢٩]؛ وأيضا من الجـوف: " تحيات أسد بن منتنو و... أبناء الفـرسان"[٣٠]، و"الفارس زيد بن عبد"[٣١]، و"الفارس عـبدالإله بن تيم"[٣٢]، و"الفارس تيم الإله"[٣٣]، و"الفارس عـبد عبادة"[٣٤]، و"الفارس ميتنو"[٣٥]، و"الفارس عبـد بن غانم بن مسك"[٣٦]. كما عُثر على نقش في موقع قـيال بمنطقـة الجوف، ورد فـيه: "الفارس زيـد بن عيين"[٣٧]. وكذلك ورد لقـب "قائد الفرسان" في عدد من النقوش النبطية، التي عُثر عليها في عدد من المناطق النبطية[٣٨].



شكل ٥: "هذا الحصان الذي يمتطيه سعدالله" CIS890-Euting 410

نقلاً عن: (Graf., 1978, P. 287).

شكل ٦: أحد الفرسان مع خادمه، من وادي مكتب في صحراء سيناء (CIS914-EUTING 416).
نقلاً عن: (Graf., 1978, P 287)



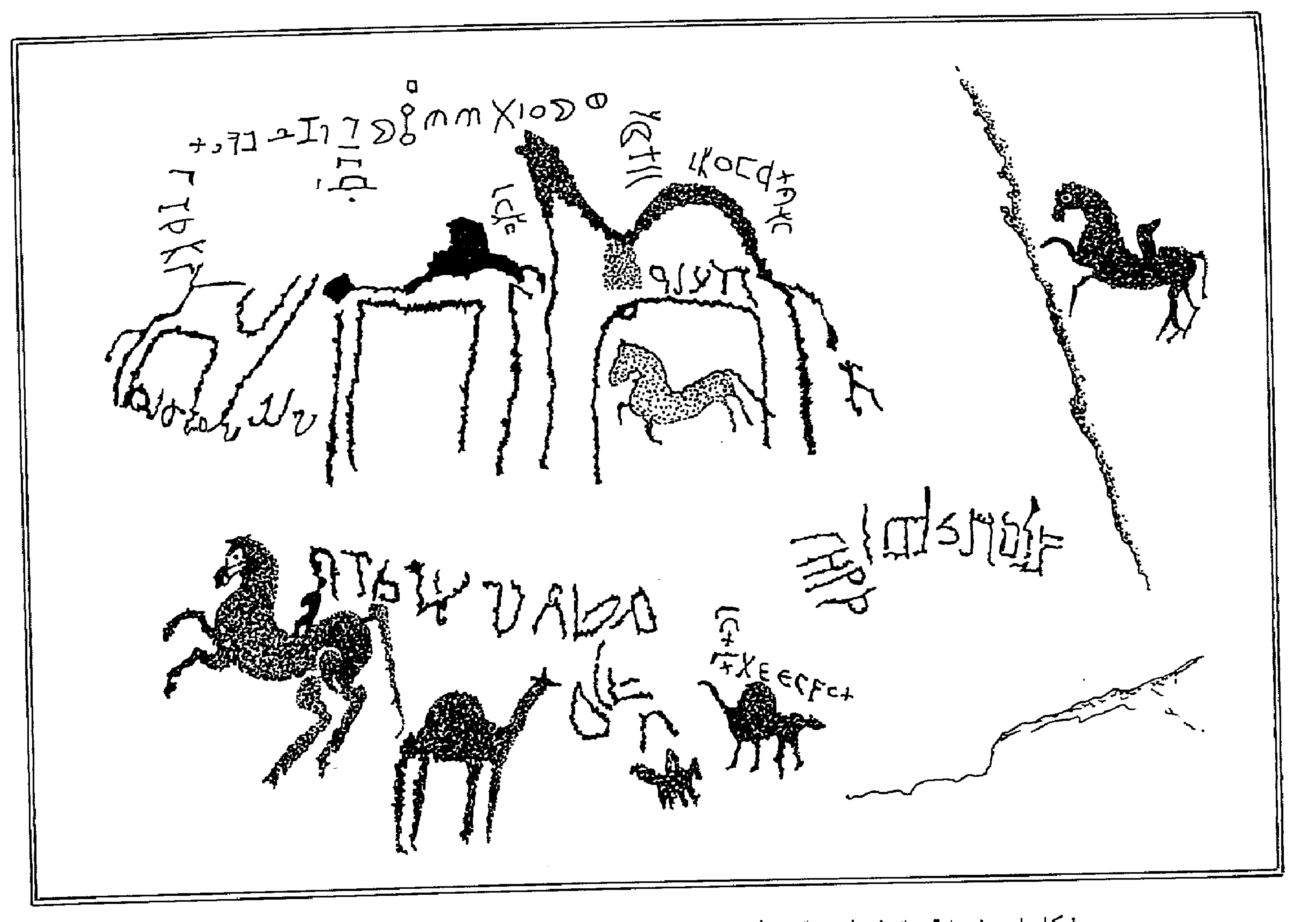
شكل ٧: تصوير فني قديم على السطح الجنوبي لهضبة الحمراء، في صحراء الحسمى جنوبي الأردن، وهي تمثل صورة لجيش محارب. نقلاً عن: (Graf., 1978, P 288) .

كما عُثر على بعض المخربشات، على بعض واجهات الصخور في وادي مكتب في سيناء، تصور الفارس "سعد الله" ممتطيا حصانه (شكل ٥)، وأخرى له مع خادمه "جرمو"، الذي يقود له الحصان (شكل ٦)[٣٩]. وفي جبال هضبة الحمراء، شمال وادي رم جنوب هضبة حسمى، مخربشة تصور الخدم وهم يمسكون بالجمال، ويراقبون سير المعركة، أثناء انشغال الجنود بالقتال. ويبدو فيها بعض الفرسان يمتطون جيادهم[٤٠] (شكل ٧)، وأيضا مخربشة ونقوش ثمودية ونبطية، وجدت في جبال منشير(Manshir) في صحراء الحسمى، وفيها صور عدد من الخيول والجمال[٤١](شكل ٨).

٣- المشاة (الرجالة) :

وهم الجند، الذين يقاتلون راجلين. ويؤلف هذا الصنف القسم الأعظم من القوات النبطية، كما هي الحال في أغلب الجيوش المعاصرة. ومهمتهم الأساسية الاصطدام المباشر مع العدو، وتحطيم قوته الرئيسة. فيتقدمون في صفوف متراصة في ثبات، وفي هيئة تُلقي الرعب في جنود العدو. ومن مهامهم أيضا التصدي لفرسان العدو، ومحاولة إبطال حركتهم، وإبعاد خطرهم، عن طريق عقر خيولهم، أو تنفيرها. كما يكلفون بحراسة مسالك المناطق الحيوية، كالمضائق والوديان[٤٢].

ولم يرد في المصادر القديمة، أو النقوش الكتابية، أو المخربشات الرسومية، تفاصيل عن جنود المشاة النبطيين، ولكن هناك إشارات عامة وردت عنهم. فقد وصل تعداد الجيش النبطي، في عهد الحارث الثالث، إلى خمسين ألف جندي، كان معظمهم من المشاة [٤٣]. ويرد في المصادر نفسها، أن الحارث الرابع أرسل قوة عسكرية من الفرسان والمشاة، لمشاركة الحاكم الروماني (Varus) في حربه ضد اليهود، نحو سنة ٤ ق.م [٤٤]. كما تضيف المصادر نفسها، أن مالك الثاني شارك نحو سنة ٦٩م بقوة عسكرية، قُدِّرت بألف فارس وخمسة آلاف جندي مشاة من رماة النبل، لمساعدة القائد الروماني تيطس (Titus) في حربه ضد اليهود، وحصاره لبيت المقدس[٤٥]. وطبيعي أن يكون للمشاة قادة، وهم الذين وردت بعض ألقابهم ورتبهم في النقوش، التي عُثر عليها في أنحاء متفرقة من الدولة. ومن هذه الألقاب: "قائد الألف جندي" من المشاة[٤٦]، وأيضا "قائد المائة جندي" من المشاة[٤٧].



شكل ٨: مخربشة ونقوش ثمودية ونبطية وجدت في جبال منشير (Manshir) في صحراء الحسمى، وفيها صور عدد من الخيول والجمال. نقلاً عن: (Graf., 1978: 309).

ثانيا - الألقاب والرتب العسكرية النبطية :

أبرزت نصوص النقوش النبطية، التي وجدت في أنحاء متفرقة من الدولة النبطية، المدى الحضاري، الذي وصل إليه الأنباط، ومدى قوة تأثرهم بالأمم المعاصرة لهم، خصوصا اليونان والرومان؛ إضافة إلى أنها رسمت صورة، ولو لم تكن واضحة المعالم، عن التطور العسكري، الذي شهدته الدولة النبطية، ومن ذلك :

ا - لقب ملك (mlk) :

أول ألفاظ الألقاب والرتب، في الكتابات النبطية، هو لفظ "ملك"، الذي يمثل عند الأنباط أعلى الألقاب وأسمى الرتب. والرأي السائد لدى معظم الباحثين، أن "الحارث"، الذي ورد ذكره في سفر المكابيين الثاني (٥: ٧-٩)، ويعود تاريخه الى حوالي سنة ١٦٩ ق. م، هو أول ملك نبطي معروف؛ ولذا جعلوه الحارث الأول. غير أن هذا ليس مؤكداً، لأن اللفظ الوارد في المكابيين ليس اللقب(βασι λευσ)"الملك" بل هو لقب "(τυραννοσ)الطاغية"، أو "الحاكم المطلق"، الذي لا يُشترط في حامله أن يكون ملكا[٤٨]. أما أول ذكر صريح لهذا اللقب، فقد ذُكر في نقش" الخلصة" في النقب، وقد ورد فيه: "الحارث ملك الأنباط"[٤٩]. ثم توالت النقوش بذكر ملك الأنباط، خاصة في الحجر. فقد ذكر فيه نحو ثمانية وثلاثون مرة[٥٠]، كما ذكر نحو أربع مرات في نقوش الجوف[٥١]. وكان الملك يقوم بمهمة القائد الأعلى للجيش .

٢ - الوالي (ا س ت ر ج ا) (στρατηγós) (Stratègós)

وهو لقب لأحد المناصب المهمة، التي وردت كثيراً في النقوش النبطية، وتعني: "حاكم الولاية أو الاقليم"، سواء أمدنياً كان أم عسكرياً، أم كليهما معاً، وأصله لقب يوناني (στρατηγós) مركب من الاسم (στρατós) ، الذي يعني (جيش)، ومن الفعل (αγω) ويعني "قاد". فيكون معناه الحرفي: "قائد الجيش"[٥٢]. وتعود أصول هذه التسمية وهذا المنصب، إلى أن الاسكندر المقدوني لّما احتل مصر، قسمها إلى إقليمين يرأسهما مصريان، وجعل جيش الاحتلال بقيادة ضابطين مقدونيين، منح كلاً منهما لقب "إستراتيجوس"[٥٣]. واستمر استعمال اللقب بعدئذ، عند خلفائه البطالمة في مصر. وكان حامله أعلى المسؤولين في ولايته رتبة. كما استعمله السلوقيون في سورية [٥٤]. وهناك من يرى أن الأنباط استخدموه قياساً على

استعمـاله في العصر الهلنستي، باعتبار أن الحكام الإداريين هم أنفسهم قـادة عسكريين، سواء كانت خضعت لهم مناطق صغيرة أو كبيرة[٥٥]. ويعتقد بعض الباحثين، وعلى رأسهم سافنياك (Savignac) وستـاركي(Starcky) ، أن هذا اللقب كـان يطلق على ولاة المدن، ورؤساء المقاطعـات، القائمين بالأعمـال المدنية والعسكرية. ودعـما رأيهما بالنقش النبطي، الذي نصه: "... كل إنسان يبيع المقبرة هذه أو تكتب له كعطية (كهدية) فليكن معه (فليحضر معه) للحاكم ، الذي بالحجر، ألف قطعة نقد (حارثية)، ولسيدنا مالك الملك المبلغ نفسه"[٥٦]. فذكر صراحة أن غرامة انتهاك حرمة القبر، تُدفع إلى حاكم الحجر المقيم فيها، وقد ساوى هذا النقش بينه وبين ملك الأنباط، مالك الثاني، في هذه الغرامة. وملك الأنباط هو القائد الأعلى للشؤون المدنية والعسكرية معاً[٥٧]. ولا يخالف نجف (Nagev) هذا الاعتقاد حول اللقب، من خلال دراسته الخاصة لنقوش الحجر والتي توصل فيها إلى أن حامل هذا اللقب، كان رئيساً للإدارة المدنية والعسكرية، على حد سواء[٥٨].

وعلى الرغم من وضوح هذا الأصل للقب (استرتج)، فإن أغلب الباحثين لم يستطيعوا الاتفاق على دلالته عند الأنباط[٥٩]. ويُعتقد مع ذلك أن الأنباط استخدموه في المجالين العسكري والإداري، لأن هذا اللقب كثُر استخدامه ما بين سنتي (٤ ق.م –٧٠م)[٦٠]، وهي الفترة التي كان الأنباط يعانون فيها من الاحتلال الروماني في سورية ومصر[٦١]. وكان خطر الاحتلال يهددهم في أية لحظة؛ لذا، كانوا بحاجة ماسة إلى من يقوم بالمهام العسكرية، لأنها تتطلب الأولوية، وما كثرة الألقاب والرتب العسكرية في عهدي الحارث الرابع ومالك الثاني إلا دليلاً واضحاًعلى اهتمام الأنباط، في هذا الوقت بالذات، بالأمور العسكرية، أكثر منها بالأمور الإدارية، التي من السهل أن يقوم بها صاحب المنصب العسكري[٦٢]. ومن الأسماء التي وردت في النقوش النبطية، وهي تحمل لقب "إسترتج "، من صيدا الاسترتج (Zô'iI)[٦٣]، ومن مدينة "ضمير" في الشمال الشرقي من دمشق: "عبد مالك الاسترتج"[٦٤]، ومن مدينة الحجر "الاسترتج غانم بن دمسفس"[٦٥]، و"الاسترتج رب إيل"[٦٦] ، و"الاسترتج عبدالله"[٦٧]، "الاسترتج دمسي بن ربيب إل"[٦٨]، "الاسترتج سليِّ (صالح) بن عيد"[٦٩]، و"الاسترتج مطي بن أوفرنس"[٧٠]، و"الاسترتج مالك بن رب إل"[٧١].

٣ - **قائد الفرسان (هـ ف ر كـ ا) hfrk :**

وهو أحد المناصب العسكرية، التي عرفها المجتمع النبطي. والكلمة من أصل يوناني - غالباً - هو(ἵππαρχοσ)والتي تعني "قائد الخيالة "[٧٢]، وربما تقابل الكلمة اللاتينية-Praefec) tus) التي تعني - هي الأخرى - قائد وحدة فرسان في الجيش الروماني[٧٣]. ويرى بعض الباحثين أن وحدة الفرسان، التي يقودها "الهفرك"، لم تكن تتجاوز الخمسمائة فارس [٧٤]. وقد عثر على عدد من النقوش النبطية، التي يحمل فيها أشخاص هذا اللقب، بلغت نحو ثلاثة عشر نقشاً[٧٥]. منها ما ورد في نقوش الحجر، وهي: "الهفرك عيد بن عبيدو"[٧٦]، و"الهفرك فروان " الذي عمل في عهد الحارث الرابع[٧٧]، و"الهفرك أوفرنس"[٧٨]، و"الهفرك ترصو بنُ تيمو" [٧٩]، و"الهفرك شمش جرم"[٨٠] من خبت التماثيل، الذي يقع نحو ٨٠ كيلا شمالي مدينة الحجر[٨١]، و"الهفرك سعد الهي"[٨٢]، ومن الجوف "الهفرك منتنو بن حرمون"[٨٣]. ومن سهوة الخضر جنوبي بصرى الشام "الهفرك غوثو"[٨٤]، ومن بصرى الشام "الهفرك عبد الجا "[٨٥]، ومن وادي مكتب المتفرع من وادي فيران في صحراء سيناء "الهفرك عبد حرتت "[٨٦].

٤- **قائد فرسان (رب ف رس ا)(rb frsy) :**

وهي لفظة آرامية، وردت في نقش واحد من البتراء، نصه: (... ديودورس رب ف ر س ي ا)[٨٧] وترجمته: (ديودورس قائد الفرسان)[٨٨]. ويعود ذلك إلى السنة الثامنة عشرة من حكم الحارث الرابع، الموافق للسنة الثامنة ميلاديه[٨٩]. ويبدو أن هذا اللفظ الآرامي (rb frsy)، استخدم عند الأنباط في فترة باكرة، للدلالة على منصب قائد الفرسان، قبل اقتباس المصطلح الأجنبي الاسترتج (srtg) والهفرك (hfrk). وقد تدنى هذا اللقب بعد شيوع الألقاب الأجنبية، فأصبح يدل على مرتبة ضابط أقل من (hfrk) وربما يُعطيه هذا اللقب حق قيادة فصيلة من الفرسان، يكون في طليعة الجيش[٩٠]. وبالطبع لا يوجد شيء يمنع كلاً من المصطلحين، الـ (hfrk)و (rb frsy) من أن يستخدما في آن واحد، وإن كان يُرجَّح أن اللفظ الإغريقي للقائد (ἵππαρχοσ)كان هو اللفظ الظاهر على أية حال باسمه فقط[٩١]. ويرى ناشر النقش أن هذا القائد، كان يقود وحدة مؤلفة من ستمائة فارس[٩٢].

٥- **قائد المعسكر (رب م ش ري ت ا) : (rb m sryt)**

وهو أحد الألقاب العسكرية، ويرى بعض الباحثين أنه ربما يقابل من حيث وظيفته ورتبته

(στρατοπεδ - αρχηα) في اليـونانيـة، و (Praefectus castrorum) في اللاتينيـة مـا يعني: الضابط المسـؤول عن إقامـة المعسكر وإدارته[٩٣]. وقد ورد هذا اللقب في نقش من البـتراء في منطقـة المدرس "ابن عبد الحـارث قائد المعسـكر" ، ويعود إلى عـهد الحـارث الثالث[٩٤]، ومن مأدبا "عـائذ بيل رئيس المعسكر"[٩٥]، ويعود أيضا إلى عـهد الحارث الرابع[٩٦]، ومن الجوف" غنمو (غانم) بن دمسفس رئيس المعسكر"[٩٧] .

٦- قائد الألف (كـ ل ي ر كـ ا) (klyrk') :

وهو لقب يعني "قـائد الألف جندي"، وهو مـصطلح مقـتبس من اليونانيـة (Χιλιαρχοσ) ويعني: " قـائـد ألـف "، ويقـابـل (chiliarchus) في اللاتيـنيـة[٩٨]، التي تعـادل كـلـمـة (tribunus militum)، وتعني قائد الألف من المشاة الرومان[٩٩]. ولم يرد هذا اللقب سوى مرة واحد ة في نقش من الحجر وحمله شخص يدعى "حنين بن هيفستون"، ويعود إلى عهد الحارث الرابع[١٠٠].

٧ - قائد المائة (ق ن ط ر ي ن ا) (qntryn):

وهو لقب يعني "قـائد المائـة جندي"، وهو من الألقـاب التي اقـتبسـهـا الأنبـاط من اللفظ الروماني (centurion) ويعني قـائد لإحدى الوحدات الرومـانية المكونة من مـائة رجل. وربما يكون اللقب الروماني نفسه مشتق من اللفظ اليوناني(knturiôn)[١٠١]، وقـد ورد هذا اللقب في نقش من مـدينة الحـجر بـهـذا الشكـل": القنـطرون (قائد المائة) سـعـد الله بن زيد"[١٠٢] ويعود هذا النقش إلى عهد الملك الحارث. وورد كـذلك في موقع لويكي كومي، عندما ذكر أن "قنطريون" قائد مائة، مقيم فيها باستمرار ليحـصِّل على البضائع المستوردة ربع قيمتها، وتسانده قوة مـسلحة، وكـان في عهـد مالك الثـاني[١٠٣]. ولعل في هذا دليل على أن الحكومـة النبطية كانت تكلف أصحـاب المناصب العسكرية بالقيام بالمهـام المدنية والتجارية، ولا يعتـقد أن عمله هذا يتنافى مع قيامه بالمهام العسكرية، وقت الحاجة .

٨ - حامل العلم (س م ي ف ر ا) (smyfr)

وهو لقب يـعني "حـامـل العلم"، وهو مـسـتـمـد من جـمع الكلمـتين الإغـريقـيـتين (σημειον + φερω) وتعني: يحمل العـلم، أو "حامل العلم"[١٠٤]. وقد ورد مـرة واحدة في نقش نبطي من الحـجر: "زيد حـامل العلم "[١٠٥]. ويبدو أن هذه الـوظيفة كـانت من الوظائف

المهمة، التي استمرت حتى الفترة الإسلامية. ولحامل العلم دفع معنوي مميز للمقاتلين؛ فسقوط العلم يعد علامة للهزيمة والتراجع. لذا، غالبا ما يكون حامل العلم من الرجال الأشداء الأقوياء، ليتمكن من المحافظة عليه[١٠٦].

٩ - الكاتب العسكري (م ط ي ب ن ا) (mtepna)

وهو لقب يعني "الكاتب العسكري". ولم يرد مسمى هذه الوظيفة إلاّ مرة واحدة، في نقش من دومة الجندل (الجوف) بهذا الشكل: "دي ك ر عزيزو م ط ي ب ن ا بر غنمو"، تحيات الكاتب العسكري عزيز بن غانم"[١٠٧]. ولا شك في أن لهذه الوظيفة أهمية قصوى في الجيش، فقد ورد استعمال هذا اللقب في مصر القديمة، وذُكر أن "الكاتب العسكري" كان يقوم بحشد وتعبئة كل ما في البلاد، ليُعطي الملك صورة إحصائية لكل ما هو مطلوب معرفته، من النواحي الاقتصادية والعسكرية والبشرية. كما يشرف على السجلات الخاصة بكل الجنود، والكهنة، والرقيق التابعين للملك والأسرة الملكية، وجميع أصحاب الحرف في كل أنحاء البلاد. وكذا السجلات الخاصة بإحصائيات كل المواشي، والطيور، والقطعان الصغيرة[١٠٨]. ولمّا كان تعداد الجيش النبطي كبيراً، فقد وصل نحواً من خمسين ألفاً من الأفراد والقادة، وكان من الضروري ضبط وتسجيل الجنود، وكل ما يتعلق بهم من أمور معيشية وتعبوية؛ إذ من غير ذلك يصعب تسيير أمور الجيش، في السلم أو الحرب. وقد وجدت فئة من الموظفين برتب عسكرية، يقومون بأعمال تنظيمية على هذا النحو. ويبدو أن الأنباط تنبهوا لأهمية الكاتب العسكري، فأدخلوه من ضمن تنظيماتهم العسكرية .

ثالثا : القيادة العسكرية :

القيادة مصطلح عملي لمجموعة متوافقة من المزايا والمعارف والخصائص، التي تميز إنسانا عن سواه، وتؤهله لقيادة الناس في بيئته ومحيطه أو مهنته، ومن ثم تمكّنه من التصرف في شؤون الآخرين، وتصريف أمورهم فيما يُعتقد أنه على أحسن صورة وخير نهاية. والقيادة بالمفهوم العسكري يُقصد بها الإدارة العسكرية، التي تسيطر وتعمل على تنظيم القوات المسلحة وإعدادها للحرب، ثم قيادتها وتوجيه جهودها لتنفيذ المهمات الموكولة إليها[١٠٩]. فقد كان ملوك الأنباط يحرصون على قيادة الجيش بأنفسهم، لأنهم على ما يبدو يرون أن من أهم الواجبات المناطة بهم تجاه شعبهم، قيادتهم في السلم والحرب[١١٠]، وربما لإضفاء القوة والهيبة

للملك، عندما يكون قائداً أعلى للجيش، يخوض غمار الحروب بنفسه . وقد ورد في بعض المصادر القديمة أخبار ملوك الأنباط، وقيادتهم لجيوشهم في المعارك. فقد قاد عبادة الأول الجيش بنفسه، ضد الملك اليهودي اسكندر يانيوس، في معركة جدره (Gadara) وكان النصر حليفاً للأنباط(١١١). وأيضا قاد عبادة الجيش مرة أخرى نحو سنة ٨٨/ ٨٧ ق.م، في معركة ضد السلوقيين، بقيادة ملكهم أنطيوخس الثاني عشر، الذي قتل في هذه المعركة، و حسم الأنباط نتيجتها لمصلحتهم(١١٢). وكذلك قاد الحارث الثالث جيشه بنفسه، ضد ملك اليهود أرسطوبولس وهزمه، ثم حاصر بيت القدس(١١٣). وأيضا قاد مالك الأول الجيش ضد ملك اليهودي (هيرود الكبير)، والتقيا في معركة (قانا) (Cana) بالقرب من سورية المجوفة، وكان النصر حليفاً لمالك (١١٤). وكذلك الحارث الرابع، الذي قاد الجيش إلى معركة كانت هي الحاسمة للصراع بين اليهود والأنباط، نحو سنة ٣٦/ ٣٧م(١١٥).

ويبدو أن هذه القيادة لم تكن دائمة. فقد كانت بعض الظروف تُضّطر الملك إلى التخلي عن قيادته جيشه، وتكليف من ينوب عنه في قيادة الجيش. وقد حدث ذلك عندما عهد الحارث الرابع بقيادة الجيش إلى أحد قادته، وكان برتبة "استراتيجوس". وحدث ذلك عندما كان الحارث على وشك أن يخوض حرب ضد هيرود انتيباس نحو سنة ٣٤م(١١٦). وربما عيّن الملك قائداً عاماً للجيش، كما فعل عبادة الثاني عندما عين "سُلي"وزيراً، جمع بين شؤون المال والقضاء والقيادة العسكرية(١١٧). فقد قاد "سُلي" الفرقة النبطية، التي شاركت في حملة إليوس غالوس على اليمن، نحو سنة (٢٤ ق. م)(١١٨).

وتعدّ القيادة العسكرية من أهم الأمور، التي تضمن نجاح واستمرار القوات العسكرية، فمن دونها لا يحقق الجيش أي فائدة ترجى منه. ولهذا كانت الحكومة النبطية حريصة على تعيين القادة المدربين والمجربين. وقد عُثر على نقوش تحمل عدداً من الألقاب القيادية: كقائد الجيش، وقائد الفرسان، و قائد المعسكر، وقائد الألف، وقائد المائة . وهي الألقاب، التي ورد بعض منها في النقوش النبطية، مثل: "ستراتيجوس" بمعنى الوالي أو الحاكم(١١٩) والقائد العسكري العام لأحدى المقاطعات ، وربما ينوب عن الملك في قيادة الجيش(١٢٠). يساعده في ذلك عدد من القادة، كقائد الفرسان "رب فرسا"، وهو قائد لفصيلة من الفرسان، يكون في طليعة الجيش(١٢١). و كذلك "الهفرك"، وهو أيضا قائد لوحدة الفرسان، التي لا تتجاوز الخمسمائة فارس(١٢٢)، وأيضا "قائد المعسكر ، رب مشريتا" (rb msryt) (١٢٣)، وكذلك "قائد الألف جندي"(١٢٤)، وأيضا "قائد المائة "(١٢٥).

رابعا : الأسلحة :

استعمل العرب لفظة "سلاح" و"عدة المحارب"، ويراد بها كل ما يستعمله ويحمله الجندي، من وسائل الهجوم والدفاع(١٢٦). ومعرفتنا بالأسلحة النبطية ضئيلة، لكن ربما يُستدل على بعض منها فيما ورد في النصوص القديمة، والنقوش النبطية. ومما لا شك فيه أن الحروب شبه المتصلة، في الفترة التي عاش فيها الأنباط، أدت إلى تطور ملحوظ، ونشاط كبير، في الصّناعات التي كانت تستلزمهما فنون القتال، كأنواع الأسلحة ولوازم الحرب. ومن الجائز أن هذه الصناعات خاصة، قد تميزت عن باقي صناعات العصر، بأنها استخدمت آخر ما توصلت إليه التقنية المعاصرة لها، في سبيل الحصول على أسلحة أكثر جدى، وأشد فتكاً من الأسلحة القديمة(١٢٧). وقد اشتهر سكان أرض مدين، وشرق الأردن، وشمال خليج العقبة، وسيناء، باهتمام كبير بالصناعات المعدنية، كالنحاس والحديد والذهب(١٢٨). وعُثر بالقرب من بعض المواقع، مثل "صيرة" و"خربة نحاس" و"خربة ويبة" و"خربة جرية"، على بقايا التعدين وأكوام خبث النحاس والحديد، ويرجّح أنها تعود إلى ما بين القرنين الثاني ق. م والثاني الميلادي(١٢٩). وتشير الدلائل إلى أن سكان الجزيرة العربية الأقدمين، الذين حلوا في أرض مدين، قد استغلوا مناجم المنطقة على نحو مكثف. وسار الأنباط على خطى أسلافهم، أهل مدين، في الاستفادة من المعادن المتوفرة في المنطقة. وامتد نشاطهم في مجال التعدين، وأنشأوا الطرق، التي تصل بين هذه المناجم ومدنهم الرئيسية، في شمال غرب الجزيرة العربية(١٣٠). ولا شك في أن هذه المعادن احتاجت إلى مجتمع، يمكن أن يتخصص بعض أفراده لمجموعة من الاحتياجات، كالتعدين والصهر والبناء، إضافة إلى الحدادين المحترفين، والفنانين الذين يقومون على تشكيل المنتجات المعدنية في أشكالها المختلفة، حسب الاستخدام، كصياغة المجوهرات، وعمل الأسلحة، وغيرها من الأدوات القاطعة المستخدمة في الزراعة والمنزل، وغير ذلك كثير(١٣١). وقد عرف الأنباط بعض المهن، التي منها "ق ي ن ا" وتعني "الحداد، العامل في المعادن"، وهي تعادل في العربية كلمة " قَيْنٌ "(١٣٢). وهذه الكلمة، تفيد أن حرفة الصناعة بمختلف أنواعها، كانت معروفة ومتداولة في المجتمع النبطي، مما يدل على أن هذا المجتمع، سيما بعد احتكاكه بالرومان أرباب الحضارة في ذلك الوقت، قد مارس العمل بهذا النوع من الحرف والمهن، لأهميتها في بناء أي مجتمع حضاري(١٣٣). ولا شك أن صناعة السلاح كانت من أولويات الحكومة النبطية. ومن المحتمل أن الأنباط كانوا يحصلون على بعض الأسلحة من طريق الشراء، إضافة إلى تصنيعه.

فقد تعاملوا في التجارة مع اليمن والهند، اللتين اشتهرتا بصناعة الأسلحة (١٣٤).

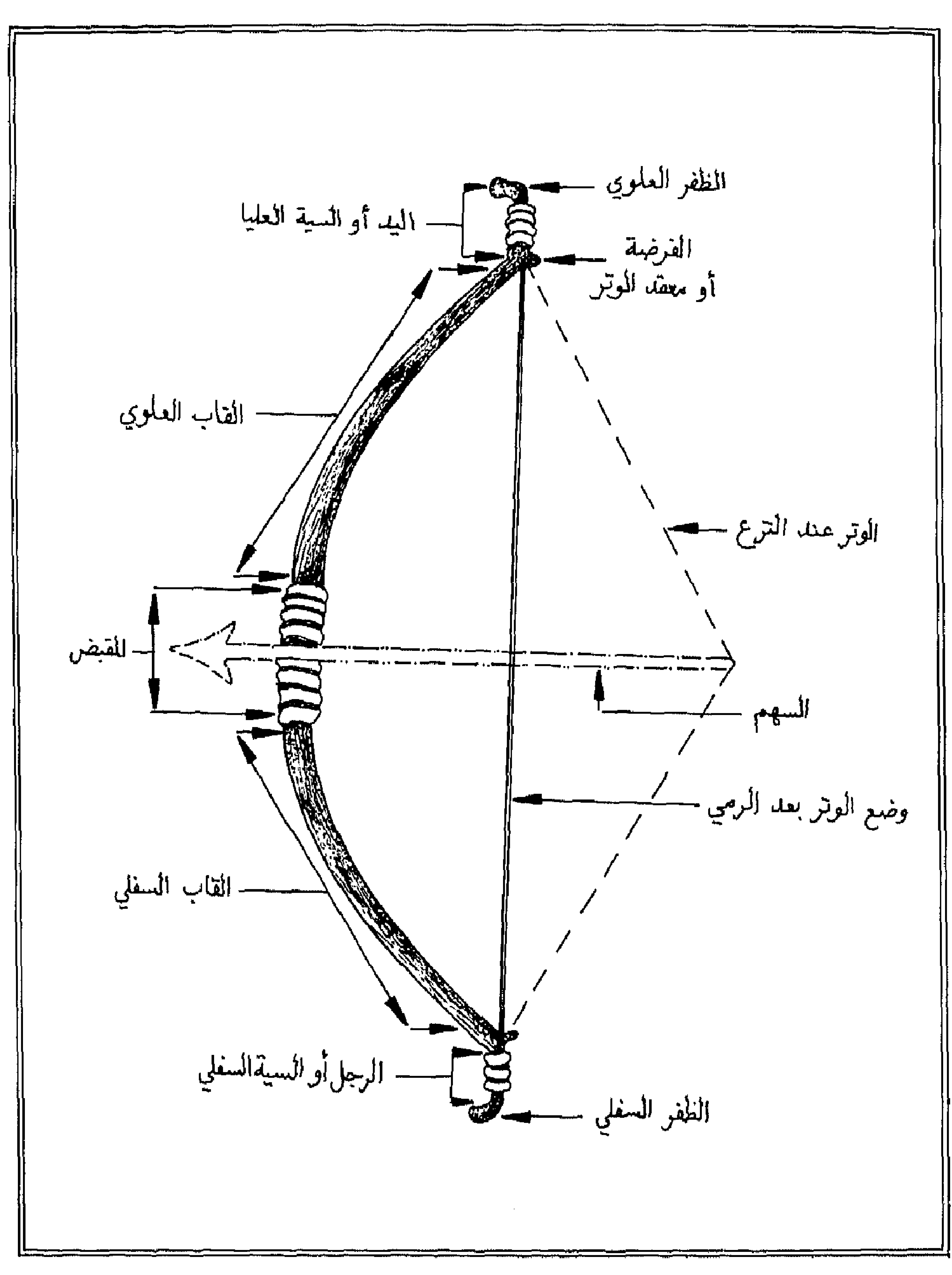
ويمكن دراسة الأسلحة لدى الأنباط من خلال تقسيمها إلى ما يلي :

أ) الأقواس والسّهام :

القوس هو كل ما انعطف وانحنى، فقد استقوس وتقوس وقوس، الجمع أقوس وأقواس وقِيَاس وقسي، يصنع من الحديد والخشب. والقوس عود من شجر حبلي صلب، كان العرب يأخذونه من (شجر النبع والشوط) يحنى طرفاه ويشد فيهما وتر من الجلد، أو العصب، الذي يؤخذ من عنق البعير(١٣٥)، ويتركب القوس من البدن، ويطلق على خشب القوس كله، والمقبض وهو موضع اليد اليسرى منه في الوسط من البدن، والسِيَّه وهي ما انعطف من طرفي القوس وركب في الوتر، والقاب وهو ما بين المقبض والسيَّه، ولكل قوس قابان في الوتر، ويتخذ من خيوط مفتولة، أو شراك جلد، وكان يسمى "العقب"، والفرضه، وهي الجزء الذي يلف عليه طرف الوتر المعقود، ويكون في السيَّه العليا والسفلى، والظفر وهو ما يبقى ظاهراً من طرف السيَّه، بعد معقد الوتر عليها، من أعلى ومن أسفل(١٣٦) (انظرالشكل٩). ويستخدم في الرمي بالقوس (النشَّاب) و (النبل) و (السهم)، وهي أسماء لمسمى واحد، وهو عود رفيع من شجر صلب يقارب طول الذراع، يأخذه الرامي فيفتحه ويسويه ثم يقرض فيه قروضاً- حزوزا- دائرية، ليركب فيها الريش ويشده عليها بالجلد المتين، أو يلصقه بالغراء ويربطه؛ ثم يركّب في قمته نصلا من حديد مدبب، له سنتان في عكس اتجاهه، يجعلانه صعب الإخراج إذا نشب في الجسم، (انظرالشكل ١٠) وأجود الخشب لصناعة القوس والسهم، ما اجتمع فيه الصلابة والخفة ورقة البشرة وصفاء الأديم، وكان طويل العرق، غير رخو ولا متنفش. وتحمل السهام أو نبال القسي، في الجعبة، وتسمى (الكنانة) أو (الجفيرة)(١٣٧) .

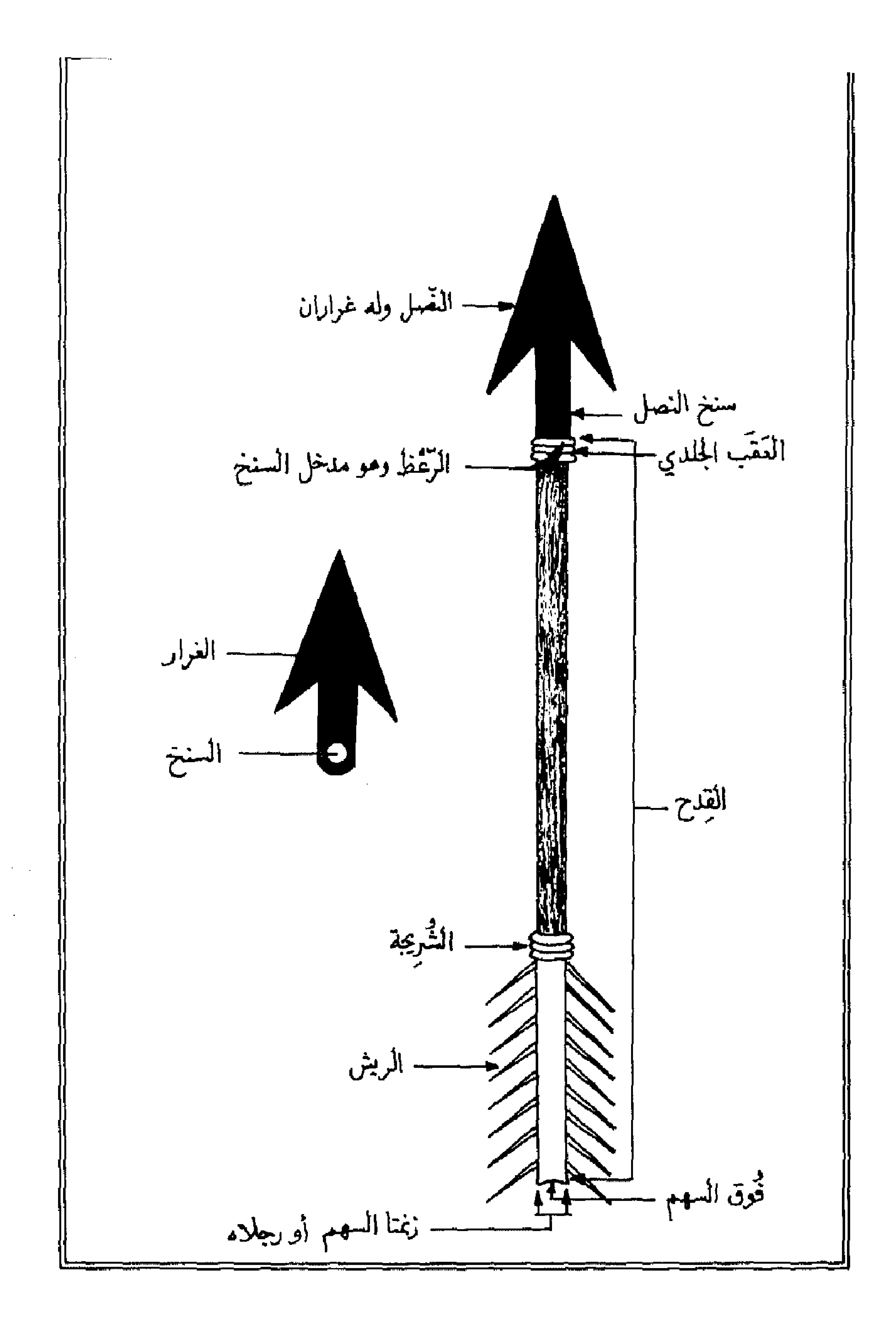
ويبدو أن السّلاح الذي اشتهر به الأنباط، كان القوس والسهم، وهو سلاح فتَّاك، سيما إذا طُلي نصله بالسم(١٣٨). وذكر "هيرودوت" أن العرب كانوا يحملون نبالاً (سهام الرمي) طويلة، ويضعونها على جانبهم الأيمن(١٣٩). واستخدم الأنباط القوس والسهام نحو القرن الرابع ق. م(١٤٠)، وقد شارك جنود من العرب مع السلوقيين في معركتي رفح (Raphia) نحو سنة (٢١٧ ق. م)(١٤١)، ومغنيسيا (Magnesia) نحو سنة (١٨٩ ق. م)(١٤٢)، وكانوا من رماة السّهام(١٤٣). وساعد الأنباط القائد الروماني تيطس (Titus) في حربه ضد اليهود سنة

٦٧م، بألف فارس، وخمسة آلاف من المحاربين المشاه رماة السهام(١٤٤). وقد برع الأنباط في الرمي بالقوس، بدليل أن الإمبراطور الروماني، تراجان، كوّن وحدة عسكرية من جنود الأنباط، بعد ضم المملكة النبطية تحت لوائه، كان معظمهم من الفرسان رماة النبل(١٤٥). ومن الأدلة على اهتمام الأنباط بهذا النوع من السلاح، وورود نقش من مدينة البتراء بهذا الشكل:" ش د رْ مْ ا"، الذي يحتمل أنه يعني "صانع السهام"(١٤٦). وأيضاً فقد عثر على رسم جصي نبطي من سيق



شكل ٩: رسم توضيحي للقوس وأجزائه.

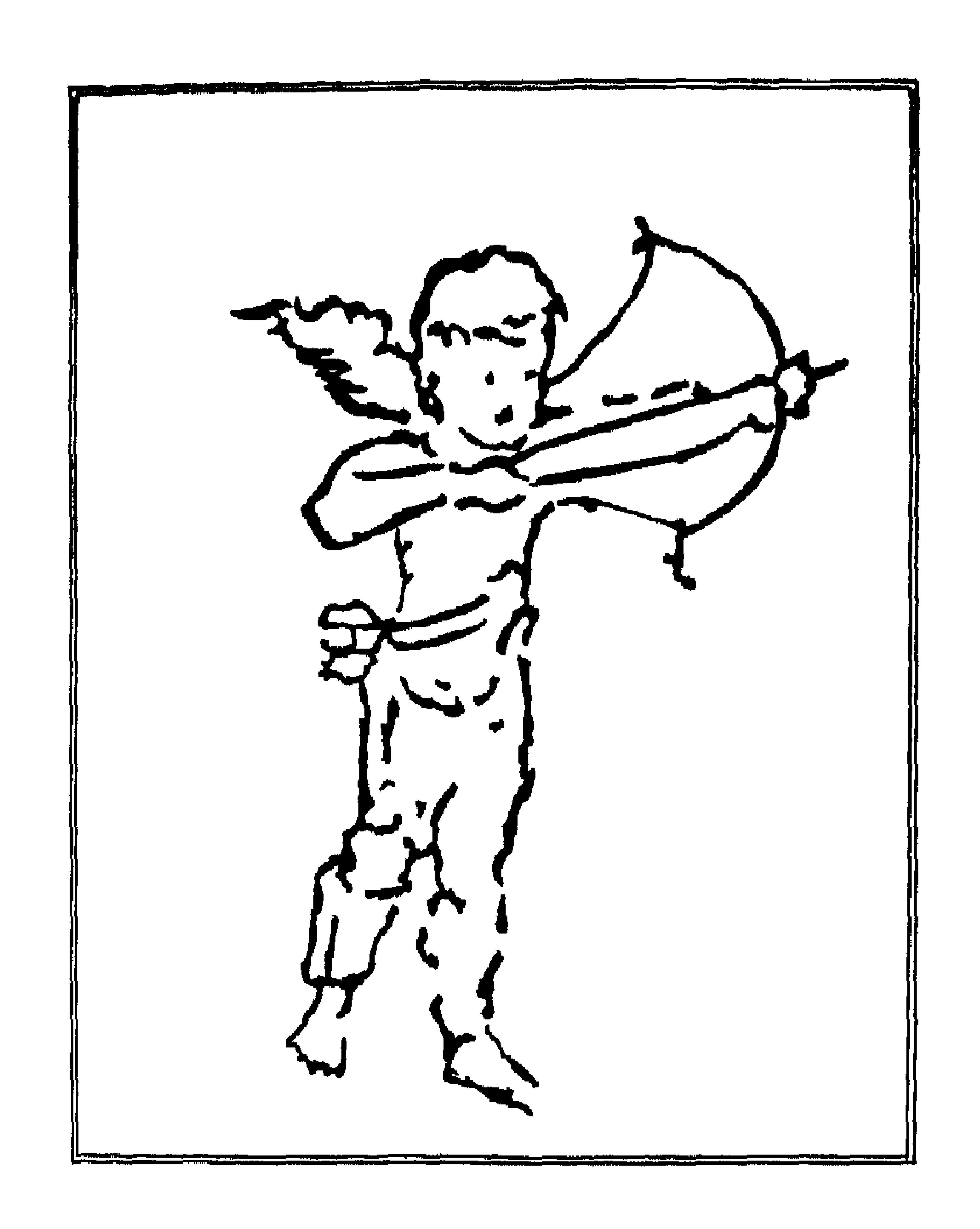
(نقلاً عن: محمود شيت خطاب، العسكرية العربية الاسلامية، ص ١٠٩).



شكل ١٠ : رسم توضيحي لأجزاء السهم.

(نقلاً عن: محمود شيت خطاب، العسكرية العربية الاسلامية، ص١١٠).

البارد شمال البتراء، يتمثل في صورة مجنح يستعمل قوساً محنياً [١٤٧] (انظر شكل ١١). وقد كان القوس والسهم سلاحاً يستعمله المشاة والفرسان. فالقوس هي الآلة التي تمسك باليد ، ويشد وترها شداً قوياً، ليرمي السهم إلى الهدف. وكلّما كان الشد قوياً صارت الرمية بعيدة



شكل ١١:
رسم جصي نبطي من سيق البارد شمال البتراء، ويمثل صورة مجنح يستعمل قوساً منحنياً.
نقلاً عن: (Bowsher., 1988, P26)



شكل ١٢:
رسم يوضح طريقة مسك القوس أثناء الرمي.

ومؤثرة (انظر شكل ١٢) ولا شك أن الرماية كانت، وما تزال، دراسة يتعلمها الرامي، من رماة ماهرين[١٤٨].

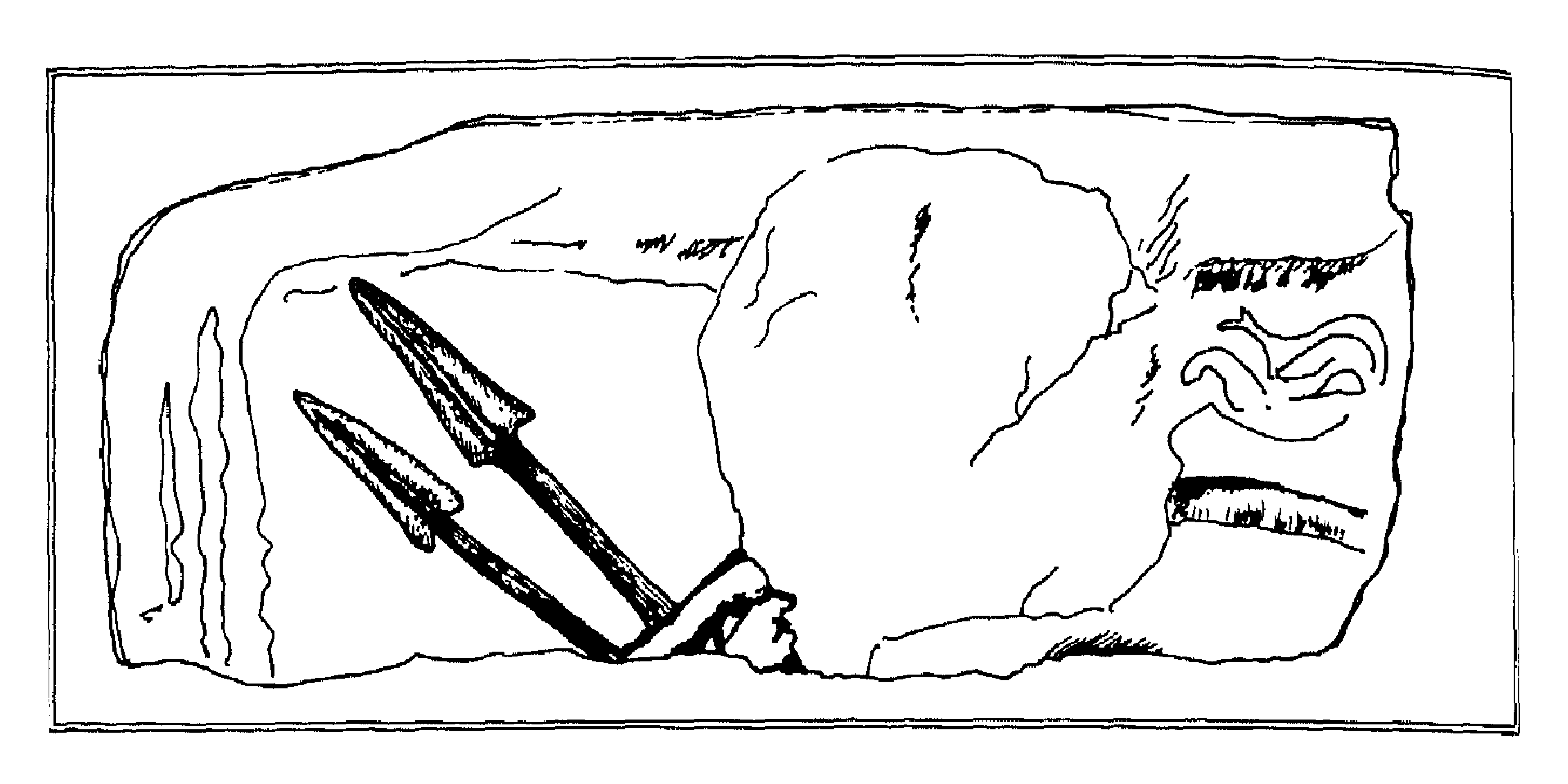
ب) الرمح :

الرمح سلاح عريق في القدم، شاع استعماله عند الشعوب القديمة. وكان أكثر شيوعاً عند الأمم، التي ترتاد الصحراء، ومنهم العرب. وعلى الرغم من ذلك لم يرد في المصادر القديمة أو النقوش الكتابية، ما يدل على براعة الأنباط في استخدام أسلحة أخرى غير الرمي بالقوس. ولكن من المُحتمل أنْ يكون الأنباط قد استخدموا الرمحَ في سلاحِ الفرسان[١٤٩]، مثلما استخدمه الرومان، وقد عُرف لديهم بـ (Pilum) وهو رمح يزيد طوله عن مترين، ويستعمل للطعن عن قرب[١٥٠]. وقد عُثر على رسم نبطي في البتراء، لمحارب يحمل رمحين قصيرين على كتفه الأيمن[١٥١](انظر شكل١٣) .

والرماح نوعان: الطوال وهي خاصة بالفرسان، حيث تساعدهم الخيل على حملها، والقصار التي قد يستعلمها الراجل والفارس أيضاً. ويُعد الرمح من الأسلحة الهجومية وهو عمود طويل في رأسه حربة يطعن بها؛ ويختلف طوله بين ٤ – ٧ أذرع، وكان يصنع من فروع أشجار صلبة ، أشهرها النبع والشوحط، وأحياناً كان يأخذ من القصب الهندي، بعد تسوية عُقده بالسكين، وتركيب نصل من حديد في رأسه. ويتألف الرمح من المتن، وهو جسم الرمح كله؛ والكعوب وهي العقد، التي تكون في الفرع، ثم تسوى حتى تصير ملساء؛ والزج، وهي الحديدة المركبة في أسفله؛ والعالية وهي الجزء العلوي، الذي تحت النصل، ويسمونه صدر الرمح؛ والسنان وهو الجزء الذي يركب فوقه للطعن به؛ والثعلبة وهي الجزء الأسفل من السنان، الذي يدخل فيه أعلى الرمح؛ والظبة وهي نهاية السّنان المدبب[١٥٢]. (انظر شكل ١٤).

جـ) السيف :

وهو آخر الأسلحة استعمالاً في المعركة، بعد القوس والرمح. ذلك أن القتال يكون أول أمره بالسهام عن بعد، ثم تطاعناً بالرّماح عند المبارزة، واقتراب الصفوف، ثم تصافحاً بالسيوف عند الاختلاط[١٥٣]. والسيف سلاح هجومي ودفاعي، وقد عرفه العراقيون القدماء، بعد استخدامهم للخنجر، ويُعدُّ تحسيناً له، حيث إن سيف الملك آشور بانيبال كان يسمى مانلداس (Manaldas)[١٥٤].



شكل ١٣ : رسم نبطي من البتراء لجندي يحمل رمحين قصيرين على كتفه الأيمن.

(نقلاً عن: (Bowsher., 1988, P.23)).

(والثانية: صورة مكبرة لرأسي الرمحين في الشكل أعلاه) .

الظُّبة

السنان

الثعلبة

العالية أو صدر الرمح

الكعوب أو العقد

عامل الرمح أو متنه

الأنبوب

السافلة

الزج الحديدي

شكل ١٤: رسم توضيحي لأجزاء الرمح. (نقلاً عن: محمود شيت خطاب، العسكرية العربية الإسلامية، ص ١١٣).

وكان السيف المستقيم هو النوع السائد في الاستعمال، لدى شعوب الشرق الأدنى القديم في أول الأمر. ومن ثم بدأ يطرأ تقوس خفيف على نصال السيوف، وربما كان أول ظهور ذلك في النصف الثاني للألف الثاني ق.م. إن الفائدة من ابتكار التقوس هو الحصول على قوة أعظم للقطع. وتوجد مجمل أجزاء السيف في (الشكل: ١٥).

وربما استخدم الأنباط السّيوف القصيرة أول أمرهم(١٥٥)، وهي التي عرفها الرومان بـ-Gla) (dius، وهي من الأسلحة الهجومية، ويبلغ طولها نحو ٦٠سم تقريبا(١٥٦). وقد عُثر على رسم في جبل الراكة في الحسمى، ضمن نقوش عسكرية نبطية تمثل جندياً يحمل بيده اليمنى سيفاً، وبيده اليسرى ترساً(١٥٧). (انظر شكل ١٦).

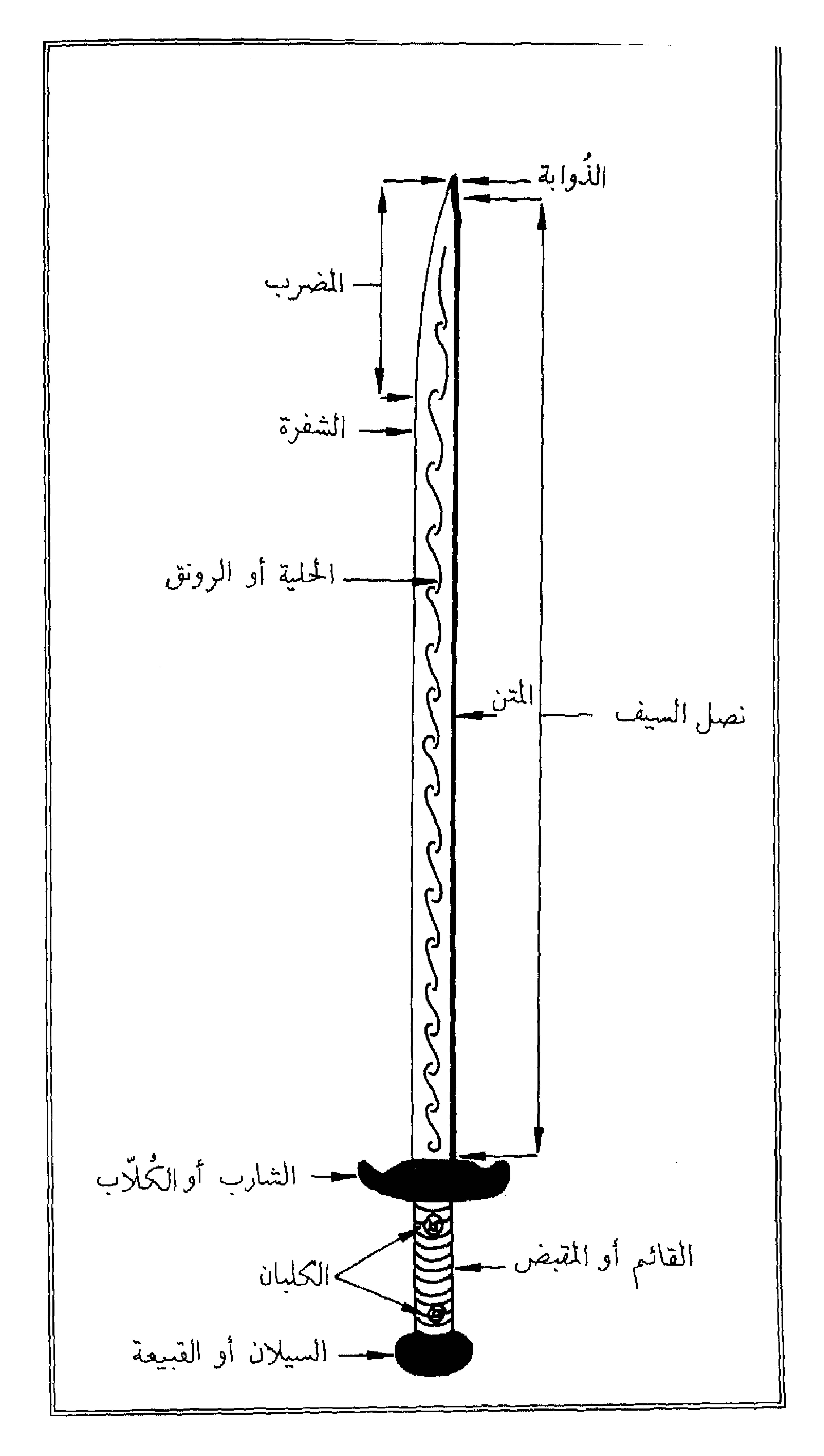
وتكون طريقة حمل السيف، بتعليقه في الأكتاف والعواتق، ولذا يقال: تقلد سيفه، أي جعله كالقلادة، وذلك بحمله على الكتف الأيمن، وتركه متدلياً في جنبه الأيسر. أما إذا كان الفارس يحمل سيفين، فإنه كان يتقلد بأحدهما، ويجعل الآخر في وسطه، وقد علق كل واحد منهما في حمالته محفوظاً في قرابه الجلدي(١٥٨).

د) الدرع :

كانت الملابس، التي اختصت لحماية جسم المقاتل متنوعة، من حيث أنواعها وأشكالها ومادة صنعها. وتقف الدروع في مقدمة هذه الملابس. والدرع رداء يلبس في الحرب، لتغطية الصدر والظهر وبعض الذراعين، ويسمى (الجوشن)؛ ومنها ما يغطي سائر الجسد، وتسمى (سابغات)؛ وجميعها لوقاية مرتديها من ضربات السيوف، وطعنات الرماح، وتأثير السهام، (انظر شكل ١٧). والدروع تصنّف ضمن الملابس، التي يرتديها المحاربون، أو المقاتلون، فهي بذلك تحمل ما يميّزها عن غيرها من الملابس، إذ إنها استعملت سلاحاً وقائياً، أو دفاعياً أثناء الحرب والقتال(١٥٩). وقد عُرفت الدروع قديماً، وكان أول من صنعها داود عليه السلام، كما اخبر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم فقال تعالى [وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ، أَنْ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ](١٦٠). فالسابغات دروع الحديد .. والسرد هو مسمار حلق الدرع، وقيل هو الحلق بعينها. وقال بعض أهل العلم بكلام العرب: يقال درع مسرودة، إذا كانت مسمورة الحلق، واستشهد بقول الشاعر:

وعليهما مسرودتان قضاهما   داود أو صنع السوابغ تبع(١٦١)

وتُتخذ الدروع من مواد مختلفة، منها: زرد الحديد، وتكون على شكل حلقات صغيرة،



شكل ١٥: رسم توضيحي لأجزاء السيف. (نقلاً عن: محمود شيت خطاب، العسكرية العربية الإسلامية، ص ١١٦).



شكل ١٦: صورة عُثر عليها في جبل الراكة في الحسمى ضمن نقوش عسكرية نبطية تمثل جندياً يحمل بيده اليمنى سيفاً وباليد اليسرى ترساً. نقلاً عن: (Graf., 1994, P. 294) .

كثيرة العدد، متداخلة بعضها في بعض، لتكوّن ما يشبه النسيج؛ أو تصنع من صفائح معدنية. وقد تتخذ الدروع من القماش السميك، مثل الكتان، أو الجلد، أو اللباد[١٦٢]. ولا توجد أدلة واضحة على أن الأنباط استخدموا الدروع في حروبهم. ويبدو أن سبب ذلك راجع إلى قلة، بل عدم، ورود معلومات وافية عن الدروع في المصادر التاريخية النبطية، سواء كانت نصوصاً أو نقوشاً أو رسوماً تصويرية[١٦٣]. ولكن يمكن أن يستدل على أن الأنباط استخدموا الدروع في حروبهم، وذلك عندما أكدت المصادر التاريخية أنهم استعملوا القوس والسهام[١٦٤]، والرماح[١٦٥]. لذا، فإن استخدامهم للدروع أمر طبيعي، لصد ضربات السهام وطعنات الرماح، إضافة إلى أن الدروع كانت معروفة منذ القدم، لدى شعوب منطقة الشرق الأدنى القديم . ويرى بعض الباحثين أن الأنباط كانوا يرتدون دروعاً قوية، وكانت صناعتها

لديهم تعد فناً كلاسيكياً قـديما، وقد حاكوا في صناعتها الدروع المقدونية، كمـا أنهم استخدموا دروعاً للفرسان قد تكون مشابهة للدروع الرومانية(١٦٦) .



شكل ١٧: درع من نوع الجوشن

درع من نوع السابغات

الهوامش:

(١) Eve French., "Nabataean Warrior Saddles", **PEQ**.(January-June) 1988, p. 64.

(٢) Ernst A. Knauf, Kiel., " Midianites and Ishmaelites" **Midian, Moab and Edom**,(JSOTS). series,24, Sheffield 1983, pp.160-162.

(٣) Rawlinson, **Cuneiform Inscriptions** (1861-1884) vol.3. pl.8 col.2,1,94؛ موسل ١٤١٨هـ، ص ١١ .

(٤) Rawlinson., vol.V, ,col. 8,11. 65-124 ; Streck, op.cit. pp.70,72 ؛ عباس وأبو طالب ١٩٩١م، ص ٢٠ .

(٥) Livus., XXXVII, 40,12؛ جـواد علي ١٤١٣هـ، ج٢، ص ٢٢؛ مـارتينيـانو رونكاليـا ١٩٧٠م، ص ٦٣٠؛ العابد ١٩٩٣م، ص ص ٢٠٤-٢٠٥ .

(٦) Josephus., Antiq.XIII.XIII.5 .

(٧) **CIS**.II.488 A .

(٨) **CIS**.II.298 ; JS.109 .

(٩) Bowsher 1988, p.22 .

(١٠) Seyrig H., (1941), p.219 ؛ سيد ١٩٩٣م، ص ٤٧٠

(١١) جواد علي ١٩٩٣م، ج٥، ص ٤٤٦ .

(١٢) M.C.A Macdonald ., "Was the Nabataean Kingdom a Bedouin State?" **ZDPV** 107 (1991) 1U. 2 . p.103 .

(١٣) جواد علي ١٩٩٣م، ج٥ ، ص ٤٤٥ .

(١٤) يوسف خلف عبدالله "صنوف الجيش الآشوري"، **موسوعة الجيش والسلاح في العراق** ، بغداد ١٩٨٨م، ج١، ص ٣٦٧ .

(١٥) Diodorus., XIX. 95.5 .

(١٦) Diodorus., XIX. 94.1

(١٧) Diodorus., XIX. 96.4 .

(١٨) Rawlinson, H.C., vol.V, pll.9,col.7,11;82-128 , Cylinder B ; vol.III, pll,33f,col.7,11,93-100 ; col.8,11,1-22؛ عباس وأبوطالب ١٩٩١م، ص ١٨

(١٩) Rawlinson., vol.V, ,col. 8,11. 65-124 ; Streck 1916. pp.70,72 .

(٢٠) Rawlinson., vol.V, ,col. 8,11. 65-124 ; Streck 1916 . pp.70,72 ؛ عباس وأبو طالب، ١٩٩١م، ص ٢٠ .

(٢١) عبدالله ١٩٨٨م، ج١ ، ص ٣٦٧ .

(٢٢) Rawlinson, loc. cit. vol.V, col. 9,11. 27-89 ;British Museum Tablet K 2802; loc.cit., col. 3, 11. 1-23 ; Streck, 1916., pp. 74-78, 198,200 ; عباس وأبوطالب ١٩٩١م، ص ص٢٣-٢٤ .

(٢٣) Josephus., Antiq.XIII.XV.1 ; War.I.101-102 .

(٢٤) Josephus., Antiq. XIV.I.4 ; XIV.II.1 ; War. I.VI.2 (123-128) .

(٢٥) Josephus., Antiq. XIV.VIII.1 ; Dio Cassius., 42.37.3 .

(٢٦) Josephus., War. III.IIII.2. (68) .

(٢٧) Seyrig H.1941, p. 219 ؛ سيد ١٩٩٣م، ص٤٧٠ .

(٢٨) J S.170N .

(٢٩) JS. 246 .

(٣٠) الذييب ١٩٩٥م، نق ٩٤ :٢ .

(٣١) الذييب ١٤١٣هـ، نقوش : ٧ ؛ ٤ ؛ ٥ .

(٣٢) الذييب ١٤١٣هـ، نق : ١٤؛ ٤٢ .

(٣٣) الذييب ١٤١٣هـ، نق : ١٦ .

(٣٤) الذييب ١٤١٣هـ، نق : ١٧ .

(٣٥) الذييب ١٤١٣هـ، نق : ٢٠ .

(٣٦) الذييب ١٤١٣هـ، نق: ٢١ ؛ ٢٢ .

(٣٧) الذييب ١٤١٣هـ، نق : ٥٣ .

(٣٨) Graf., 1994, p. 283 ; Starcky 1971, pp.158 .

(٣٩) Graf.,1994. p.287.

(٤٠) Graf., 1994. p.288.

(٤١) Graf., 1994. p.309 .

(٤٢) خالد جاسم الجنابي، "نظام التجنيد وصنوف الجيش "، **موسوعة الجيش والسلاح في العراق**، بغداد، ١٩٨٨م، ج٣، ص ص ٨٧-٨٨ .

(٤٣) Josephus., Antiq. XIV.I.4 ; XIV.II.1 ; War, I.VI.2 (123-128) .

(٤٤) Josephus., Antiq. XVII.V.9-10 ; War. II.X.1 .(66-71) .

(٤٥) Josephus., War.III.4.2 (68-69) .

(٤٦) Cantineau.1932 II , p.207 ; هزيم ١٩٩٤م، ص ٦٩ .

(٤٧) Graf., 1994, p. 289 ؛ آ. بتري ١٩٧٧م، **مدخل إلى تاريخ الرومان وأدبهم وآثارهم**، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، الموصل-العراق، ص ٧٣ .

(٤٨) Cantineau.,(1930) I.p.1;Hammond,(1973) ,p.107 ; هزيم ١٩٩٤م، ص ص ٥٩-٦٠

(٤٩) Cantineau.,1932, II. pp. 43-44 ; Starcky, J.1955, P.89 ; عباس ١٩٨٧م، ص ٣٨ ؛ الذييب ١٩٩٥م، ص١٧ حاشية ٤ .

(٥٠) الذييب ١٩٩٨م، ص ٣٨٦ .

(٥١) المعيقل والذييب ١٩٩٦م، نقوش: ١٥ ، ٣٥ ، ٦٩ .

(٥٢) هزيم ١٩٩٤م، ص ٦٤ .

(٥٣) نصحي ١٩٧٦م، ج١ ، ص ٣٤ .

(٥٤) هزيم ١٩٩٤م، ص ٦٥ .

(٥٥) Merkel, Ettore., "Erste Festsetzungen im Fruchtbaren Halbmod", Altheim Franz, **Die Araber in der alten Welt / und Ruth Stiehl / mit Beitrigen**. -Bd.1.- Berlin:W.de Gruyter, (1964) p300; هزيم، ١٩٩٤م، ص ٦٥

(٥٦) ; **JS**. 38 N ؛ الذييب ١٩٩٨م، نق : ٢٢٨: ٧ ، ٨

(٥٧) Savignac & Starcky.,1957, pp.201-203

(٥٨) Negev,1977, pp.223-224

(٥٩) هزيم ١٩٩٤م، ص ٦٤ .

(٦٠) ; JS : 38 ; **CIS** 160 ؛ الذييب ١٩٩٨م، نق ٢٢٨

(٦١) Josephus., **Antiq**, XIV.III.3-4 ; Dio Cassius., 42.37.3 .

(٦٢) هزيم ١٩٩٤م، ص ٧٦ .

(٦٣) Graf., 1994, p.276 ; **CIS**. 160 .

(٦٤) **CIS**. 161 .

(٦٥) ; **CIS**. 234 الذييب ١٩٩٨م، نق ٢: ٣،٤ .

(٦٦) **CIS**. 270؛ الذييب ١٩٩٨م، نق ٤ : ١ .

(٦٧) **CIS**. 38 ؛ الذييب ١٩٩٨م، نق ٢٢: ١

(٦٨) **CIS**. 287 ؛ الذييب ١٩٩٨م، نق ٤٤ : ١

(٦٩) **JS**. 6 ; RES1104 ؛ الذييب ١٩٩٨م، نق ١٩٥: ١،٢ .

(٧٠) **CIS**. 214 ; **JS**. 32 الذييب ١٩٩٨م، نق ٢٢٢: ١٢ .

(٧١) **CIS**. 224 ؛ الذييب ١٩٩٨م، نق ٢٢٤: ٧ .

(٧٢) Cantineau, J., Le Nabatéen. , Paris (1932), II.p216;E.Littman., **Nabataean Inscriptions from Southern Hauran**., Publication of Princeton Universty Archaeological Expeditions to Syria in 1904 -1905 &1909., Leiden , (1953), p.71 ; Negev,(1977) p.244 .

(٧٣) Cantineau, J., (1932) p. 88; Graf., (1994) p.283; هزيم ١٩٩٤م، ص ص٦٦-٦٧

(٧٤) Graf., (1994) p. 283.

(٧٥) الفاسي ١٩٩٣ م، ص ١٨٥ .

(٧٦) JS. 20 ; CIS.II. 220,221 ; JS.6 ؛ الذييب ١٩٩٨م، نق ١٩٥ : ٢ ، ٢١٠ :١

(٧٧) CIS. 207 ؛ الذييب ١٩٩٨م، نق ١٩٦ : ١-٢ .

(٧٨) JS. 32 ; CIS. II,214 ؛ الذييب ١٩٩٨م، نق: ٢ :٢٢٢ .

(٧٩) JS. 38 ؛ الذييب ١٩٩٨م، نق : ٢٢٨ : ٢،١

(٨٠) CIS.331; RES.1196 .

(٨١) Graf., (1994) p. 283.

(٨٢) JS.159N .

(٨٣) الذييب ١٤١٣هـ، نق : ٥ .

(٨٤) CIS.188 ; RES.2024 .

(٨٥) CIS.173 .

(٨٦) CIS.II.790 .

(٨٧) Starcky.,1971, pp.151-159 ; Zabern,(1988), p.217 .

(٨٨) مهدي عبدالكريم محسن عبدالعزيز ١٩٩٢م، دراسة تحليلية للنقوش النبطية في منطقة البتراء، (رسالة ماجستير غير منشورة) مقدمة لمعهد الآثار والأنثروبولوجيا، جامعة اليرموك، الاردن، ص ٢٨٦ .

(٨٩) Starcky,1971, pp.151-152 .

(٩٠) Starcky,1971, pp.158 .

(٩١) Graf., 1994, p.284.

(٩٢) Starcky,1971, pp.151-159 .

(٩٣) Bowsher., (1998) , p.21 ؛ هزيم ١٩٩٤م، ص ص ٦٨-٦٩ .

(٩٤) CIS.II.442 عبدالعزيز ١٩٩٢م، ص ص ١٧٧-١٧٨ .

(٩٥) . CIS. II.196

(٩٦) روكس بن زائد العـزيزي، "مـأدبا في التـاريخ"، **مـجلة المدينة العـربيـة**، عـدد ٣٤، السنة السابعة، الكويت، ربيع أول ١٤٠٩ هـ نوفمبر ١٩٨٨م، ص ٢٨ .

(٩٧) Savignac & Starky,1957, p.200 , p 215 ؛ الفـاسي ١٩٩٣ م، ص ص ١٨٨-١٨٩، حاشية (٩١) .

(٩٨) Cantineau.,1932, II , p.207 ؛ هزيم ١٩٩٤م، ص ٦٩

(٩٩) Bowsher. 1998, p.21 ؛ بتري، (١٩٧٧م) ص ٧٣ .

(١٠٠) CIS. II.102 ، الذييب ١٩٩٨م، نق : ٢١٩ : ٢

(١٠١) .Graf.1994, p.289

(١٠٢) CIS. 217 ؛ الذييب ١٩٩٨م، نق : ٢٢١ : ١ .

(١٠٣) . The Periplus., op. cit . pp. 29-30

(١٠٤) Cantineau,1978,II, p.124 ؛ هزيم ١٩٩٤م ، ص ٧١

(١٠٥) CIS. 268؛ الذييب ١٩٩٨م، نق : ٢١

(١٠٦) الذييب ١٩٩٨م، ص ٥٨ .

(١٠٧) الذييب ١٤١٣هـ، نق : ٨ .

(١٠٨) أحمد قدري ١٩٨٥، **المؤسسة العسكرية المصرية في عصر الإمبراطورية (١٥٧٠ ق.م - ١٠٨٧ ق.م)**، ترجـمة: مـختـار السـويفي ومحـمـد العزب مـوسى، هيئة الآثار المصـرية، القاهرة، ص ٤٦ .

(١٠٩) العارف ١٤٠٢ هـ، ص ٧٣ .

(١١٠) جواد علي ١٩٩٣م، ج٥، ص ١٨٥ .

(١١١) .Josephus., Antiq.XIII.XIII.5

(١١٢) .Josephus., Antiq.XIII.XV.1 ; War.I.101-102

(١١٣) .Josephus., Antiq. XIV.I.4 ; XIV.II.1 ; War, I.VI.2 (123-128)

(١١٤) .Josephus., Antiq. XV.V.1; War. I.XIX.1-4 (364-371); Dio Cassius., 49.32.15

(١١٥) .Josephus., Antiq. XVIII.V.1 ; War. I.XVII.7 . (345-346)

(١١٦) Josephus., Antiq. XVIII.V.1; Bowsher., (1988) , p.20.

(١١٧) .Hammond, (1973) , p.107

(١١٨) .Strabo., 16.4.23

(١١٩) الذييب ١٩٩٨م، ص ٦ .

(١٢٠) هزيم ١٩٩٤م، ص ص ٦٤-٦٥ .

(١٢١) .Starcky 1971, pp.158

(١٢٢) Graf. 1994. p.283.

(١٢٣) Bowsher., (1998) , p.21.

(١٢٤) **CIS**. II.102 ؛ الذييب ١٩٩٨م، نق : ٢١٩ : ٢

(١٢٥) **CIS** .217؛ الذييب ١٩٩٨م، نق : ٢٢١ : ١

(١٢٦) جواد علي ١٩٩٣م ، ج٥، ص ٤٢٢ .

(١٢٧) العابد ١٩٩٣، ص ٢٦٨ .

(١٢٨) رشيد سالم الناضوري ١٩٨٤م، "حول أرض مدين من حيث تحديد موقعها ودورها التاريخي المبكر" ضمن كتاب: **دراسات في تاريخ الجزيرة العربية**، الرياض، مج٢، ص ٧٢ .

(١٢٩) Glueck.,1970 , p.82 .

(١٣٠) .Bowersock.,1983 , p.94

(١٣١) محمد رياض ١٩٧٤م، **الإنسان دراسة في النوع والحضارة**، دار النهضة العربية،

بيروت، ص ٣٤٨ .

(١٣٢) ابن منظور ١٩٩٠م، ج١٣، ص ص ٣٥٠-٣٥١ .

(١٣٣) الذييب ١٩٩٥، ص ٨٥ .

(١٣٤) واضح الصمد ١٩٨١م، **الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي**، المؤسسة الجامعية، بيروت، ص١٠٨، ص ١٢٣ .

(١٣٥) ابن سيده (أبى الحسن علي بن إسماعيل)، **المخصص**، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت (د. ت) ، ج٦، ص ص ٣٧-٣٩ .

(١٣٦) عبدالرؤف عون ١٩٦١م، **الفن الحربي في صدر الإسلام**، دار المعارف، مصر، ص ١٣١

(١٣٧) ابن سيده، (د. ت)، ص ٥٣، ص ٦٩ .

(١٣٨) الصمد ١٩٨١م، ص ١٦٩ .

(١٣٩) Herodotus., 7.88.9 .

(١٤٠) Bulliet.,1975, pp.93-94 .

(١٤١) Poly., 5.79.8 .

(١٤٢) Livy ., 37.40.12 .

(١٤٣) Graf.,1994 , pp.295-296 .

(١٤٤) Josephus., J.W. 111.IV.2.

(١٤٥) Graf., (1994) , p.298 .

(١٤٦) Dalmon .1912N71; RES,1422c ؛ عبدالعزيز ١٩٩٢م، نق:١١٣

(١٤٧) Bowsher.1988, p26 .

(١٤٨) جواد علي ١٩٩٣م، ج٥، ص ٤٢٦ .

(١٤٩) Hammond .1973 , p 71 .

(١٥٠) بتري ١٩٧٧م، ص ٧٥ .

(١٥١) Bowsher. 1988 , p 23 .

(١٥٢) عون ١٩٦١م، ص ١٤٣ .

(١٥٣) شهاب الـدين أحمد بن عبـدالوهاب النويري ١٩٤٩م، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب المصرية، القاهرة ، ج٦ ص ٢٣٨ .

(١٥٤) يوسف خلف عبـدالله ١٩٨٨م، "صناعة الاسلحـة الآشورية ومصـادر المواد الاولية"، **موسوعة الجيش والسلاح في العراق**، بغداد، ج٢ ص ٣٤ .

(١٥٥) Negev.1986, p.106 .

(١٥٦) بتري ١٩٧٧م، ص ٧٥ .

(١٥٧) Graf.1994, p.294

(١٥٨) النويري ١٩٤٩م، ج٦ ص ٢٠٩ .

(١٥٩) صـلاح حسين العـبيـدي ١٩٨٨م، "الملابس والأزياء العـسكرية في العصـور العربيـة الإسلامية"، **موسوعة الجيش والسلاح في العراق**، بغداد، ج٣، ص ٢١٧ .

(١٦٠) سورة سبأ، الآية : ١٠-١١ .

(١٦١) مـحمـد بن جرير الطبـري ١٤٠٥هـ، **جامع الـبيان عن تأويـل آي القرآن**، دار الفكر، بيروت، ج٢٢، ص ٦٧ .

(١٦٢) العبيدي ١٩٨٨م، ج٣، ص ٢١٧ .

(١٦٣) Bowsher.1988 , p 25 .

(١٦٤) Josephus., J.W. 111.IV.2.

(١٦٥) Hammond ., (1973) , p 71 .

(١٦٦) Bowsher., (1988) , pp.25-27

الفصل الرابع

النشـاط العسكري للقوات النبطيـة

أولا : النشاط ضد أنتيجونوس وابنه دمتريوس :

في سنة ٣١٢ ق. م، وطبقاً لما رواه ديودورس الصقلي عن هيرونيموس القرديائي، قرر أبرز قادة الاسكندر بعد موته، "أنتيجونوس" الملقب بالأعور، أن التكملة الطبيعية لعمليات الغزو، التي قام بها إلى سورية وفينيقية ستكون أرض العرب، التي عُرفت في تلك الأزمنة بأرض الأنباط(١). وبرر غزوه لأراضيهم بأنهم ألد أعدائه، واختار أحد أصدقائه، ويدعى "أثنايوس" (Athenaeus)، وأمده بأربعة آلاف رجل من المشاة وستمائة فارس، وجهزهم بالأسلحة والعتاد، وأمره بالإسراع في الهجوم على هؤلاء ومباغتتهم، وسلب ماشيتهم وأموالهم. وأخبره أن هؤلاء العرب ـ الأنباط – يجتمعون في احتفال سنوي، أو عيد قومي، يلتقون فيه بكل من يقطنون حولهم(٢)، وهو نوع من السوق الموسمي على غرار الأسواق الموسمية، التي قامت في عصور متأخرة، كسوق عكاظ وغيره(٣). وكان الأنباط يقصدون هذا السوق الموسمي لبيع بضائعهم وشراء حاجاتهم. وكان من عاداتهم قبل الذهاب إلى هذا السوق، أن يتركوا ممتلكاتهم وشيوخهم ونساءهم وأطفالهم، في موضع منيع يدعى "الصخرة"، وإن لم يكن محاطاً بأسوار. ويبعد السوق عنهم نحو مسافة يومين من بلد إقامتهم، وهذا الوضع يلائم موقع البتراء(٤). ويتابع ديودوروس قوله، إن "أثنايوس" انتظر موسم هذا السوق، بناءً على أوامر أنتيجونوس، فعندما حان الوقت أمر " أثنايوس" جيشه بالزحف والهجوم على صخرة الأنباط. وقد قطع المسافة بجيشه، وتبلغ حوالي (٢٢٠٠ ستاديا = ٣٥٠ كم تقريبا) متسللاً، كي لا يجلب انتباه العرب إليه، وكان طريقه من الجانب الغربي للأردن. وهجم على الصخرة في منتصف الليل، وقبض على من وجد فيها، فقتل بعضهم في الحال، وأخذ بعضهم أسرى. أما البقية الذين أثخنتهم جراحاتهم فتركهم، بعد أن نهب كل ما وجده في متناول يده. واستولى على كميات كبيرة من المر والبخور وحوالي خمسمائة وزنة من الفضة، وعاد مسرعا قبل الفجر، لأنه كان يتوقع قدوم الأنباط في أي لحظة، وسار نحو (٢٠٠ ستاديا = ٣٠ كم تقريبا) غربا. لكن قوات "أثنايوس" سرعان ما أصابها التعب، وفي الحال أقاموا معسكراً في مكان ظنوا أنهم أصبحوا فيه آمنين، من خطر هجوم الأنباط عليهم(٥). وعندما علم الأنباط بالهجوم على صخرتهم، جاءوا مسرعين وتجمعوا في الحال، وسرعان ما غادروا المكان بعدما حصلوا على معلومات معينة من بعض الجرحى، واقتفوا أثر المغيرين حتى لحقوا بهم وباغتوهم نياماً في معسكرهم. وفي أقل من ثلاث ساعات استطاعوا الإجهاز على كل مشاة المغيرين، ولم ينجُ إلا

نحو خمسين فارساً، لاذوا بالفرار وهم مثخنون بالجراح[٦].

وعلى الرغم من هذا الانتقام الناجح، الذي قام به الأنباط عادوا إلى صخرتهم بجميع ممتلكاتهم، التي سلبها منهم الأعداء، ولا يعرف بالتحديد السبب الذي دفعهم إلى أن يكتبو إلى "أنتيجونوس" بالحروف الآرامية، رسالة يتهمون فيها "أثنايوس" بالظلم، والإعتداء على صخرتهم دون وجه حق، ويبرئون فيها أنفسهم ويعترفون بأنهم قاموا فقط بالأخذ بثأرهم، دون أن يعتدوا على أحد. وجاء رد "أنتيجونوس" موضحاً بأنه لا يلوم الأنباط، بل يُحمّل "أثنايوس" كامل المسؤلية عن هذه الحملة[٧]. و تشير كتابة الأنباط لتلك الرسالة إلى مجموعة أمور، أهمها: أن الأنباط كانوا يعرفون القراءة والكتابة، وأنهم يعتبرون أنفسهم كياناً سياسياً يستطيع مخاطبة الكيانات السياسية، ذات العلاقة. كما يؤكد رد "انتيجونوس" عليهم، على سعيه إلى إقامة كيان سياسي لهم، ولولا ذلك لما تجشم "أنتيجونوس" عناء الرد عليهم.

ومع أن الأنباط أطمأنوا إلى "أنتيجونوس"، إلا أنهم اتخذوا جانب الحيطة منه، لعلمهم ببعض أعماله، التي تجعلهم لا يثقون به. ويبدو أنهم أرسلوا عيوناً إلى قيادة "أنتيجونوس"، فجاءتهم الأخبار خلافاً لما صوره لهم في رده عليهم، ما جعلهم يأخذون الحذر والحيطة. فوضعوا كثيراً من الربايا، والحراس على المراقب والتلال والجبال، ليسهل عليهم رؤية عدوهم من مسافات بعيدة[٨]. وقد أفاد الأنباط من تلك القلاع، التي تقع على الحد الشرقي والجنوبي لبلاد أدوم، وهي ممتدة بين الصحراء والاراضي الخصبة، وقد ورثوها من الأدوميين[٩].

وعندما أطمأن " أنتيجونوس" إلى أن تعامله مع "البربر"[١٠]، ويقصد بهم الأنباط، قد وصل حد الصداقة، وظن أن حيلته جازت عليهم، أقدم على اختيار أربعة آلاف جندي مشاة، وعمل على تسليحهم بشكل خفيف وجيد يتلائم مع الظروف الطبيعية لبلاد الأنباط، لكي تزحف القوة بشكل سريع، ودون أن يشعر بهم أحد، إضافة إلى أكثر من أربعة آلاف فارس، وأمرهم بإعداد وجبات طعام لا تحتاج إلى طبخ، على أن تُجهّز قبل رحيلهم ببضعة أيام. واختار ابنه "دمتريوس" قائدا لهذه الحملة. وكان "دمتريوس" قائداً محنكاً، ساعد أباه في حروبه ومعاركه ضد خصومه. وأمر هذه القوات بالخروج، وتوجيه ضربة قاصمة للأنباط، كيفما كانت الطريقة، ومهما بلغت الخسائر[١١]. ويبدو أن استعداد "أنتيجونوس" قد تضاعف عن الحملة الأولى، لأنه أدرك أن الأنباط قوة لا يُستهان بها، ولا بد من الاستعداد لخوض معركة لا هزيمة فيها، سيما وأنه ضاعف عدد الفرسان، واجتهد في اختيار قائد الحملة.

سار دمتريوس بالجيش، الذي يربو على ثمانيـة آلاف جندي أغلبهم من الفـرسان. وسلك طرقا وعرة وغير سالكة، وحرص على ألا يعلم الأنباط بوجهته وطريقته؛ لكن العيون، التي بثها الأنباط داخل الاراضي النبطية، أسرعت بنقل الخبر إلى زعـمائها، عن طريق إشعال النيران فوق رؤوس الجبال ، وهي إشارة سبق الإتفاق عليها بينهم[١٢]. وعندما رأى الأنباط النيران أُشعلت، علموا بقـرب الجيش المعادي، فـأسرعوا بأرسال أمـلاكهم إلى الصخـرة المنيعة. وأرسلوا معـها حامـية عسـكرية قوية تكفي لحـماية الصخـرة. ثم قسمـوا ماشيتهم وسـاقوها إلى الصـحراء، وجعلوا كل قسم في جـهة. وعندما وصل دمتريوس إلى الصخرة، واكتشف أن فرقـة الحراسة قليلة ومعزولة، ركّز هجـماته على معقلهم. وكانت مقاومـة الأنباط للعدو قوية، ولم تكن تشق عليهم، وهـذه هي الخطة، التي اتخذوها لكي يوهمـوا العدو بالقـوة، وأنهم لن يستطيـعوا النيل منهم[١٣]. وفي اليوم التالي تقدم أحد رجال الأنباط، ودعـا دمتريوس وخاطبه قائلاً: "أيها الملك دمتريوس ماذا تريدون منا وما حاجتكم في السيطرة عـلينا، أتطمعون فيمن يعيش في الصحراء، وفي أرض لا مـاء فيـهـا ولا زرع ولا نبيـذ، ولا شيء أخـر، مـهـمـا كـان ذلك متـعلق بجـملة ضرورات الحـياة بينـكم؟ وإنه من المستـحيل أن نكون عـبيـداً لكم، ولدينا المأوى في الصـحراء القفراء، التي ينقصها كل شيء متوفر لدى الناس الآخرين، وسنختار حياة الصحراء ونكون من جملـة الوحوش البريـة التي تعيش في الصـحراء؛ ولذلك لن تجـدوا لأذانا سبـيلاً البتـة، ونحن نطلب منك ومن والدك، بأن تسحبوا جيشكم ولا تؤذونا ولا تحاربونا، ونعطيكم الهدايا الثمينة في مقابل ذلك، وتعتـبرون الأنباط، منذ الآن، أصدقاءً لكم؛ وإذا أبيت إلا البقـاء، فبعد قليل من الأيام سينـقص عليكم الماء والتجـهيزات الضـرورية الأخرى، ولن تستطيع بعد ذلك الـسيطرة علينا، ولن تستطيع أن تجبـرنا على أن نعيش حياة مختلفة عن حـياتنا، لكنك سوف تحصل على بعض الأسرى، وسيكونون عـبيدا مثبطين وخاذلين لك، ولن يوافقوا على طريقة الحـياة الغريبة معكم"[١٤]. وعندما سمع دمتـريوس هذه الكلمات المعبرة انسحب بجيـشه وطلب من الأنباط أن يرسلوا سفـارة للتفاوض. وأرسل الأنبـاط في الحال عدداً من رجـالهم الأكبر سناً، والأكـثر تجربة وحنكـة، في مجال المناقـشة والجدل والـتفاوض، في مـثل هذه الأمور. واستـطاعوا إقناع دمتريوس بأن يستلم منهم أغلى ما لديهم من الهـدايا، وأن يكتب لهم عقداً بالعهد والأمان[١٥]. وفي النهـاية اصطحب دمتريوس الـرهائن والهدايا، التي أتفق عليـها مع الأنبـاط وغادر بلادهم برفقة جيشه[١٦].

هذه هي الرواية التاريخية، التي وردت في المصادر الأدبية، عن الحملتين اللتين أرسلهما "أنتيجونوس"، محاولاً بهما السيطرة على بلاد الأنباط. وهي تمثل دخول الأنباط في التاريخ المكتوب والمسجّل[١٧]. وقد تمكّن المؤرخون من خلالهما التعرف على المدى، الذي وصل إليه الأنباط في المجالين العسكري والسياسي، في وقت مبكر من تاريخهم .

أما أسباب هاتين الحملتين فيبدوا غامضا بعض الشيء، وإن كان بالإمكان محاولة كشف الغموض، عن طريق تحليل مجريات الأحداث في المنطقة، في ذلك الوقت. ففي أواخر سنة ٣١٣-٣١٢ ق. م، كان "أنتيجونوس" يتابع طريقه عبر سورية وآسية الصغرى، متجها صوب أوربة لإخضاع مقدونية، بعد أن أرسل ابنه دمتريوس، على رأس قسم كبير من الجيش في مهمة عاجلة، للقضاء على بقية الحاميات البطلمية، التي طردت من سورية، في فاتحة الحرب سنة ٣١٥ق. م، ونجح دمتريوس في هذه المهمة ودانت له معظم مقاطعات فينيقية وجنوب سورية مما أغراه بمتابعة الزحف في اتجاه مصر. وفي هذه الأثناء قرر كل من سلوقس وبطلميوس في مصر، أن يتخذا طريقة للهجوم على دمتريوس، وهي خير طريقة للدفاع. بالفعل توجه جيش ضخم، على رأسه كل من سلوقس وبطلميوس ووصلا بالقرب من غزة. ووقعت معركة بين الطرفين، هُزم فيها دمتريوس بن أنتيجونوس شر هزيمة، فكانت أقسى صدمة وجهت إلى أنتيجونوس، منذ بداية الحرب العظمى بين الحلفاء، أُضيفت إلى هزيمة قائده "نيكاتور"، والي ميدية والولايات الشرقية، على أيدي قوات من قبل سلوقس، بعد ذلك بفترة وجيزة[١٨].

ورداً على هاتين الهزيمتين، قرر أنتيجونوس المسارعة إلى مهاجمة أقرب أعدائه جغرافيا، وهو بطلميوس في مصر. وأعاد غزو فلسطين، وأرسل حملتين ضد البتراء في محاولة لحرمان مصر جني أرباح طريق القوافل، الممتد بين البتراء وغزة. كما أرسل حملة نحو البحر الميت، لحرمان مصر قطرانه الضروري لصناعة السفن والتحنيط[١٩]. لذا، يمكن القول إن من أسباب غزو أنتيجونوس للأنباط، محاولة قطع الطريق البري التجاري أمام خصمه العنيد بطلميوس، صاحب مصر. ويمكن أن يضاف إلى ذلك دافع آخر، مفاده تلك الدلائل السياسية، التي أشارت إلى أن استقراراً سياسياً متوقعاً في المنطقة، ربما يؤدي إلى عودة الحياة مرة أخرى إلى الطرق التجارية، في هذه المنطقة (ومنها موقع البتراء)، مما سيؤدي إلى ازدهار اقتصادي[٢٠]. وربما قصد أنتيجونوس من حملتيه السابقتين، إرهاب الأنباط وصرفهم عن محالفة البطالمة أعداءه، في مصر. فأغار عليهم ونهب أموالهم[٢١]. إضافة إلى رغبته في الحصول على كنوز الأنباط،

التي جنوها إن لم تكن التجارة نفسه، وكذلك محاولة توسيع أملاكه، التي تضم سورية وفينيقية(٢٢).

ويبدو أن أنتيجونوس كان في حاجة ماسة إلى الأموال، ليتسنى له تعويض خسائره في تلك الهزائم، التي مني بها؛ وأيضاً للصرف على قواته. فعندما علم بالأموال التي لدى الأنباط تحرى عنهم ورصد الوقت الذي تكون البتراء فيه خالية من رجالها، فيقوم بمهاجمتها وسلب ما فيها من أموال بكل يسر وسهولة. وهذا ما حدث في محاولته الأولى، حينما وصّى قائده بأن يهجم على البتراء وفي الوقت الذي يذهب رجال البتراء إلى موسم سوقهم السنوي؛ وأن ينهب الأموال ويلوذ بالفرار قبل مجيئهم. ونفذ أثنايوس الأوامر والتعليمات، فهجم بالليل، ونهب الأموال وهرب قبل الفجر(٢٣). فلو أن هدف أنتيجونوس كان البتراء نفسها، أو السيطرة على طرقها التجارية، لكان في إمكانه ذلك، بكل سهولة، وأقل شيء وضع حامية عسكرية دائمة. لكن الأمر كان غير ذلك، فقد كان الهدف الأساسي الحصول على كنوز الأنباط، التي تمكّن منها قائده وقفل عائدا. بينما تدل مجريات الاستعدادات، التي قام بها أنتيجونوس في الحملة الثانية، على أن الهدف كان الأخذ بالثأر من الأنباط، الذين قضوا على معظم رجال حملته الأولى(٢٤)، إضافة إلى الرغبة في السيطرة السياسية على بلاد الأنباط، بدليل أنه وصى ابنه دمتريوس، بتوجيه ضربة قاضية للأنباط، مهما كانت الطريقة (٢٥). وبهذا فهو يسعى، بكل وضوح، إلى الحرب، اعتقادا منه أن هذا هو السبيل الأمثل من أجل إثبات القوة، التي تبدو أنها من المقومات الضرورية لمصلحة قضيته. ويتضح من موقف الأنباط ضد الحملتين، أنهم كانوا أعراباً دهاة، إذ كانت خطتهم محاولة امتصاص حماس دمتريوس، وذلك عن طريق تسوية المنازعات والحرب، بمباحثات سلمية بدلا من القتال(٢٦). ولذا، يمكن القول أن لدى الأنباط قادة حرب محنكين، وذووا عقول واعية، ولا شك أن أفضل القادة من يستطيع استبدال السِّلم بالحرب.

بعدما انسحب دمتريوس وجيشه من البتراء، توجه نحو البحر الميت، الشهير بقطرانه (القار). وكان هذا القار من أهم صادرات الأنباط التجارية. فرأى أنتيجونوس في قار البحر الميت، وسيلة ناجعة كغيرها للإثراء. وقد تعوّض عليه ما فاته، بعد حملتيه الفاشلتين على البتراء. لكن الأحداث جرت، مرة أخرى، على غير ما كان يتوقعه. ويذكر هيرونيموس القرديائي، الذي كان على رأس حملة الإسكندر المقدوني على بلاد الشرق، وكان مكلف بالكتابة والتدوين بنقل أخبار الناس والبلدان. ولكنه لا يذكر إلا ما يخص القضايا العسكرية

بشكل مباشر. فقد ذكر أن أنتيوجونوس لـم يوفق في قهر ستة آلاف من العرب، تجـمعوا ضده عند البحر الميت، وتغلبوا عليه وسفكوا دم معظم رجاله[٢٧].

ثانيا : النشاط ضد البطالمة:

الخـاص ببـلاد النوبة، الذي كـان جزءاً مـن الإمبـراطورية المصـرية، منذ الدولـة الفرعـونيـة الوسطى. ولتـحقـيق ذلك، بنى بطلمـيوس الأول عـدداً من السفـن الحربيـة الحديثـة في البحـر الأحمر، وإن لـم تحدثنا المصادر عن نشاط يذكـر لهذا الأسطول[٢٨]. وبعدما آل الحكم إلى ابنه بطلميوس الثاني "فيلادلفوس" سنة ٢٨٤ق. م[٢٩]، كان هذا العاهل يفكر بالسياسة، من خلال منظور اقتصـادي. فسعى إلى توطيد نفوذ مصـر السياسية والعسكرية، في ثلاث منـاطق أساسية هي: جوف سـورية على الحدود الشـرقية، وبرقـة على الحدود الغربيـة، وحوض بحـر إيجة في الشمال[٣٠]. وكانت الحـاجة الاقتـصادية ملحة، من أجل اسـتعادة الـنفوذ المصري على البـحر الأحمـر، لكي تستعـيد مـصر رخاءها الاقـتصادي الذي يتـيح لها بناء جـيش وأسطول بحري، قادرين على حـماية الدولة، وفرض سيـادتها[٣١]. وكان نصـيب الأنباط أن يتعـرّضوا لمثل هذه السياسة، ويدفعوا ثمن تنفيذها، مثلما تعرّض السبأيون، حلفاء الأنباط، جنوبي الجزيرة[٣٢].

وكانت أهمـية الأنباط تتعـاظم في تلك الفترة، ويزداد نفـوذ عاصمتـهم البتراء، كمـركز تجاري تلتقي عنده قوافل التجارة البرية، القـادمة من بابل والخليج العربي واليمن ومصر والبلاد السورية[٣٣]. لذا، ركّز البطالمة في عهـد بطلميوس الثاني جهـودهم، في تطوير الطريق البديل، القادم من بلاد العـرب الجنوبية إلى الإسكندرية عن طريق البـحر[٣٤]. وشرعوا يتـاجرون بحرا دون وساطة الـيمنيين، الذين كـانوا يسيطرون على الطريق البـري، الذي يصل بين جنوب شـبه الجزيرة العربية وشمـالها. وبهذا استطاعوا تحويل النشاط التجـاري، بين البحر المتوسط والمحيط الهادي تدريجياً، من الطريـق البري إلى الطريق البحري[٣٥]. وأثمرت سياسة البطالمة هذه، عن السيـطرة على التجـارة البحـرية واحتكارها، وإلى إلحـاق أضرار كـبيرة بـالأنباط، وغيـرهـم من العرب[٣٦]، الذين اعتمدوا على التجارة البرية وطرقها[٣٧]. وردا على هذا العدوان الاقتصادي، لجأ الأنـباط إلى التـصدي للسـفن التجـارية البطلميـة، محـاولين منع دخولـها مـجال التـجارة البحـرية، ومن ثم إعادة الطرق التـجارية البرية إلـى وضعهـا السابق[٣٨]. وهو أمر أدى إلى أن ينعت كل من ديودورس واسترابون تلك الأعمال، التي قام بها الأنباط، بالقرصنة البحرية [٣٩].

ويمكن إيجاد العذر للأسلوب، الذي انتهجه الأنباط، بأنهم لم يكن لديهم الحل الأمثل، والمتمثل في صرف اتجاههم إلى تعلم أسلوب التجارة البحرية، والاستفادة منها، ومن ثم جعلها رافداً اقتصادياً آخر، بعد رافد التجارة البرية[٤٠]، سيما أنهم استطاعوا أن يصنعوا السفن، وأن ينزلوها إلى البحر، للتصدي ومطاردة السفن البطلمية التجارية، على حسب ما أورده ديودورس واسترابون .

وفي مقابل ذلك، عمد البطالمة إلى العمل العسكري الصارم ضد الأنباط، الذين أزعجتهم حركة إحياء النفوذ المصري في البحر الأحمر، إضافة إلى ظهور السفن المصرية الحربية، لحراسة سفن النقل والتجارة. فأقام البطالمة شرطة بحرية، وأنشأوا قاعدة عسكرية بحرية في مدينة "برينيكة" (Bèrènikè) ووضعوا فيها نحو ثمانية وتسعين جندي حراسة[٤١].

وقد رد الأنباط بأن حاولوا نقل البضائع عن طريق البحر، كما يفعل البطالمة، فبنوا لهم سفناً، وأخذوا يبلغون موانئ اليمن نفسها، لنقل المتاجر منها، إلى مينائي لويكي كومي وأيلة[٤٢]. ولكنهم لم يستطيعوا مجاراة البطالمة، الذين امتلكوا امبراطورية، مما أضطرهم إلى تحويل تلك السفن الصغيرة إلى سفن حربية، هدفها اعتراض سفن البطالمة. فأزعجوهم بهذا العمل، مما دفع البطالمة إلى الدخول مع الأنباط في معركة حاسمة. فجمع فيلادلفوس قواته العسكرية البحرية وسفنه الحديثة، ونصب كمينا للسفن الحربية النبطية، ودمّرها عن آخرها نحو سنة ٢٧٨-٢٧٧ ق. م[٤٣]. وعقب هذه المعركة حاول فيلادلفوس احتلال البتراء، عاصمة الأنباط، لكنه اكتفى باحتلال الساحل الشرقي للبحر الميت، فحرم الأنباط من أهم مصدر تجاري لهم، وهو القطران (القار)[٤٤]. وهذه الأعمال العسكرية، التي قام بها البطالمة جعلت الأنباط ينكمشون اقتصاديا وعسكريا. ولم ينس الانباط تلك الهزيمة، التي تلقوها من بطلميوس فيلادلفوس؛ ولهذا ظلوا يتحينون الفرصة لإسقاط حكم البطالمة في مصر، فتعاونوا مع أعدائهم السلوقيين لتحقيق هدفهم[٤٥].

ثالثا : النشاط مع وضد السلوقيين :

وجد السلوقيون وحلفاؤهم الأنباط في الشمال، والسبئيون في الجنوب، الفرصة مواتية لتوجيه ضربة للنفوذ البطلمي في البحر الأحمر، مستغلين ضعف الدولة البطلمية، وذلك حينما

اعتلى عرشها بطلميوس الرابع (Philopator) (٢٢١-٢٠٥ ق . م)، الذي وصفته المصادر القديمة بالخمول وضعف الأخلاق، إلى درجة الانحلال[٤٦]. ففي يونيو (حزيران) من سنة ٢١٧ ق.م، تعاون الحلفاء الثلاثة في إعداد حملة عسكرية ضد البطالمة، بقيادة أنطيوخوس الثالث (٢٢٣-١٨٧ ق.م)، الذي رأس جيشاً تعداده اثنان وستون ألفاً من المشاة، وستة آلاف من الفرسان، وعشرة آلاف من الأعراب، الذين ربما شكل الأنباط معظمهم[٤٧]، واثنان ومائة من الفيلة الهندية[٤٨]. في حين كان الجيش البطلمي يتألف من خمسين ألفاً من المشاة، وخمسة آلاف من الفرسان، وثلاثة وسبعين فيلاً أفريقياً. وعندما التقى الجيشان بالقرب من مدينة رفح (Raphia)حقق بطلميوس الرابع نصراً لم يكن متوقعاً بسبب مشاركة عناصر مصرية كبيرة في جيشه[٤٩].

وعلى الرغم من تلك الهزيمة، التي مُنِّيَ بها السلوقيون وحلفاؤهم، فلا يمكن تهميش دور القوة العسكرية النبطية، التي شاركت في معركة رفح، إلى جانب القوات السلوقية، إذ يبدو أن الصورة الحقيقية للقوات العسكرية النبطية، لم تكن قد اتضحت بعد، ولم تأخذ الشكل الاستقلالي، الذي هدفت إليه المشاركة، في هذه الحروب المصيرية، وهو إقامة دولة نبطية ذات كيان سياسي مستقل. لكن الأنباط كانوا على يقين بأنهم لن يستطيعوا تحقيق هذا الهدف، في ظل الظروف القائمة في المنطقة؛ إذ كان للسلوقيين والبطالمة الهيمنة السياسية والعسكرية والتجارية. وفي إطار هذه القناعة، سعى الأنباط بكل ما لديهم من قوة عسكرية وسياسية، في محاولات لإسقاط الدولة البطلمية، ويتضح ذلك في مشاركتهم السلوقيين في حروبهم ضد البطالمة، حتى بعد هزيمتهم في معركة رفح، على الرغم من عدم وجود ما يشير صراحة إلى اشتراك الأنباط، في معارك السلوقيين التالية ضد البطالمة إلا أنه لا يستبعد مشاركتهم السلوقيين في معركة بانيون (Paneion) قرب الأردن (٢٠٠ - ١٩٨ق.م)، التي كانت من أهم نتائجها انسحاب البطالمة من جوف سوريا، إلى غير رجعة[٥٠]. ومن الواضح أن الأنباط كانوا أبرز المستفيدين من تلك الأحداث، سيما بعد أن فقد البطالمة سيطرتهم على الطرق التجارية البرية، القادمة من جنوب اليمن، وعودتها إلى ما كانت عليه من قبل، وكذلك تدهور سياسة البطالمة الداخلية، وأيضا ضغط السلوقيين على البطالمة من الخارج[٥١]. ولا شك أن هذه العوامل مجتمعة، خدمت مصالح الأنباط في المنطقة، الذين أحسنوا الربط بين تحركاتهم السياسية والعسكرية، وبين مصالحهم الاقتصادية، المتعلقة غالباً بمسالك الطرق التجارية البرية ومنافذها، وهو الأمر نفسه، الذي فرض عليهم رسم علاقة مميزة بينهم وبين حلفائهم، من ملوك الدولة

السلوقية في سورية .

وكان السلوقيون قد اهتموا في فترة تأسيس إمبراطوريتهم، بتجارة شرق الجزيرة العربية. إلا أن تأسيس المملكة البارثية في بلاد ما بين النهرين وإيران، أضعف سيطرتهم على طرق التجارة، في شرق شبه الجزيرة العربية، ما اضطرهم إلى الاهتمام الأكبر بتجارة المسالك الغربية لشبه الجزيرة العربية، التي أوكلوا أمرها في هذه المناطق إلى حلفائهم الأنباط، الذين تولوا مقاومة النفوذ البطلمي طوال فترة انشغال السلوقيين بالخليج العربي. وهو أمر أدى إلى تناقص في مصالح الطرفين، السلوقي والنبطي، ومن ثم خلاف بينهما. وبدأ الأنباط، عندئذ، يبحثون عن قوة يستنجدون بها، ضد مناوئيهم في المنطقة(٥٢). وتشير الأحداث إلى أن الوضع السياسي في الدولة السلوقية، كان يساعد على تحقيق هدف الأنباط. فقد واجه السلوقيون مشاكل داخلية، في عدد من محاولات أدعياء العرش السيطرة على مقاليد الأمور، مما ساعد على قيام الأنباط بتحرك عسكري ضد أصدقاء الأمس(٥٣). ولعل من أبرز الأحداث، التي وقعت بين الأنباط والسلوقيين، تلك المعارك، التي أدت إلى هزيمة القوات السلوقية، ومقتل الملك السلوقي أنطيوخوس الثاني عشر (Antiochus Dionysius) (٨٨-٨٤ ق . م)، في مكان بالقرب من قرية (قنا) (Cana) الواقعة في الخليل(٥٤). فقد سارت القوات النبطية، بقيادة الملك الحارث الثالث، مستهلاً بداية حكمه باستغلال هذه الفرصة، واحتل سورية المجوفة وعاصمتها دمشق(٥٥). ويبدو أن تبعية دمشق للحكم النبطي لم تكن عسكرية، كما يتبادر إلى الذهن، ذلك أن المدينة عاشت فترة من القلق السياسي، والحاجة إلى قوات تدافع عنها وتحميها. فقد كان الأيطوريون، بزعامة مليكهم (بطلميوس بن منلاوس) (٨٥-٤٠ ق.م)، يسعون إلى توسيع ممتلكاتهم على حساب الدولة السلوقية المتدهورة، وتمكنوا من ضم بعض مناطق شرق لبنان وأحكموا قبضتهم على الطرق التجارية، الخارجة من دمشق والقادمة إليها. ولم يكد نبأ مقتل أنطيوخوس الثاني عشر، ملك السلوقيين، يصل إلى مسامع بطلميوس الأيطوري، حتى زاد من ضغطه العسكري على دمشق، مما أدى إلى ضيق أهلها ذرعاً، واستنجادهم بالملك النبطي الحارث الثالث، الذي لم يكن أمامه وقت يضيعه في التفكير في الرد، بل أسرع إلى نجدة الدمشقيين. وحرك قواته ودخل دمشق دون أي عناء يذكر(٥٦)، وعين فيها حاكما مقيما نيابة عنه، وأمر بضرب السكة النبطية فيها، تخليداً لهذا الحدث الكبير. وقد استمرصدور هذه العملة حتى سنة ٧٠ ق. م، حينما انتزعت المدينة من أيدي حكامها الجدد(٥٧).

رابعا : النشاط ضد اليهود :

لا تُعلم تفاصيل العلاقة بين الأنباط واليهود، وإن سبقت الإشارة إليها في الفصل الأول بصورة مقتضبة. ولعل أول من تذكره المصادر الأدبية، في باب العلاقات العسكرية، هو (الحارث الأول) نحو سنة (١٩٦ق. م)، الذي اتسم موقفه بالحياد، وعدم التدخل في شؤون الدولة اليهودية الداخلية[٥٨]. وفي نحو سنة (٩٢ ق. م)، أزم الملك المكابي اسكندر يانيوس (Alexander Jannaeus) العلاقة السلمية بين الجارين، بعد تكوين جيش من مرتزقة اليونان، وآسية الصغرى، والمؤابيين، وأهل جلعاد. وقادهم في حرب هجومية على دولة الأنباط، في عهد الملك عبادة الأول، الذي تصدى لإسكندر في معركة، دارت بين الطرفين عند موضع بالقرب من جدارا (Gadara) (أم قيس حاليا)، إلى الشرق من بحيرة طبريا. وتمكن عبادة بواسطة هجانته، من محاصرة اسكندر وجيشه في واد عميق. وكادإسكندر أن يهلك في هذه المعركة، لولا فراره مسرعاً إلى بيت المقدس. فوجد فيه ما شغله عن مثل هذه الهجمات، التي كان ينوي شنها على الأنباط[٥٩]. ولكن المفاوضات أدت إلى الاتفاق، على أن يرد اسكندر ما استولى عليه من مدن، في أرض مؤاب وجلعاد وما فيهما من معاقل ، مقابل امتناع عبادة الأول عن مساعدة خصوم إسكندر[٦٠]. ويعتقد بعض المؤرخين أن الاتفاق كان في صالح اسكندر إذ تمكن بذلك الاتفاق أن يتقي عبادة الأول. ويأمن على ما بقي من مملكته. على الأقل[٦١] .

توسعت رقعة دولة الأنباط، وأحاطت بمملكة المكابيين (اليهودية)، منذ سيطرة الأنباط على دمشق وجوف سورية والأجزاء الجنوبية والشرقية من فلسطين وحوران، وما كانت تشغله مملكتي أدوم ومدين إلى ديدان (العلا الحالية) وسواحل البحر الأحمر. كما امتد نفوذها حتى شرق دلتا النيل. واستمر الأنباط في هذا التوسع، وصولا إلى ضم المنطقة الشمالية من الحجاز[٦٢]. بينما كانت فيه الدولة اليهودية تعاني المنافسات الحزبية والدينية، التي كانت تمزقها من الداخل[٦٣]. وعندما تسلم الملك الحارث الثالث دولة مترامية الأطراف، كانت أولى أهدافه تطوير القوة العسكرية النبطية، كي تساعده على المحافظة على هذا المستوى، الذي وصلت إليه تلك الدولة. فما كان منه إلا أن طوّر جيشاً قوياً يعتمد عليه في المعارك، وفي المحافظة على حدود الدولة[٦٤]. وكانت دولته تشرف على المملكة اليهودية المتداعية، مما حمله على التدخل في شؤونها، اعتقاداً منه بأنه إن لم يبادر بالهجوم، فإن الصراع الحزبي في الدولة اليهودية المكابية، سيفرض تدخلا يهوديا في مملكته. وعندما علم اسكندر باستعدادات الحارث، أسرع

وخرج للقائه. والتقى الجيشان عند موضع "الحديثة" (Addida) شرق اللد (Ludda) ، ولم تكن قوة اسكندر تقارن بقوة الحارث الثالث، الذي استطاع بكل سهولة هزيمة الجيش اليهودي وتشتيت شمله. ولم يجد اسكندر أمامة إلا طلب الصلح، الذي تم عقده بين الطرفين، و عاد الأنباط إلى ديارهم(٦٥).

ما إن عاد اسكندر يانيوس إلى بلاده، حتى بدأ بجمع فلول جيشه، ومهاجمة المنطقة الواقعة شرقي الأردن. وتمكن أن ينتزع من يد الحارث الثالث اثنتى عشرة مدينة، في تلك المنطقة. كما تمكن بهذا العمل من فصل دمشق عملياً، عن سائر الدولة النبطية في الجنوب(٦٦). ويبدو أن الظروف لم تمكن الأنباط من الرد المناسب، إذ توفي اسكندر يانيوس نحو سنة (٧٨ق. م) واعتلت زوجته ألكسندرا (Alexandra) (٧٨-٦٩ق.م) كرسي الحكم في الدولة اليهودية، كوصية على ولديها هيركانوس (Hyrcanus) وأرسطوبولس (Aristobulus). وكان كل واحد منهما يرى نفسه صاحب الحق في وراثة عرش أبيه، لكن ألكسندرا استطاعت، بكل حكمة وحزم، ضبط الأمور في الدولة اليهودية(٦٧). وذلك باستدعائها وجوه كبار حزب الفريسسيين (Pharisees) ويعدون من المحافظين والمؤلفة قلوبهم، وكانوا مضطهدين في عهد زوجها. ويبدو أنها لجأت إلى هذه الحيلة عندما رأت أن أعداد الفديسسيين تفوق أعداد الصدوقيين (Saduceens) الذين كانوا على النقيض من حزب المحافظين، بنسبة كبيرة؛ فمالت إلى الحزب الأكثر عدداً لضمان بقائها في السلطة، في مقابل ذلك كان الفريسيون في حاجة ماسة إلى تأييد سياسي ومعنوي، فوجدوها فرصة لمبايعة الكسندرا بالملك خلفاً لزوجها. وبذلك استقام أمرها بمساعدتهم(٦٨). ووجد الفريسيون فرصتهم في الانتقام من أعدائهم الصدوقيين، ووافقتهم الملكة إلكسندرا على الأخذ بثأرهم(٦٩). وكان ابنها أرسطوبولس يميل إلى حزب الصدوقيين، فأعانهم في موقفهم حتى استطاعوا الخروج من بيت المقدس، لحسم الشر. وخرج معهم كبار العسكر وأبطالهم وزعماؤهم، وتفرقوا في الضياع. فأوهن ذلك كيان الدولة اليهودية، كما كان سببا في منازعات وحروب مديدة، وقعت بين ولديها هركانوس وارسطوبولس. ولم يمض تسع سنوات على حكم الكسندرا، حتى وافتها المنية سنة (٦٧ ق. م)(٧٠).

ولما ماتت ألكسندرا، بلغت الفوضى غايتها. وكان أكبر ولديها هركانوس، قد تمكن من تنصيب نفسه ملكاً ورئيساً للكهنة. ولكنه لم يكن جديراً بهذين المنصبين، إذ تصفه المصادر بأنه كان (إمعة)، في حين تصف المصادر نفسها أخاه الأصغر أرسطوبولس، بأنه كان طموحاً قوي الشخصية. ويبدو أن هركانوس كان يميل إلى التخلي عن العرش لأخيه الأصغر، ويحتفظ

لنفسه فقط برئاسة الكهنوت. لكن مستشاره المدعو أنتيباتر[٧١] الأيدومي[٧٢]، منعه من تنفيذ ذلك. ومن وراء ذلك كله كان يلوح في الأفق جبروت روما[٧٣]، التي أصبحت - في ذلك الوقت - معنية أشد العناية، بشؤون مصر والشرق الأدنى[٧٤]. عند ذلك انقسم اليهود إلى قسمين: الفريسيون مع هركانوس، والصدوقيون مع أرسطوبولس. وتأزمت المواقف بين الأخوين، إلى درجة خروج كل منهما على رأس أنصاره للقتال، وتصفية الأمر بينهما. والتقيا على نهر الأردن، فدارت معركة بين الطرفين، انهزم فيها هركانوس وهرب إلى بيت المقدس، وأغلق أبوابها وتحصن بها. فتبعه أرسطوبولس وضرب على بيت المقدس الحصار، وأخذ يعمل على هدم الحصن. وحسما للصراع، خرج عدد من كهنة المدينة وشيوخها، وطلبوا من أرسطو بولس كف القتال وحقن الدماء، بالمصالحة مع أخيه. وعرضوا عليه حلاً يجعله ملكاً لليهود، وأخاه الكاهن الأعظم لهم. وأستقر الأمر على ذلك، وتحالفوا عليه[٧٥].

لم يدم الصلح بين الأخوين طويلاً، حتى فسد ما بينهما، فتجددت الفتن والحروب. وكان السبب في ذلك انتيباتر الأيدومي، مستشار هركانوس، الذي عمل على حبك الدسائس والحيل، حتى زادت الفجوة بين الأخوين. واستطاع أنتيباتر أن يكوِّن له حزباً، من وجوه الدولة وكبرائها، ثم أوحى لهركانوس أن أخاه يريد قتله، لاعتقاده أن مُلك الدولة اليهودية من حقه، وأنه يسعى إلى قتله، وأنه من الأصلح لهركانوس اللجوء إلى ملك الأنباط الحارث الثالث[٧٦]. وأن يطلب منه تأييده في نزاعه ضد أخيه. وكان أنتيباتر الايدومي صديقا للحارث، ومتزوجا من امرأة نبطية من أسرة كبيرة ومعروفة[٧٧]. ولا شك أن تأكيد المؤرخ (اليهودي يوسف) على أحادية الجهة، التي كان لا بد أن يلجأ إليها هركانوس، تؤكد أن الحارث الثالث أقوى شخصية في المنطقة، إضافة إلى أنه يملك الجيش القوي والعتاد، والنفوذ الممتد على أكبر مساحة جغرافية، في شمالي المنطقة العربية .

وقد نجحت الوساطة التي قام بها أنتيباتر الأيدومي، حينما ذهب سراً إلى الحارث الثالث، وأخذ منه عهداً بالحماية والتأييد لهركانوس. وعندما عاد أنتيباتر إلى هركانوس وأخبره بما تم الاتفاق عليه، خرج معه من بيت المقدس إلى الحارث الثالث، الذي تلقاهما بالترحاب والإكرام. وأصر هركانوس على الحارث بمساعدة فورية، لاستعادة بلاد اليهودية من أخيه أرسطوبولس، واسترداد التاج اليهودي. فطلب الحارث من هركانوس مقابل ذلك، أن يرد الأثنتى عشرة مدينة، التي استولى عليها والده اسكندر. وكان هركانوس في موقف لا يحسد عليه، فما كان منه إلا أن تعهد برد هذه المدن إلى الحارث[٧٨]. وخرج الحارث على رأس جيش بلغ نحو خمسين ألف جندي، ما بين فارس وراجل، وقاد هجوماً على بلاد اليهودية، وشتت

جيش أرسطوبولس، الذين انحاز معظم جنده إلى جانب الحارث، وطلبوا منه الأمان. وهرب أرسطوبولس وتحصن في بيت المقدس. فتعقبه الحارث، هو ومن انضم إليه من اليهود، وأحكم الحصار عليه مدة طويلة، تتالت فيها المناوشات، وعظمت الفتن، وفر كثير من اليهود يطلبون السلامة إلى مصر. وكاد بيت المقدس أن يقع في يد الحارث الثالث وحليفه هركانوس(٧٩)، إلا أن الأحداث السياسية والعسكرية، التي وقعت في تلك السنة (٦٤ ق. م)، قلبت الموازين رأسا على عقب، في غير صالح الحارث وقضية هركانوس، ففي هذه السنة دخل القائد الروماني (Pompey Magnus)(٨٠) إلى سورية، واستولى على مدنها، بما فيها العاصمتين أنطاكية ودمشق، وأنهى الحكم السلوقي في المنطقة. وفي السنة التالية فرض سلطان روما على فلسطين، والمناطق المجاورة لها(٨١).

خامسا : النشاط ضد الرومان :

كان تقدم الرومان في سورية، وضمها إلى روما، وجعلها مقاطعة رومانية، تهديداً لكل من اليهود والأنباط، على حد سواء(٨٢). وكانت فاتحة ذلك التدخل الروماني في شؤون الدولة اليهودية، عندما وجّه القائد الروماني إنذاراً للحارث الثالث، بوجوب فك الحصار المضروب على بيت المقدس، والانسحاب من أراضي الدولة اليهودية، في مقابل الحفاظ على صداقة روما(٨٣). ووجد الحارث أنه لا قبل له بمواجهة القوات الرومانية المصاحبة لبومبي، فسارع إلى فك الحصار عن بيت المقدس، والانسحاب من الأراضي اليهودية (٨٤). ويبدو أن تصرف الحارث كان من أهم الأسباب، التي عملت على تأجيل سقوط الدولة النبطية، في أيدي الرومان. وحدث في أثناء انسحاب الحارث من الأراضي اليهودية، مصطحبا هركانوس الثاني، أن أنتهز أرسطوبولس هذه الفرصة، وانقضّ على جيش الحارث عند مكان يدعى "بابيرون" (Papyron). ولم يكن الحارث يتوقع مثل هذا الهجوم المباغت، وقُتل من جيشه قرابة ستة آلاف جندي(٨٥).

ويبدو أن القائد الروماني بومبي، أدرك بعد هذا الحادث، أن مصلحة الدولة الرومانية فوق كل إعتبار؛ ولذا، قرر إعادة هركانوس إلى كرسي الحكم في الدولة اليهودية، وإبعاد أرسطوبولس، بحجة أن أرسطوبولس كان طموحاً، وكان يميل إلى البارثيين، أعداء روما، وربما يؤدي ذلك إلى التعاون معهم ضد الدولة الرومانية، في حين لم يكن لهركانوس أية مطامع، سوى الفوز بالتاج اليهودي(٨٦). وأكثر من ذلك، لم يتخذ بومبي أي إجراء ضد الدولة

اليهودية، بل انهمك في الاستعداد للحملة العسكرية، التي أعتزم القيام بها على البتراء عاصمة الأنباط. ولعل ما دفعه للقيام بهذه الحملة، هو موقع البتراء الاستراتيجي المهم على طريق التجارة البرية، فضلا على أنها مركز تجاري حيوي لتجارة العطور والتوابل؛ وكذلك محاولته تحقيق مكاسب شخصية ومادية، إضافة إلى إحراز شهرة عسكرية، بمد نفوذ روما حتى البحر الأحمر(٨٧).

وتحقيقا لهذا الهدف، خرج بومبي على رأس حملته ضد البتراء. وورد في المصادر أنه قطع شوطاً بعيداً في قلب صحراء النقب، في طريقه إلى البتراء. ولكن كانت تساوره دائما مخاوف من قبل أرسطوبولس اليهودي المخلوع من قبل بومبي نفسه، والذي يحتمل أن يقوم بهجوم على الحامية الرومانية في بيت المقدس، مستغلا ذهاب بومبي إلى البتراء. وبالفعل وقع ما كان بومبي يتوقعه؛ فقد ظهر أرسطوبولس على حقيقته، بعد أن تظاهر بالاستسلام. وعاد إلى بيت المقدس، وأخذ يتأهب لقتال الرومان. ورأى بومبي عند ذلك أن القضاء على أرسطوبولس، أولى من توجيه حملة إلى مملكة الأنباط، التي لا تشكل خطورة مباشرة على الرومان، على الأقل في الوقت الراهن(٨٨).

توجه بومبي إلى الأراضي اليهودية في سنة (٦٣ق.م)، فحاصر بيت المقدس، التي استسلمت له بمساعدة أنصار هركانوس الثاني. فدخلها بومبي، وفيها استولى على مافي الهيكل من أموال وكنوز وذخائر، كما قبض على أرسطوبولس مع ابنيه، وعيّن هركانوس الثاني رئيسا للكهنة؛ ثم ترك حامية رومانية عسكرية في المدينة، وفرض على سكانها اليهود خراجاً سنوياً. وبهذا غدت الدولة اليهودية المكابية، خاضعة للدولة الرومانية(٨٩).

عاد بومبي إلى روما في بداية سنة ٦٢ ق. م، تاركا سورية في يد أمليوس سكاوروس. ولم يتعرض بومبي لدولة الأنباط بسوء، ولم يتدخل في أمورها السياسية، مثلما فعل باليهودية. فقد ظلّ الحارث الثالث يحتفظ بممتلكاته. وعلى الرغم من استقرار العلاقات السياسية بين الأنباط والرومان، لا يُعلم لِمَ أقدم القائد سكيروس على توجيه حملة ضد الأنباط نحو سنة (٦٢ ق. م)، إلا ما زعمه بأن المشاكل الحدودية بين أقوام المنطقة تبرر الحملة. والواضح أن سكاوروس، مثله في ذلك مثل بومبي، قام بتنفيذ سياسة مرسومة لصالح الحكومة الرومانية، وإن لم يكن الأمر كذلك، فمن المحتمل أن حملته على البتراء استهدفت السيطرة على الأموال(٩٠)، إذ بعدما وصل سكيروس إلى البتراء، ولم يتمكن من السيطرة عليها، أوفد أنتيباتر الأيدومي- الذي سبقت الإشارة إليه - لمفاوضة الحارث. ويبدو أنه تمكّن من اقناع الحارث، بأن دفع مبلغاً من المال يمكن أن يوقف حرق بلاده، وتم الإتفاق على أن يدفع الحارث ثلاثمائة قطعة من الفضة،

مـقابل السلم مع رومـا؛ وبذلك تجنب الدخـول في حرب غـير مـأمونة العـواقب ضد الحـامية الرومانية[٩١]، وقد سـرَّت هذه الإتفاقية القـادة الرومان، إلى درجة أن بومبي أمـر بوضع صورة للحارث الثالث في موكب نـصره، الذي أقامه في روما. وأما سكيروس، فـقد أمر بضرب سكة نقشت عليها صورة للحارث راكعا وحاملا سعـفة بيده، جواره جمل، تعبيراً عن استسلامه إلى سكيروس[٩٢]. ويبدو ان الحادث نفـسه، أو صورة النقد التي وصلت إلى الحـارث قد ساهمت في وضع نهاية سريعة للحارث، الذي توفي مباشرة بعد هذا الاتفاق، وتسلّم الحكم بعده مالك الأول (٦٢-٣٠ ق.م)[٩٣]. ولا يُعلم سـبب مـعلن لما قـام به الرومـان، من خـرق لـلسلم مع الأنباط، إذ يذكـر المؤرخ اليهودي (يوسف) أنه بـعد نحو سبـع سنوات، وتحديدا سنة ٥٥ ق. م، جهز حاكم سـورية "جابنيوس" (Gabinius) حملة عسكرية على البتـراء ، تمكّن فيها من هزيمة الأنباط[٩٤].

ويختلف المؤرخون في تبرير أسباب هذه الحملة، وإن كان بعضهم يعتـقد أن جابنيوس أراد أن يثبت للأنباط قـوة رومـا، وأنها قـادرة على إخضـاع الأنبـاط، في أي وقت تشاء، وأن لهـا الكلمة الأولى في المنطقة بكاملها[٩٥]. في حين يعتقد آخرون أن سـبب الحملة هو أن جابنيوس كان قد جهز حلمـة عسكرية يريد بها مصر، واحتاج إلى المال لتمـويل هذه الحملة، فما كان منه إلا أن قام بهذه الحملة ضد البتراء[٩٦].

كانت الدولة النبطية، كغيرها من الدول، تشغل حيزاً جغرافيا، وآخر سياسياً لا بأس بهما في المنطقة. وكـان الأنباط يسـعون دائماً إلى تدعـيم وجودهم السيـاسي، بإظهار مـا لديهـم من قوة عسكرية، متى سنحت لهم الفـرصة، التي استهلوها بإرسال قوة من فـرسانهم الأشداء، لمناصرة يوليوس قيصر[٩٧] عندما حاصره أعداؤه في الإسكندرية، عقب وصوله اليها من روما، وإقراره كليوباترا السابعة (٥١-٣٠ق.م) ملكة على عرش مصر، في مواجهـة أخيهـا بطلميوس الثالث عـشـر. على حين أن وزير الماليـة البطلمـــــي "بوثينوس"(Potheinos) سـاءه هذا العـمل، وأحس بالخطـر الـذي يهـدده من قـبل كليوباترا، لأنه كـان من أشد المعارضين لتـوليتهـا عرش مصر. فـأسرع باستدعـاء حليفه قائد الجيش البطـلمـي "أخيلاس" (Achillas) [٩٨]، الذي قدم على رأس قوات بلغت نـحو عشريـن ألفاً، وحاصرت قـيصر في مـنطقة القصـر الملكي. وكاد قيصر يفقد حياته أثناء الحصار، مـا دفعه إلى الإسراع في طلب النجدة من قواته المتمركزة خارج مصر، خاصة قوات "كالفينوس" (Calvinus) في آسية الصغرى. كما ناشد ملك الأنباط، مالك الأول، دعمه بوحدات من فرسانه الأشداء ، وسرعـان ما لبى مالك الأول طلب قيصر. وشارك أنتيبـاتر الأيدومي - وكان وقتهـا متنفذاً في البلاط اليـهودي - بإرسال فرقة عـسكرية من نحو

ثلاثة آلاف رجل مزودين بالسلاح إلى مصر، لمساعدة قيصر. وبمساعدة هذه القوات وغيرها، استطاع قيصر أن يقضي على خصومه، ويستولي على الإسكندرية، ويعلن كليوباترا من جديد ملكة على مصر، في شهر يناير (كانون الثاني) سنة ٤٧ ق. م[٩٩].

ولما كان أنتيباتر الأيدومي هو منسق الدعم الخارجي لقيصر، وهو الذي أقنع "مالك الأول" بالمشاركة في إرسال قوة عسكرية من الفرسان لمناصرة قيصر، واختيار هذه الفرقة بعناية فائقة لتقوم بالمهمة بالشكل المطلوب[١٠٠]. فقد حصل الأنباط على مكافأتهم عن طريق أنتيباتر. وفعلاً كافأ قيصر صديقه أنتيباتر بأن عينه حاكماً على الدولة اليهودية، دون أي ذكر لهركانوس. وكان تعيين أنتيباتر في مصلحة الأنباط، إذ كان هذا الأيدومي صديقا للأنباط ونسيباً لهم، فقد تزوج فتاة نبطية أنجبت له أربعة أبناء، أهمهم "هيرود" (Herod) الذي لقب بـ"الكبير" وابنة تسمى سالومه (Salome)[١٠١].

وكانت واحدة من أبرز الامتيازات، التي منحها قيصر لأنتيباتر جباية أموال فلسطين. وعلى الرغم من هذه الامتيازات الخارجية، التي حصل عليها هذا الحاكم، فإنه لم يحظ بمحبة اليهود، الذين ثارو عليه فيما يبدو، وقضى نحبه مسموما سنة ٤٣ ق.م. وتولى حكم اليهودية أبنه هيرود الأول (٤٠-٤ ق. م)[١٠٢]. وفي هذه الأثناء ظهرت أحداث جديدة على الساحة السياسية في المنطقة، عندما تعرضت سورية وآسية الصغرى لغزو البارثيين[١٠٣]، الذين تمكنوا من الاستيلاء على الدولة اليهودية، بطلب من أنتيجونوس[١٠٤] بن أرسطوبولس، على حد زعم بعض المصادر. وإن كان بعضها ينكر هذا التحريض من أنتيجونوس، بعد إغرائهم بالأموال والفتيات اليهوديات[١٠٥]. وعلى الرغم من هذا الخلاف في الآراء، فمن الثابت أن المنطقة تعرضت للغزو والضم البارثي، مما أدى إلى هرب هيرود الكبير من الأراضي اليهودية، بعد احتلالها، وإسراعه متوجهاً إلى البتراء ملتمساً من مالك الأول العون والمساعدة، بالمال والعتاد، على سبيل الهبة أو الدّين، لما كان لوالده أنتيباتر، من صداقة حميمة بينه وبين الأنباط. لكن مالكا خيّب آمال هيرود ورفض مقابلته، فضلا عن إجارته ومساعدته. ولعل هذا الرفض كان بتوجيه من البارثيين[١٠٦]. والواقع أن سيطرة البارثيين على المنطقة، وغياب القوة الرومانية، التي كانت مهيمنة من قبل، تجعل الإقدام على مساعدة هيرود أمراً بعيداً عن الحكمة السياسية، فهو أمر يجعل مالكاً عدوا للبارثيين، ومن ثم يعرض نفسه ودولته للخطر، سيما أنه لم تكن لديه قوة عسكرية تؤهله لمقاومتهم. إضافة إلى أن مالكاً لم يكن له مصلحة يرجوها من هيرود، الذي يُعَدّ في موقف ضعف، لا يحسد عليه. ونتيجة لهذا الرفض، توجه هيرود إلى روما عبر الإسكندرية، واستطاع استعطاف أعضاء مجلس السناتو (مجلس الشيوخ)، وكذلك الحكومة. وقد تفضّل

عليه أغسطس[١٠٧] وأنطونيوس[١٠٨] بمنحه التاج اليهودي. وبهذا أصبح رسميا ملكاً على الدولة اليهودية، وكتب له الرومان مرسومهم هذا على ألواح من النحاس، وأقاموا له موكباً ثم سيّروه مع حملة عسكرية خرجت لقتال البارثيين. وأمروه بالتخلص من الملك، الذي نصبه البارثيون، ومن البارثيين أنفسهم[١٠٩].

وجد مالك الأول نفسه في حرج شديد، عندما عاد هيرود ملكاً على الدولة اليهودية، وكذلك حليفا لروما. وازداد الأمر سوءاً عندما استطاع القائد الروماني فنتيديوس باسوس (Ventidius Bassus)، دحر البارثيين إلى موطنهم إيران. وبهذا عادت السلطة الرومانية إلى البلاد السورية، مرة أخرى[١١٠]. ونتيجة موقفه السلبي من روما، فرض القائد الروماني على مالك غرامة مالية كبيرة. ولم يفت فنتيديوس ثروة الأنباط، وأن الخزانة الرومانية تُستنزف بصورة كبيرة وقت الاضطرابات. فكان لديه سبب قوي لكي يحول إحجام الأنباط عن مساعدة روما وحلفائها، إلى ميزة ومكسب اقتصادي للرومان[١١١].

وكانت الدولة الرومانية قد مرّت، بعد مقتل يوليوس قيصر، بفترة عصيبة من الحروب الاهلية، انتهت بانتصار الحزب القيصري، بزعامة أوكتافيوس و ماركوس أنطونيوس سنة ٤٢ق. م. واقتسم القائدان المنتصران الإمبراطورية فيما بينهما، وآلت الولايات الشرقية لأنطونيوس[١١٢]. وعندما حضر أنطونيوس إلى الشرق، وقع تحت تأثير كليوباترا السابعة، ملكة مصر البطلمية، التي كانت لها أطماع سياسية توسعية. فطلبت من أنطونيوس أن يمنحها مملكتي اليهودية والنبطية، فرفض طلبها بحجة أنه من الظلم والجور أن يطيح بالملكين، هيرود ومالك. واكتفى بأن أقطعها جانبا من الساحل الفينيقي، ومزارع البلسم عند أريحا التابعة لهيرود، إضافة إلى جزء من مملكة الأنباط، الواقع على خليج العقبة[١١٣]. وقد استأجر هيرود مزارع البلسم، التي كانت بحوزته، من كليوباترا، وأخذ يدفع إجارها بانتظام. كما تعهد بتحصيل المبالغ المفروضة على الملك النبطي، وهو التعهد الذي أدى إلى الخلاف بين هيرود ومالك. وقد أجبرت كليوباترا أنطونيوس أن يأمر هيرود، بتسيير حملة عسكرية ضد مالك، عندما رفض الأخير دفع المبالغ المالية المستحقة عليه للملكة كليوباترا[١١٤].

ويميل المؤرخ (اليهودي يوسف) إلى أن كليوباترا، إنما أرادت بعملها هذا ضرب الخصم بالخصم، لكي تستنزف قوتهما، ومن ثم تتخلص من هيرود ومالك في آن واحد، تمهيداً لتحقيق سيطرتها على أراضي الدولتين: اليهودية والنبطية[١١٥]. و يبدو أن هيرود كان يتحين مثل هذه الفرصة، فبادر بشن هجوم مباغت على الأنباط، حقق النصر في معركته الاولى في-Disopo)

(lis، وفي معركـة أخرى جرت في (Cana) (قانا)، وكـلا الموقعين في سورية المجوفـة، كاد أن يتغلب عليهم مرة أخرى، إلا أن موازين النصر سـرعان ما تغيرت لمصلحة الأنباط، حيث تدخل "أثانيون" (Athenion) سفـير كليـوباترا، في الحرب. وحـقق بانضمـامه إلى جـانب الأنباط - ويبدو ذلك لأسـباب شـخصيـة حدثت بينه وبين هيـرود - نصراً نبطياً على هيـرود، فقـد قتلوا واسروا العدد الكبير من جيشه، مما اضطر هيرود إلى العودة إلى بيت المقدس(١١٦). وقد تزامن مع هذه الهزيمة زلزال كبير ضرب اليهودية، مـا أكره هيرود إلى إرسال سفارة إلى مالك، يدعوه فيها إلى السلام . ويُستغرب فعلا ما ذكره المؤرخ اليهودي يوسف، أن مالكاً قتل الوفد اليهودي إذ لم تكن من شيم العـرب قتل ضيوفـهم، اللهم إلا إذا أتى الوفد بما يستوجب القـتل، وهو أمر لم يذكره المؤرخ اليـهودي(١١٧). على كل، ما إن علم هيـرود أن مفاوضاته مع الأنبـاط لم تحقق النجاح المطلوب، حـتى أمر بجيش أكبر من سـابقه، بعد استثـارة حمية قومـه ورفع معنوياتهم، وحرّضـهم على الانتقام والأخـذ بالثأر. ثم عبـر بهم نهر الأردن، وواجـهه جيش نبطي بقـيادة القائـد "إلتيمـوس"(تيم اللات) (Elthemos) على مـقربة من فـلادلفيا (عـمان). ولم يتـمكن الجيش النبطي من الصمـود في وجه قوات هيرود حيث هرب عدد كبـير من أفراده إلى هيرود، واستسلم له من بقي منهم، على حد قول المصادر اليهودية(١١٨).

وخـارج المنطقـة العـربيـة، كـانت العلاقـات مـتـوترة بين وريثي قـيـصـر (أوكـتافـيـوس) و(أنطونيوس)، نتيجة مطامع كليهما الشخصية، إضافة إلى العلاقة، التي ربطت بين أنطونيوس وكليوباترا، وقـد استثمـرها أوكتافـيوس لصالحه. وبتكليـف من مجلس الشيوخ في رومـا، قاد أوكتافيوس جيشا رومانيا باتجاه الإسكندرية، لحسم الموقف لصالح روما. وفي موقعة (أكتيوم)، في مياه الإسكندرية، التقى جيش أكتافيوس بجيش أنطونيوس في سبتمبر (أيلول) ٣١ ق. م، وهزمه وزحف باتجاه مـصر، مما أدى إلى انتحار كل من أنطونيوس وكليوباترا السـابعة، وتحويل مصـر إلى ولاية رومانـية (١١٩). أما فـي داخل المنطقة، فـقد حـاول مالك الأول، قـبل موقـعة " أكتـيوم " بمدة قصيـرة، مساعدة القـائد أنطونيوس، وحليفـته كليوباترا، لكن عندمـا بلغه هزيمة أنطونيوس انقلب مشـايعاً أكتافيوس، وأمـر بإحراق سفن كليوباترا، التي كانت راسـية بالقرب من مـيناء "كليوباتريس" (الـسويس حـاليا). وعلى الرغم من ذلـك لا يُعلم سبب لِمَ لم يُظهـر أكتافيوس أي اهتمام بما قـام به الأنباط ؟ والأنكى من ذلك أنه أمر بمكافأة هيرود، بأهدائه بعض المناطق التابعة للأنباط(١٢٠).

توفي مالك الاول، وتولى بعده عبادة، الذي عُرف عند المؤرخين بالثاني، وحكم ما بين سنتي (٣٠-٩ ق.م) (١٢١). وكانت أهم النشاطات العسكرية في عهـد هذا الملك، مشاركة الأنباط في

الجيش الروماني، الذي كُلف بغزو اليمن في الحملة، التي عرفت بحملة إليوس جالوس-Aeli) (us Gallusوكانت الإمبراطورية الرومانية قد توجهت بأنظارها إلى جنوبي الجزيرة العربية، لأسباب منها: الرخاء الكبير، الذي ساد المجتمع الروماني آنذاك، وكان أحد مظاهره أستهلاك كبير للطيوب والتوابل، التي كانت تصلهم من جنوب شبه الجزيرة العربية، بواسطة الطرق البرية والبحرية. وكان أصحاب رؤوس الأموال يسيطرون عليها، وهم غالبا من الأنباط. وكانت الحكومة الرومانية ترى أن مثل هذه السيطرة، إنما هي سيطرة على جوانب كثيرة من الاقتصاد الروماني، ومنها التجارة الخارجية، التي أغلبها تجارة شرقية(١٢٢). وبناء على ذلك أمر الإمبراطور الروماني أكتافيوس (أغسطس)، الحاكم الروماني في مصر، إليوس غالوس، بتجهيز حملة رومانية يتوجه بها نحو اليمن "العربية السعيدة" (Arabia Felix) وتضم عددا من الأنباط وصل عددهم نحو ألف رجل، تحت إمرة شخصية نبطية شهيرة تدعى "سُلِّي" -Syl) (leausونحو خمسمائة من اليهود. وقد وقعت أحداث هذه الحملة بين سنتي (٢٦-٢٤ ق.م)(١٢٣).

ويبدو أن اشتراك الأنباط واليهود في الحملة الرومانية، لم يكن من قبيل المساعدة العسكرية، إذ لم يكن الرومان بحاجة إلى مثل تلك المساعدة، إنما كان الرومان يهدفون من إشراكهم تغطية الهدف الرئيسي للحملة، حتى يشعر أهل اليمن أن هذه الحملة هي حملة تجارية سلمية، بدليل وجود عدد كبير من تجار الأنباط واليهود، المعروفين جيدا من قبل التجار اليمنيين. إضافة إلى سبب وجيه آخر، هو حاجة الرومان إلى مرشد على الطرق. فاستعانوا بمن لديهم الخبرة في ذلك، وهم الأنباط(١٢٤). وقد فشلت هذه الحملة في تحقيق أهدافها، كما لم يكن لها نتائج مباشرة على الأنباط. وعلى الرغم من اتهام إليوس جالوس، الموجه إلى "سُلِّي" بأنه السبب في إخفاق هذه الحملة، وإنه تعمد ارشاد الحملة إلى الطرق غير الآمنة في البحر والبر، إلا أن الإمبراطور الروماني أغسطس لم يتخذ أي إجراء ضد الأنباط، بعد هذه الحملة الفاشلة على الجنوب الغربي لشبه الجزيرة العربية(١٢٥).

وعندما غادر هيرود بيت المقدس نحو سنة ١٢ ق. م، متوجها إلى روما لمقابلة الأمبراطور أغسطس، انتهز عرب الطرخونية في حوران أو " اللجا" فرصة غيابه، وأعلنوا الثورة ضد حكمه، وهاجموا الحدود اليهودية، دون تحقيق أي نجاح. وتمكنت القوات الموالية لهيرود من إخماد هذا التمرد، وقُتل عدد كبير منهم ، في حين تمكن نحو أربعين منهم من الهرب واللجوء إلى الأنباط، الذين آووهم وساعدوهم، فيما يبدو، على الاغارة على الحدود اليهودية. ولما عاد

هيرود من روما، اتهم عبادة الثاني ووزيره "سُلّي" بمساعدة المتمردين، وتقدم نحو سنة ٩ ق.م بشكوى رسمية إلى الحاكم الروماني في سورية. وطلب من عبادة طرد من لجأ إليه من أهل اللجا وعدم حمايتهم. فرفض عبادة هذا الطلب. فهاجمهم هيرود، بمساعدة من الحاكم الروماني، رؤساء اللجا في معقلهم الواقع في أرض الأنباط. ورد الأنباط على الهجوم بإرسال جيش بقيادة (المدعو أو رتبته نقيب) (Nacebus) الذي لم يتمكن من تحقيق نتيجة لصالحه، وعاد مسرعاً إلى البتراء، لوصول أنباء عن وفاة الملك عبادة الثاني[١٢٦]. وخلف الحارث الرابع عبادة، وامتدت فترة حكمه ما بين[١٢٧] (٩ق. م -٤٠م)[١٢٨]. وقد تمتع الأنباط في ظل هذا الملك الجديد بهدوء سياسي واستقرار، لم يعهدوه من قبل، حتى إن المصادر الكتابية الأدبية لم تورد أي خبر عنهم، طوال المدة من سنة ٤ ق.م حتى ٢٧م. ويفسر بعض المؤرخون ذلك بأن روما كانت قد أحكمت سيطرتها، على معظم المنطقة، ودار الجميع في فلك الدولة العظمى، في تلك الفترة[١٢٩].

وكان من الطبيعي في ظل هذه المعطيات، وهذه الظروف، أن يحاول كل طرف في المنطقة التزلف والتقرب إلى روما. وعلى هذا ففي نحو سنة (٤ ق.م)، أمد الحارث الرابع القائد الروماني فاروس (Varus) بقوة من المشاة والفرسان، عندما زحف لإخماد ثورة قامت في الدولة اليهودية[١٣٠].

وبعد هذه الفترة تحسنت العلاقات بين الأنباط واليهود، إلى حد المصاهرة، وذلك حينما تزوج هيرود أنتيباس (Herod Antipas) ابن هيرود الكبير، من ابنة الحارث الرابع. وظل الزوجان معا حتى سنة ٢٧م دون أية مشاكل، حتى وقع هيرود أنتيباس في غرام هيروديا، ابنة أخيه هركانوس وزوجة أخيه فيليب، وكانت لا تحل له في الشريعة اليهودية. ولكن هيروديا رغبت في زواج هيرود بشرط أن يطلق ابنة الحارث، فوافق. ولما علمت ابنة الحارث الرابع الخبر، انطلقت إلى أبيها هرباً من هيرود، وأخبرت أباها بما حدث، فغضب وعزم على الانتقام ممن أهان ابنته[١٣١]. ويبدو أن الحارث الرابع استغل هذا الخلاف، الذي نشب بين ابنته وزوجها، وجهز جيشا زحف به لمحاربة هيرود، الذي خرج في الوقت نفسه لمواجهة الحارث. فالتقيا عند موضع "جملا" (Gamala) شمالي اليرموك حيث دارت المعركة بين الطرفين. وكان جيش هيرود يضم جنوداً من جيش أخيه فيليب. ولم يمض وقت طويل حتى تفككت قوات هيرود بانضمام قوات أخيه فيليب إلى صفوف الجيش النبطي، وهُزم هيرود شر هزيمة، وسارع بطلب النجدة من الإمبراطور الروماني تبريوس (Tiberius) الذي أمده بقوة عسكرية بقيادة "فيتيلوس"

(Vitellius)الذي وصل إلى سورية مسرعاً. لكن نبأ وفاة الإمبراطور تبريوس، حال دون وصول فيتيلوس إلى الأراضي النبطية[١٣٢]. وقد أثار تدخل الرومان في الحرب، التي دارت بين الأنباط واليهود، غضب الحارث، مما دفعه إلى السير باتجاه دمشق، بعد انتصاره على هيرود، فاستولى عليها. وبقيت دمشق في حوزة الأنباط فترة يمكن تحديدها استنادا إلى اختفاء النقود الرومانية الدمشقية والتي بُدأ في سكها منذ سنة ٣٤م واختفت في سنة ٦٢-٦٣م ، وعلى هذا يمكن القول إن دمشق تحررت من حكم الرومان في هذه الفترة، التي خلت من سك النقود الرومانية، ودخلت في حكم الدولة النبطية[١٣٣].

حكم بعد الحارث الرابع ابنه مالك الثاني (٤٠-٧٠ م)، وفي عهده اندلعت، مرة أخرى، ثورة يهودية، ضد الرومان. وتمكن يهود بيت المقدس من طرد الحامية، الرومانية سنة ٦٦م، وورد أنهم ذبحوا الحامية. لكن القائد الروماني فسباسيان (Vespasian) جهز سنة ٦٧م جيشاً قوامه ستون ألف رجل، حاصر بيت المقدس. وخلال أيام الحصار، وفي سنة ٦٩م، انتخب فسباسيان إمبراطوراً، وترك قيادة جيشه لولده "تيطس" (Titus) الذي واصل الحصار، وطلب خلاله من مالك مشاركته في حصار اليهود. فبادر مالك بإرسال قوة عسكرية قوامها ألف فارس، وخمسة آلاف من المشاة. وتمكن تيطس بهذه المساعدة دخول بيت المقدس، وتدمير الهيكل، بعد الاستيلاء على كنوزه نحو سنة ٧٠ م، وهي السنة، التي شهدت القضاء على الكيان السياسي اليهودي في فلسطين[١٣٤].

ولم تلبث دولة الأنباط، بعد القضاء على الدولة اليهودية، أكثر من أربعة عقود تقريباً. فقد تولى الملك النبطي رب أيل الثاني (٧٠-١٠٦م) الحكم في دولة الأنباط، وهو لم يزل صغيراً في السن، وتولت أمه شقيلت (Shaqilat) الوصاية عليه. وعندما شبَّ تزوج من جميلت (Gamilat)التي بدأت صورتها تظهر على العملة النبطية[١٣٥]. وضعفت الدولة النبطية في عهده، سياسياً وعسكرياً، مما أغرى البدو المجاورين بالاعتداء عليها، في حرب عرفت باسم (حرب النبط)[١٣٦]. وعندما رأى الرومان أن الضعف دب في أوصال الدولة النبطية، وأنها لم تعد قادرة على حماية حدود الدولة الجنوبية، فضلا عن حماية الطرق التجارية، التي كانت تصل روما بتجارة العربية الجنوبية والهند، ناهيك عن التصدي لقوات البارثيين، أصدر الإمبراطور الروماني تراجان (Trajan) قرارا بتكليف القائد الروماني كورنيلوس بالما(Cor-nelius Palma)سنة ١٠٦م، بإنهاء أمر هذه الدولة المتداعية. ولم يجد الرومان أي مقاومة

تذكر، إثر موت الملك النبطي رب أيل. آخر ملوك الأنباط. فقد أدرك الأنباط أن لا سبيل لهم لمواجهة الرومان، فسلموا البتراء للرومان، الذين استولوا عليها سلماً، وضموها إلى الممتلكات الرومانية في المنطقة، وأطلقوا عليها المقاطعة العربية (Provincia Arabia) (١٣٧).

الهوامش:

(١) Diodorus., XVI.4.21 .

(٢) Diodorus., XIX. 94.1 .

(٣) مارتينيانو رونكا، (١٩٧٠م) ، ص ٦٢١ .

(٤) Diodorus., XIX. 95.2 .

(٥) Diodorus., XIX. 95.3 .

(٦) Diodorus., XIX. 95.4-6 .

(٧) Diodorus., XIX. 96.1-2.

(٨) Diodorus., XIX. 96. 3.

(٩) عباس ، (١٩٨٧م)، ص ٧٥ .

(١٠) كلمة من أصل يوناني أطلقها اليونانيون على الغرباء الناطقين بلغة غير لغتهم وكذلك هي صفة أطلقوهاعلى الشعوب الغير متحضرة . (جواد علي، (١٩٩٣م)، ج١، ص ٤٤٧) .

(١١) Diodorus., XIX. 96.4 .

(١٢) Diodorus., XIX. 97.1 .

(١٣) Diodorus., XIX. 97. 2 .

(١٤) Diodorus., XIX. 97. 3-5 .

(١٥) Diodorus., XIX. 97. 6 .

(١٦) Diodorus., XIX. 98. 1 .

(١٧) Bowersock., (1983) , p.14

(١٨) العابد، (١٩٩٣م)، ص ص ٥١-٥٣ .

(١٩) العابد، (١٩٩٣م)، ص ٥٣ .

(٢٠) الذييب، (١٩٩٥، ص ١٦ .

(٢١) صالح، (١٩٨٨م)، ص ١٤٦ .

(٢٢) عباس، (١٩٨٧م) ، ص ٣٠ .

(٢٣) Diodorus., XIX. 95.2-3 .

(٢٤) Diodorus., XIX. 95.5 .

(٢٥) Diodorus., XIX. 96.4 .

(٢٦) Diodorus., XIX. 97.6 .

(٢٧) Diodorus., II.48.6;Bowersock., (1983),p.16 ; مارتينيانو رونكا، (١٩٧٠م)، ص ٦٢١

(٢٨) نصحي، (١٩٧٦م)، ج١، ص ص ٩٨-١٠١ ؛ الناصري، (١٩٨٤م)، ص ٤٠٦- ,٤٠٧

(٢٩) نصحي، (١٩٧٦م)، ج١، ص ١٠١ .

(٣٠) الناصري، (١٩٨٤م)، ص ٤٠٧ ؛ العبادي، (١٩٨٨م)، ص ٥٤ .

(٣١) الناصري، (١٩٨٤م)، ص ٤٠٧ .

(٣٢) الناصري، (١٩٨٤م)، ص ص ٤٠٧- ٤٠٨ .

(٣٣) الناصري، (١٩٩٢م)، ص ٣١٤ .

(٣٤) Hornblower., (1981),p.146.

(٣٥) عبدالله، (١٩٩٠م) ، ص ٣٢١ .

(٣٦) W.Schoff., **The Periplus of the Erythean Sea,** New Dlehi, (1954), p. 5 - 6 .

(٣٧) M.Rostovtzeff., **The Social & Economic History of the Helle-nistic World**., Oxford (1986), vol.I , p. 378 .

(٣٨) مارتينيانو رونكا، (١٩٧٠م)، ص ,٦٢٨

(٣٩) Diodorus., III.43.5 ; Strabo., XVI. 4.18 (C777) .

(٤٠) الذييب (١٩٩٥م)، ص ١٩، هامش (١) .

(٤١) مارتينيانو رونكا، (١٩٧٠م)، ص ٦٢٨؛ الناصري، (١٩٨٤م)، ص ٤١٠ .

(٤٢) عباس، (١٩٨٧م)، ص ٣٣ .

(٤٣) Polybios., XIII.9.4 ; Diodorus.,III.43.5 ; Strabo., XVI.4.18 (C777) .

(٤٤) W.W.Tarn ., " Ptolemy II and Arabia" **JEA.**, XV(1929) pp.15-16 .

(٤٥) الناصري،(١٩٨٤م)، ص ٤١٠ .

(٤٦) Polybius.,V.24.3-5 ; 35.6 ; XIV.12.

(٤٧) العابد،(١٩٩٣م) ص , ١٠١

(٤٨) Polybius., V.79.13 ; 84. 5-6.

(٤٩) Polybius., V.84.1-10 ; V. 85.6 ; V. 86.7.

(٥٠) Polybius., XVI.18-19 .

(٥١) الناصري، (١٩٨٤م)، ج٢، ص ٤١٨ .

(٥٢) الناصري، (١٩٨٤م)، ج٢، ص ٤١٨ .

(٥٣) العابد، (١٩٩٣م)، ص ص ١٥١ - ١٥٤ .

(٥٤) Josephus., Antiq.XIII.XV.1 ; War.I.IV.7. (101-102).

(٥٥) Josephus., Antiq.XIII.XV.2 ; War.I.IV.8 . (103).

(٥٦) Josephus., Antiq.XIII.XV.2 ; War.I.IV.8 . (103).

(٥٧) Meshorer., (1975), p.12016 ; Bowersock., (1983), p. 25.

(٥٨) Maccabées., II. 5:8 .

(٥٩) Josephus., Antiq. XIII. XIII. 5 .

(٦٠) Josepus., Antiq.XIII.XIV.2 .

(٦١) Bowersock., (1983) , p. 24 .

(٦٢) Patrich., (1990) , p .21 .

(٦٣) إلمسلي، مج٣ ، ص ٦٥١ .

(٦٤) جواد علي، (١٩٩٣م)، ج٣ ، ص ٣١ .

(٦٥) Josephus., Antiq. XIII.XV.2 (392) ; Bowersock., (1983) , p.24 .

(٦٦) Josephus., Antiq. XIII.XV.3 - 4 ; War., I.IV.8 (104 - 105) .

(٦٧) Josephus., War., I.IV. 8 ; I.V.1. (106 - 109)

(٨٧) Josephus., Antiq. XIII.414 ; War., ; I.V.2-3. (107 - 113)

(٦٩) Josephus., Antiq. XIII.414 ; War., ; I.V.2. (112) .

(٧٠) Josephus., War., ; I.V. 3 - 4 . (115 - 120) .

(٧١) والد هركانوس الكبير، حكم أيدوميا نحو سنة (٧٠ق.م) ساند هركانوس الثاني ضد أخيه أرسطوبولس ثم انضم إلى قيصر فعيّنه حاكما لليهودية، مات مسموما سنة ٤٣ ق.م (عبودي، (١٩٩١م)، ص ١٣٣).

(٧٢) Josephus., Antiq. XIV.I.1-3 ; War., I.VI.1(120 -122).

(٧٣) مدينة انتسبت إليها الدولة، تقع في سهل لاتين وهو رقعة ضيقة منخفضة من البلاد التي تقع بين نهر التايبر وهضاب فلوشيان، وبين سفوح الابنين والبحر على بعد نحو خمسة عشر ميلاً من مصب نهر التايبر، وقد بناها رومولوس وأطلق عليها روما المربعة (Rome Quadrata) في نيسان سنة ٧٥٣ ق.م (بتري، (١٩٧٧م)، ص ص ٥- ٦).

(٧٤) إلمسلي، (دت)، مج٣، ص ٦٥٢ .

(٧٥) Josephus., Antiq. XIV.I.1 - 2 .

(٧٦) Josephus., Antiq. XIV.I.3 .

(٧٧) Josephus., Antiq. XIV.I.4.

(٧٨) Josephus., Antiq. XIV.I.4; War., I.VI.2.(123 - 125) .

(٧٩) Josephus., Antiq. XIV.II.1; War., I.VI.2. (126 - 127) .

(٨٠) كنيوس بومبايوس ماغنوس، قائد ورجل دولة روماني (١٠٦–٤٨ ق.م) قتل غدرا في مصر بعدما هرب إليها عقب أنتصار قيصر يوليوس عليه في فارسالوس (Pharsalus) ؛ إبراهيم نصحي، **تاريخ الرومان**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،(١٩٩٨م)، ج٢، ص ص ٦٣٧ – ٦٣٨ ؛ عبودي، (١٩٩١م)، ص ص ٢٤٧–٢٤٨) .

(٨١) Josephus., Antiq. XIV.II.3; XIV.III.1 ;War., I.VI.3. (128 - 130) .

(٨٢)جواد علي، (١٩٩٣م) ، ج٣، ص ٣٢ .

(٨٣) Josephus., Antiq. XIV.II.3 ; War., ; I.VI. 3.

(٨٤) Josephus., Antiq. XIV.II.3(32) ; War., ; I.VI. 3. (129) .

(٨٥) Josephus., Antiq. XIV.II.3(33) ; War., ; I.VI. 3. (130) .

(٨٦) Josephus., Antiq. XIV.V.2 (48-52) ; War., ; I.VII. (141-143) .

(٨٧) نصحي، (١٩٩٨م) ، ج٢ ، ص ٤٥٢ .

(٨٨) Josephus., Antiq. XIV.IV.1-5 .

(٨٩) Josepus., Antiq. XIV. V. 2 -5 ; War., ; I.VII.(157-159) .

(٩٠) Bowersock.,(1983) , p.33.

(٩١) Josepus., Antiq. XIV.V. 1; War., I.VIII.1.

(٩٢) Bowersock., (1983) , pp.34-35.

(٩٣) Glueck., (1965) , p.541.

(٩٤) Josephus., Antiq. XIV.V. 1-2.

(٩٥) عقاب، (١٤١٠هـ)، ص ١١٤ .

(٩٦) عبداللطيف أحمد علي، **مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية**، دار النهضة العربية ، القاهرة (١٩٧٢م)، ص ص١٥-١٦ .

(٩٧) كايوس يوليوس قيصر، ولد في روما سنة ١٠٢ ق.م، كان أحد الحكام في الحكومة الثلاثية الرومانية (٦٠-٤٤ق. م) سحق منافسه بومبي سنة ٤٨ ق.م وأصبح سيد روما وبالتالي سيد العالم غير المنازع سنة ٤٥ ق.م، مات مقتولا بخمس وثلاثين طعنة صوبها إليه جماعة من المتآمرين في ١٥ آذار - مارس سنة ٤٤ ق.م. (عبودي ، مرجع سابق ، ص٦٩٧؛ إبراهيم رزق الله أيوب، **التاريخ الروماني** ، جامعة سبها، ليبيا، (١٩٩٦م) ، ص ص ٢٥٩-٢٦٧) .

(٩٨) نصحي، (١٩٧٦م) ج١ ، ص ٢٩٣ .

(٩٩) Strabo., XIII.625 ; Dio Cassius., XLII.37-41; Josephus., Antiq. XIV.VIII.1 (127-129) ; نصحي، (١٩٧٦م) ج١، ص ص ٣٠٥ ، ٣١٢ .

(١٠٠) Bowersock., (1983), p.38

(١٠١) Josephus., War., I.VIII.3 ; عباس، (١٩٨٧م)، ص ص ٤٨-٤٩ .

(١٠٢) Josephus., War., I.XI.4 (226) ؛ إلمسلي ، مرجع سابق ، ص ٦٥٣ .

(١٠٣) نسبة إلى بارثيا (Parthia) الأسم القديم لخراسان ويعرفون بالبارثيين والفارثيين والفرتيين، وهم فرع من الإيرانيين، بدأ حكمهم من سنة (٢٥٠ ق. م - ٢٢٨م) (عبودي، (١٩٩١م)، ص ص ٢٠٧-٢٠٩) .

(١٠٤) ملك اليهود (٤٠-٣٧ ق.م) ابن ارسطو بولس الثاني ابن اسكندر يانيوس، أخذ رهينة إلى روما فهرب منها سنة ٥٦ ق.م وتحالف مع البارثيين سنة ٤٠ ق.م واصبح ملكا لليهود ورئيسا للكهنة، تولى هيرود الكبير الملك على اليهودية بأمر ومساعدة من الرومان، بعد أن قبضوا على أنتيجونوس وأمر القائد الروماني أنطونيو بإعدامه. وقد كان أخر حكام الأسرة المكابية التي امتد حكمها نحو ١٣٥ سنة. (مفيد رائف العابد، **معالم تاريخ الدولة**

الساسانية، دمشق (١٩٩٩م)، ص ٢٣ ؛ (عبودي، (١٩٩١)، ص ١٣٤).

(١٠٥) Josephus., Antiq.XIV.XIII.10; War., I.XIII.10-11 .

(١٠٦) Josephus., War., I.XIV.1 .

(١٠٧) غايوس أوكتافيوس أبن آتيا بنت جوليا أخت قيصر ولد في ٣٢ سبتمبر سنة ٦٣ ق. م، اشتهر بلقب (أغسطس) وهو لقب ديني يعني مقدس، توفي صيف سنة ١٤م. (أيوب، (١٩٩٦م)، ص ص ٢٦٩-١٩٣).

(١٠٨) أنطونيوس بن ماركوس عشيق كليوباترا السابعة (٨٣-٣٠ ق. م) وأحد أقطاب الحكم الثلاثي في روما إلى جانب أوكتافيوس و ليبدوس، أعلن أوكتافيوس الحرب على أنطونيوس وأنتصر عليه في معركة أكتيوم بمصر سنة ٣١ ق.م وحاصره في الإسكندرية حيث انتحر. للمزيد من المعلومات انظر (نصحي، (١٩٧٦م)، ج١، ص ص ٣٤٣ - ٣٧٤).

(١٠٩) Josephus., Antiq.XIV.XV.1; War., I.XIV.2 - 4 .

(١١٠) Dio Cassius., XLVIII.XLI.V ; Bowersock., (1983) , p.39 .

(١١١) Bowersock., (1983) , p.40.

(١١٢) نصحي، (١٩٧٦م)، ج١، ص ص ٣٣٢ - ٣٣٤ .

(١١٣) Josephus., War., I.XV.4 - 5 .

(١١٤) Josephus., Antiq. XV.IV.4 ; War., I.XV.4 -5 ; Bowersock., (1983) , pp.40 - 41.

(١١٥) Josephus., War., I.XIX.1 (365) .

(١١٦) Josephus., Antiq. XV. V.1 ; War., I.XIX.2 (366 - 368) .

(١١٧) Josephus., Josepus., Antiq. XV. V.2 ; War., I.XIX.3 ; Bowersock., (1983) , p. 43.

(١١٨) Josephus., Antiq.XV. V.4 ; War., I.XIX.5-6 ; Bowersock., (1983) , p. 43.

(١١٩) Dio Cassius., 51. 6 -7 ; Plutarch., 69.2-4 ; Strabo., XVII.1,9 ; Bowersock., (1983) p. 43 ; نصحي (١٩٧٦)، ج١، ص ص ٣٦٦ - ٣٧٠

(١٢٠) Josephus., War., I.XX.3 (391-396) ; Bowersock., (1983) , p. 43 .

(١٢١) Starcky., (1955) , p.94 ; Glueck.,(1965),pp.541-42 .

(١٢٢) Strabo., 16.4.21.

(١٢٣) Strabo., 16.4.22.

(١٢٤) عدنان ترسيسي، **بلاد سبأ وحضارات العرب الاولى: اليمن (العربية السعيدة)**، دار الفكر المعاصر، بيروت (د. ت) ص ٨١ .

(١٢٥) Strabo., 16.4.23-24 ; Bowersock., (1983) , pp.46-49

(١٢٦) Josephus., Antiq. XV.IX.2 - 3 . (274-288)

(١٢٧) Josephus., Antiq. XVIII.V.1.(112-114) .

(١٢٨) Josephus., Antiq., XVI. IX. 4 ; X. 8 ; Bowersock., (1983) , p.51 .

(١٢٩) Bowersock., (1983) , p.54 .

(١٣٠) Josephus., Antiq. XVII. X.9 ; War., II.V.1.

(١٣١) Josephus., Antiq. XVIII.V.1.(112-114) .

(١٣٢) Josephus., Antiq. XVIII.V. 2 - 3 ; Bowersock., (1983) , pp.65-68 .

(١٣٣) Bowersock., (1983) , pp.72-73 .

(١٣٤) Josephus., War. III.IV.2 ; Graf., (1994), p.273 .

(١٣٥) Meshorer, (1975) p.72 ; Glueck, (1965), 543 .

(١٣٦) الروسان، (١٩٩٢م)، ص ٣١٢، ض ٣٤١ .

(١٣٧) Starcky., (1955) pp.101 - 106 .

الخاتمة:

عُني هذا البحث بمحاولة دراسة التنظيمات العسكرية النبطية، في الفترة ما بين (٣١٢ ق.م - ١٠٦ م). وقد تبين من الدراسة أن الأنباط كانوا إحدى القبائل العربية، التي اضطرتها الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، إلى اللجوء إلى موقع البتراء، ذات التحصينات الطبيعية، لإقامة عاصمة دولتهم العتيدة، وذلك في نهاية القرن الرابع ق.م وأنهم استطاعوا أن يؤسسوا في هذا الموقع، كيانا سياسيا لهم، عرف بمملكة الأنباط.

وأوضحت الدارسة أن الأنباط كانوا يتمتعون بخبرة عسكرية، لا بأس بها، منذ القرن السابع ق.م، اكتسبوها من خلال المصادمات العسكرية، التي جرت بينهم وبين الآشوريين، في عهد آشور بانيبال، الذي قام بعدة حملات على القبائل المتاخمة لبلاده. وكذلك، من خلال صدهم للحملتين، اللتين أرسلهما القائد المقدوني أنتيجونوس، نحو سنة ٣١٢ ق.م .

وبينت الدراسة أن القوات العسكرية النبطية، تطورت بعدد من المراحل، صوّرت فيها ظروف قوة الدولة السياسية والاقتصادية، منذ نشوء الدولة، حتى سقوطها نحو سنة ١٠٦م. ومن خلال هذه الدراسة كذلك، اتضح أن الأنباط اعتمدوا في تشكيل جيشهم على فرق متعددة، على نحو ما كانت عليه جيوش الدول المعاصرة، وهي: الهجانة والفرسان والمشاة. وقد أثبتت كل فرقة، من هذه الفرق، فاعليتها وتفوقها في المعارك والوقائع، التي خاضها الأنباط ضد أعدائهم. وحاولت الدراسة أن تقف على مدى القوة البحرية النبطية التي ورد ذكرها في المصادر القديمة، نحو منتصف القرن الثالث ق.م، وقد تبين أنها لم تحقق أي نجاح يذكر، بل إنها لم ترق إلى المستوى الذي تواجه به الأعداء، وقد قضى عليها البطالمة بكل سهولة. وكذلك بينت الدراسة، أن الأنباط كانوا على وعي تام بالأمور العسكرية. وقد تمثل ذلك في عنايتهم الخاصة بتعيين القادة العسكريين، الذين ورد ذكرهم بكثرة في النقوش، التي عثر عليها متفرقة في أنحاء الدولة، وكانت تحمل اسم ولقب القائد. وقد عنيت هذه الدراسة بإبراز هذه الألقاب القيادية ومدلولاتها، وذلك حسب وفرة المادة المتاحة، التي تمثلت في النقوش والرسومات، التي وجدت منحوتة على الصخور؛ وأيضا النصوص، التي وردت في مؤلفات المؤرخين القدماء، ومن هذه الألقاب: "قائد الجيش"، و"قائد الفرسان"، و"قائد المعسكر"، و"قائد الألف"، و"قائد المائة". إضافة إلى بعض الوظائف العسكرية، التي وردت في بعض النقوش، التي عثر عليها، مثل :"حامل العلم"، و"الكاتب العسكري" .

وبيّنت الدراسة أنواع الأسلحة، التي استخدمها جنود الأنباط في حروبهم، وهي: الرماح، والأقواس، والسهام، والسيوف، وهي أسلحة هجومية؛ وكذلك الدروع، والتروس، وهي أسلحة دفاعية. وهذه الأسلحة هي نفسها التي كانت مستخدمة، لدى الجيوش المعاصرة آنذاك.

ومن خلال استعراض هذه الدراسة للنشاط العسكري، الذي قام به الأنباط ضد أعدائهم، من المقدونيين والسلوقيين والبطالمة واليهود والرومان، وكذلك من خلال تلك الحملات العسكرية، التي أرسلها ملوك الأنباط، دعماً إلى بعض الجهات،أثبتت الدراسة أن الأنباط كانوا يتمتعون بتسليح، وبقوة عسكرية لا بأس بهما، مقارنة بجيوش الدول المعاصرة لهم. وأنهم كانوا على استعداد تام لخوض المعارك والمواقع الحربية، ضد أعدائهم، مِن مَن يملكون الجيوش، التي كانت تفوقهم عدداً وعدة.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية :

إلمسلي، أ. ل . "سقوط أورشليم، وأهميته العاليمة"، **تاريخ العالم للسير جون هامرتن**، مج٣، ترجمة: فؤاد أندرواس، دار النهضة المصرية، القاهرة ،(دت) .

الأنصاري، عبدالرحمن الطيب وأحمد حسن غزال وجفري كنج، **مواقع أثرية وصور عن حضارة العرب في المملكة العربية السعودية: العلا (ديدان) الحجر(مدائن صالح)**، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

أوليري، دي لاسي، **جزيرة العرب قبل البعثة**، ترجمة وتعليق: موسى علي الغول، وزارة الثقافة الأردنية، عمان، (١٩٩٠م) .

أيوب، إبراهيم رزق الله، **التاريخ الروماني**، جامعة سبها، ليبيا، (١٩٩٦م) .

بتري، آ.، **مدخل إلى تاريخ الرومان وأدبهم وآثارهم**، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، الموصل- العراق (١٩٧٧م) .

بحيري، صلاح الدين، **أرض فلسطين والاردن، طبيعتها وحيازتها واستعمالاتها**، دار نافع، القاهرة، (١٩٧٤ م) .

ترسيسي، عدنان، **بلاد سبأ وحضارات العرب الاولى: اليمن (العربية السعيدة)**، دار الفكر المعاصر، بيروت (د.ت).

الجاسر، حمد، **شمال غرب الجزيرة**، دار اليمامة، الرياض (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) .

الجنابي، خالد جاسم، "نظام التجنيد وصنوف الجيش"، **موسوعة الجيش والسلاح في العراق**، بغداد (١٩٨٨م).

الجنيدل، سعد بن عبدالله، بلاد الجوف (دومة الجندل)، داراليمامة، الرياض، (١٤٠١هـ) .

الحموي، ياقوت بن عبدالله، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، (١٩٧٩ م) .

الخـازن، علاءالدين علي بن أحمد، **تفسير الخازن**، مطبعة الإستقامة، القاهرة، (١٩٥٥م).

دانـتز، ج .م . ومجمـوعة من الباحثين، **سورية الجنوبية (حوران)**، تعريب: أحمـد عبدا لكريم وميشيل عيسى وسالم العيسى، دار الأهالي، دمشق، (١٩٨٨ م) .

ديسـو، رينيه، **العرب في سـوريا قبل الإسـلام**، ترجمـة: عبدالحـميد الـدواخلي، دار الحداثة، بيروت، (١٩٨٥م) .

الذيب، سليمان بن عبدالرحمن، **دراسة تحليلية لنقوش نبطية قديمة**، الرياض (١٩٩٥م).

........، نقوش الحجر النبطية، الرياض، (١٩٩٨) .

........، "نقـوش نبطيـة جديـدة من قارة المزاد سكـاكا - الجـوف"، **مـجلة العصـور**،ج٧، مج ٢(١٤١٣هـ).

الروسان، مـحمود محـمد، **القبـائل الثمودية والصـفوية**،ط٢، جامـعة الملك سـعود، الرياض، (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) .

ريـاض، محمد، **الإنسان دراسة في النوع والحضارة**، دار النهضة العربية، بيروت (١٩٧٤م).

الزبيدي، محمد مرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس**، مكتبة الحياة، بيروت (١٣٠٦هـ).

زيـادة، نقـولا، شـاميـات: **دراسـات في الحضـارة والتـاريخ**، منشـورات رياض الريس، لندن (١٩٨٩م) .

سوسه،أحمد، **حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين**، دار الرشيد، بغداد، (١٩٨٠م) .

سيد، عبدالمنعم عبدالحليم، **البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية (١٩٩٣م).

........، "صلات الأنباط بمصر من خلال النقوش النبطية على صخور الحجاز وصحراء مصر الشرقية" **البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية (١٩٩٣م).

ابن سيده، (أبي الحسن علي بن إسماعيل)، **المخصص**، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت (د.ت) .

شرف الدين، أحمد حسين، "مسالك القوافل التجارية في شمال الجزيرة العربية وجنوبها" **دراسات في تاريخ الجزيرة العربية**، مج٢، الجزيرة العربية قبل الإسلام، جامعة الملك سعود، الرياض (١٤٠٤ هـ ١٩٨٤م) .

شريف، عبد الرحمن صادق، **جغرافية المملكة العربية السعودية**،ج١، دار المريخ الرياض، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) .

صالح، عبدالعزيز، **تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (١٩٩٢م) .

الصمد،،واضح، **الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي**، المؤسسة الجامعية، بيروت (١٩٨١م) .

الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار الفكر، بيروت (١٤٠٥هـ).

طلاس ، مصطفى ومجموعة من الباحثين، **الاستراتيجية السياسية العسكرية**، دار طلاس، دمشق، (١٩٩١م).

العابد، مفيد رائف، **سورية في عصر السلوقيين**، دار شمأل، دمشق، (١٩٩٣م).

........، تاريخ **الإغريق السياسي الحضاري الباكر والكلاسيكي حتى ظهور الاسكندر**، جامعة دمشق، (١٩٩٤م) .

........، **الآثار الكلاسيكية: دراسات في الآثار الكلاسيكية**، مطبعة رياض، دمشق،(١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢ م) .

........، **معالم تاريخ الدولة الساسانية**، دمشق ، (١٩٩٩م) .

العبادي، مصطفى، **العصر الهليني في مصر**، دار النهضة العربية، بيروت، (١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م).

عباس، إحسان ومحمود أبو طالب، **شمال الجزيرة العربية في العهد الآشوري**، عمان (١٩٩١م) .

........، إحسان، **تاريخ دولة الأنباط**، دار الشروق، عمان - الأردن، (١٩٨٧م).

عبد العليم، مصطفى كمال "تجارة الجزيرة العربية في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني"، **دراسات في تاريخ الجزيرة العربية: الجزيرة العربية قبل الإسلام**، جامعة الملك سعود، الرياض، (١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م) .
........، "**الأيتوريون عرب لبنان القدماء**"، **مجلة العصور**، مج١،ج١ ،(١٩٨٦م) .

عبدالعزيز، مهدي عبدالكريم محسن، دراسة تحليلية للنقوش النبطية في منطقة البتراء، (رسالة

ماجستير غـير منشورة) مقدمة لمعهد الآثار والأنثروبولوجيـا، جامعة اليرموك، الاردن، (١٩٩٢م) .

عبدالغني، محمد السيد، **شبه الجزيرة العربية ومصـر والتجارة الشرقية القديمة**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، (١٩٩٩م) .

عبدالله، يوسـف خلف، "صناعة الاسلحة الآشورية ومصادر المواد الاولية "، **موسوعـة الجيش والسلاح في العراق**، بغداد (١٩٨٨م) .

........، "صنوف الجيش الآشوري"، **موسوعة الجيش والسلاح في العراق**، بغداد، (١٩٨٨م).

عـبـودي، هنري .س .، **مـعـجم الحـضـارات السـامـيـة**، ط ٢، طرابلس، لبنان، (١٤١١ هـ ١٩٩١م).

العزيزي، روكس بن زائد،"مـأدبا في التاريخ"، **مجلة المدينة العـربية**، عدد ٣٤، السنة السـابعة، الكويت، (ربيع أول ١٤٠٩ هـ نوفمبر ١٩٨٨م) .

عـقـاب، فتحـية حـسين إبراهيم، أبعاد الـوجود الرومانـي في شبه الجزيرة العربـية منذ العـقود الاخيرة من القرن الأول ق.م وحـتى أوائل القرن الثاني م (رسالة ماجسـتير لم تنشر)، الرئاسة العامة لتعليم البنات، كلية التربية للبنات، جدة، (١٤١٠هـ).

علـي، جـواد، **المفـصل في تاريخ العـرب قـبل الإسـلام**، ط٢، دار العلم للمـلايين، بـيـروت، (١٤١٣هـ-١٩٩٣م).

علـي، عبداللطيف أحمد، **مصر والإمبراطورية الرومـانية في ضوء الأوراق البردية**، دار النهضة العربية، القاهرة، (١٩٧٢م).

عون، عبدالرؤف عون، **الفن الحربي في صدر الإسلام**، دار المعارف، مصر (١٩٦١م).

غـالي، إبراهيم أمين، **سـيناء المصـرية عبـر التـايخ، الهـيئـة المصـرية العامـة للكتـاب**، القاهرة، (١٩٧٦م).

الفاسي، هتون أجواد، **الحياة الاجتماعية في شمـال غرب الجزيرة العربية في الفترة ما بين القرن السادس ق .م والثاني الميلادي**، الرياض ، (١٤١٢هـ/ ١٩٩٣م) .

قادوس، عزت زكي حامـد، **العملات اليونانية والهللينستية**، الإسكندرية، (١٩٩٩م).

قـدري،أحمد، **المؤسسة العسكرية المصـرية في عصر الإمبراطورية (١٥٧٠ ق.م - ١٠٨٧ ق.م)**، ترجمة: مختار السويفي ومحمد العزب موسى، هيئة الآثار المصرية، القاهرة، (١٩٨٥) .

المحيسن، زيدون، **البتراء مدينة العرب الخالدة**، وزارة الشباب الأردنية، عمان ، (١٩٩٦م).

مخلـوف، لويس، **"البتراء" الأردن تاريخ وحضارة وآثار**، عمان، الأردن، (١٩٨٣م).

المعـيقل، خليل بن إبراهيم وسليمان بن عبدالرحمن الذييب، **الآثار والكتابات النبطية في منطقة الجوف**، الرياض، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦ م) .

منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت،(١٤١٠هـ) .

مـهران، محمد بيومي، **بنو إسرائيل "التاريخ" منذ دخولهم فلسطين حـتى الشتات الروماني عام ١٣٥م**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (١٩٩٩ م) .

موسـل، الويس، **الصحراء العـربية: الملاحق**، ترجمـة مؤسسة عـبد الرحمن السديري الخيرية، سكاكا، الجوف، (١٤١٨هـ).

الناصري، سيـد أحمد علي "الصراع علـى البحر الأحمر في عـصر البطالمة" **دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الجزيرة العربية قبل الإسلام**، جامعة الملك سعود، الرياض، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).

الناضوري، رشيد سالم "حول أرض مدين من حيث تحديد موقعها ودورها التاريخي المبكر"، **دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الجزيرة العربية قبل الإسلام**، جامعة الملك سعود، الرياض، (١٤٠٤هـ ١٩٨٤م) .

نصحي، إبراهيم، **تاريخ مصر في عصر البطالمة**، ط٤، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (١٩٧٦م).

........، **تاريخ الرومان**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (١٩٩٨م) .

النعيم، نورة عبدالله العلي، **الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث ق.م حتى القرن الثالث م**، دار الشواف، الرياض (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) .

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، دار الكتب المصرية، القاهرة (١٩٤٩م).

هاردنج، لانكستر، **آثار الأردن**، ط٣، تعريب : سليمان موسى، عمان، الأردن، (١٩٨٢م).

الهاشمي، رضا جواد "العرب في ضوء المصادر المسمارية" **مجلة كلية الآداب**، جامعة بغداد، عدد ٢٢، شباط (١٩٧٨م) .

هزيم، رفعت "الألقاب والرتب السياسية والعسكرية في الكتابات النبطية"، **مجلة اليرموك**، مج ١٢، العدد ٢، الأردن (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

يحيى، لطفي عبد الوهاب، **العرب في العصور القديمة**، دار النهضة العربية، بيروت (١٩٧٩م).

........، **دراسات في العصر الهيليني**، أبعاد العصر الهيليني، دولة البطالمة في مصر، دار النهضة العربية، بيروت، (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م).

المصادر والمراجع غير العربية :

Abu Taleb., M., "Nabayati, Nabayot, Nabayat, and Nabtu the Linguistic Problem Revised", **Dirasat** (1984).

Amr., **A Neutron Activation Analysis Study of Pottery From Petra**, London,(1986).

Bennett., C.M., "Petra" **Art International**, Vol. XXV(March,1983), Switzerland.

Bowden, "Tayma" **Atlal**, (1980), vol.5.

Bowersock., G.W., **Roman Arabia**, Harvard University Press, London, (1983).

Bowsher., J.M.C., " The Nabataean Army " in the **Esatern Forntier of the Roman Empire**, Proceeding of a Clloquium Held at Ankara in September,1988, edited by D. French and C. Lightfoot, Parti .

Browning ., Iain., **Petra**., London, (1989) .

Bulliet., Richard W. **The Camel and the Wheel** , Cambridge, mass. (1975) .

Cantieau., J., **Le Nabten**, Librairie Ernest Lerous, Paris, (1930), 2vols.

............, J., **Le Nabatéen**. , Paris (1932) .

Cary., M.., **A History of Rome**, 2nd, London (1960).

Diodoros., **The Historiae**, tr.C.H.Oldfather, London , (LCL).

Ettore., Merkel,., "Erste Festsetzungen im Fruchtbaren Halbmod", Altheim Franz, **Die Araber in der alten Welt / und Ruth Stiehl / mit Beitrigen**. -Bd.1.- Berlin:W.de Gruyter, (1964) .

'lavius., Joesephus., Jewish Antiguities:Jwish Wars , ed. H.St. J. Thackerary, R.marcus, L.H. Fedman, London , (LCL), (1927-65) .

'rench., Eve., "Nabataean Warrior Saddles", **PEQ**.(January-June 1988).

Hlueck., Nelson., **The Story of the Nabataeans : Deities and Dolphins.**, Cassell , London (1965).

..........., **Rivers in the Desert**, New York , (1959) .

..........., "Wadi Al Sirhan" **BASOR** No.96 (1944).

Graf., David . F.., " The Nabataean Army and the Cohortes Ulpiae Petraerum" in **The Roman and Byzantine Army in the Esat**, Proceedings of Colloquium Held at the Jagiellonian University, (Krakow (1994).

Hammond., Ph. C.., **The Nabataens-Their History, Culture and Archaeology,** Gothenburg, (1973) .

Healey., John F., **The Nabataean Tomb Inscriptins of Mada'in Salih** , Oxford (1993).

Herodote., **The Historiae.**, tr.A.D. Godley., LCL.,London (1981) .

Hill., G.F., **The Cataloque of Greek Coins of Arabia**, London (1915).

Hornblower., Jean., **Hieronymus of Cardia**, Oxford University Press , New-York (1981).

Knauf., Ernst A., Kiel., " Midianites and Ishmaelites" **Midian, Moab and Edom,** (JSOTS). series,24, Sheffield (1983) .

Lawlor., John Irving., **The Nabataeans in Historical Perspective,** Michigan, (1974).

Littman., E., **Nabataean Inscriptions from Southern Hauran.**, Publication of Princeton Universty Archaeological Expeditions to Syria in 1904 -1905 &1909., Leiden , (1953).

Luckenbill, D.D., **Ancient records of Assyria and Babylonia** [trans-

lated into English]. Chicago, (1926) .

Macdonald, M.C.A., "Was the Nabataean Kingdom a Bedouin State?" **ZDPV** 107 (1991).

Meshorer., Y., **Nabataean Coins**, Jerusalem, The Institute of Archaeology (1975).

Muaikel, Al., K., "Qyal, A Nabataean Military Post NW of Skaka" **Ages**, vol.8, part 1. (1993).

Murray., M.A.,**Petra the Rock City Of Edom**, London. (1939).

Nasif., A. "An Ancient Water System in Skaka, al-Jauf Saudi Arabia", **Proceeding of the Seminar for Arabian Studies 17**(1987).

Negev., A. **The Inscriptions of Wadi Haggag, Sinai**, Jerusalem , (1977).

............, A.,"Nabataean and the Provincia Arabia", **Aufstie und Niedergang der Romischen Welt II Principat (8)** ,New York (1977).

Patrich., Joseph., **The Formation of Nabatean Art, Prohibition of a Graven Image Among the Nabateans**, The Hebrew University Jerusalem (1990).

Periplus., **The., of the Erythraean Sea** : travel and trade in the Indian Ocean, Trans. By W.H.Schoff, London, (1912).

Pliny., Gaius., **Natural History**., Trans by H.Rackham , London, (LCL).

Polybious., Historia., trans. By W.R.Paton., London, (LCL), (1925).

Pritchard., J.B., **The Ancient Near Eastern Texts**, Relating to the Old Testament,Third Edition ,with Supplemnet, Princetion , New Jersey, (1969).

Rawlinson., H.C., **The Cuneiform Inscriptions of Western Asia**, London (1861).

Rostovtzeff., M. **The Social & Economic History of the Hellenistic World.**, Oxford (1986) .

..........., **Cravan Cities**, tran.T.Talbot&M.Rice.,Oxford, (1932).

Savignac., & Starcky.,"Une Inscription Nabateenne Provenant du Djof", **B R** (1957).

Schoff., W., **The Periplus of the Erythean Sea**, New Dlehi, (1954).

Seyrig., H., " Postes Romains sur la route de Medine", **Syria, Tome 22** (1941) No.12.

Starcky., J., "The Nabataeans: A Historical Sketch" **The Biblcal Archaeol-ogist vol.XVIII** . (1955,4).

Strabo., **The Geography**.,Tran. by H.l.Jones, Loneon, (LCL) .,(1989).

Streck., **M.,Die Inschriften Assurbaniplas**,(1916).

Tarn., W.W.., " Ptolemy II and Arabia" **JEA.**, XV(1929).

في نهاية القرن الرابع ق. م، شكلت دولة الأنباط إحدى التكوينات السياسية العربية، التي امتدت من منطقة دمشق شمالاً إلى مدائن صالح جنوباً، ومن دومة الجندل بمنطقة الجوف شرقاً إلى صحراء النقب غرباً. واتخذت البتراء عاصمة لها. وتحدّث سكانها بإحدى اللهجات العربية، وكتبوا بالحرف الآرامي. واستمرت دولتهم حتى سقطت في أيدي الرومان سنة ١٠٦م.

والكتاب دراسة للتنظيمات العسكرية عند الأنباط، الذين أقاموا كياناً سياسياً واقتصادياً، وامتلكوا قوة وأسلحة وخبرات عسكرية، مشابهة لجيوش معاصريهم.

يعرض الكتاب في فصله الأول الأحول السياسية والاقتصادية لدولة الأنباط. وفي فصله الثاني نشأة القوة العسكرية النبطية بمراحلها المتعددة، منذ بداياتها، مروراً بمرحلة قوة الدولة النبطية، وحتى زوالها. أما الفصل الثالث فقد عرض للتقسيمات العسكرية في الجيش النبطي بالتفصيل، مع استعراض صناعة الأسلحة النبطية وأنواعها. واستعرض الفصل الرابع النشاط العسكري للأنباط، ضد التهديدات الخارجية التي واجهتهم.

المؤلف:

- صالح بن ابراهيم بن صالح الدغيم، محاضر في قسم التاريخ بكلية العلوم العربية والاجتماعية بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - الرياض.
- حصل علي درجة الماجستير من قسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض عام ١٤٢٢هـ.

